
سماحة العلامة
الشيخ منصور ابن الحاج عبد الله البيات
«قدس سره»
النظرة النفسية
والأشعة القدسية
Dar Kumail
دار كميل
دار كميل

النظرة النفسية والأشعة القدسية

لمؤلفها

سماحة العلامة الشيخ منصور
ابن الحاج عبدالله البيات قدس سره

دار كميل
للطباعة والنشر والتوزيع

الطبعة الثانية

١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م



شكر وامتنان

نتقدم بجزيل الشكر ووافي الثناء لكل من أتعب نفسه وشاركنا بجهده في مراجعة وتحقيق هذا السفر القيّم لإخراجه للقارئ الكريم بهذه الصورة، لاسيما

- سماحة العلامة الشيخ محسن المعلم حفظه الله

- صاحب الفضيلة الشيخ زكي آل سيف حفظه الله

سائلين المولى العلي القدير أن يتقبل هذا العمل بواسع قبوله إنه سميع مجيب، والله من وراء القصد.

أسرة المؤلف قدس سره

تقديـــم

تفضل بـه علينـا -مـشكوراً- جنـاب العلامـة الـشيخ محسن ابن المرحوم الحاج علي المعلم (جـزاه الله عنـا وعن والدنا المقدس خيرَ جزاء الصالحين)

النظرة النفسية والأشعة القدسية مؤَلِّفاً ومؤلَّفاً



وصلى الله على المبعوث رحمة للعالمين سيدنا محمد وآله الطيبين الطاهرين

تتفاوت الذوات فيما تتعلق به وتميلُ إليه، وما أشدَ اختلافها وأبعدَ مداه!! فربما كان بينهما بعد المشرقين، تلك في أوج الكمالِ والفضيلة، وهذه في حضيض النقص والرذيلة، وتلكم حقيقةُ اختلاف الطباع، وتضاد الأوضاعِ، ﴿قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَى سَبِيلاً﴾[1].

---

(١) الإسراء: ٨٤

وتنبعثُ من تلك الذوات والسمات خِلالٌ تُشاكلها، وخصال تحكيها وترويها، ﴿وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَالَّذِي خَبُثَ لاَ يَخْرُجُ إِلاَّ نَكِداً كَذَلِكَ نُصَرِّفُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ﴾[1].

١- الكتاب في عنوانه ومضمونه:

فهو نظرةٌ من كتابه -نضَّر الله وجهه- (النظرات)، الذي عالج فيه مسألتين دقيقتين: أخذُ الميثاق، وسبق الأرواح على الأجساد.

وهو حلقة من سلسلة[2] سُبقت ولُحقت بمثلها وشكلِها، مما تدور حباتها وأطرافها في محور العقيدة والمعارف الإيمانية، وجلالِ الصادع بحقائقها، أمينِ الله على وحيه وعزائم أمره وخزانة علمه، ومستودع سرِّه، النبي الأعظم، والرسول الأكرم محمد بن عبد الله، وأوصيائه وخلفائه الأئمة

---

(١) الأعراف: ٥٨

(٢) للعلامة الأستاذ المؤلف (قدّس سره) مجموعة من المؤلفات اتسمت جميعها بالنظرات، بعضها ظهر مطبوعاً، وبقيتها لَمّا يطبع؛ منها:

أ- النظرة الحسينية.(مطبوع).

ب- النظرات الإلهية في المدائح المحمدية،في ثلاثة أجزاء. (مطبوع).

ج- النظرة الرشيدة في المباهلة السعيدة. (مطبوع).

د- النظرة الفقهية،في جزئين. (طبع الجزء الأول).

هـ-النظرة العدلية،في جزئين. (مطبوع).

و- النظرة الظالمية. (مطبوع).

ز- النظرة الروحانية.

ح- النظرة التوحيدية.

ط- النظرة العلية.

ي- النظرة الحكومية.

ك- النظرة النبوية الإمامية.

وغيرها مما أفاض الله عليه ببركة أهل البيت عليهم السلام .

الهداة من آله (عليهم صلوات ربهم وتسليمه).

٢- النظرة النفسية:

وقد أجمل القولَ في (النفس)، تعريفاً و تقسيماً، وتفسيراً للآيات في صحائف معدودة، تمثلت في (إشعاعين)، وتخلص في (الإشعاع الثالث) إلى حديث (الإمامة) من خلال تطبيق، وتأويل آية النفس في سيد الشهداء الإمام الحسين عليه السلام، ﴿**يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ (٢٧) ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً (٢٨) فَادْخُلِي فِي عِبَادِي (٢٩) وَادْخُلِي جَنَّتِي (٣٠)**﴾[١]، وعبر الحديث في(بواطن القرآن) و (التأويل) و (دلالة الألفاظ).

واصطبغت لغة البحث بمصطلحاتٍ كلاميَّة وأصولية، ومنطقية ولغوية، وردت في النصوص المنقولة والآراء المطروحة، كسته دقة ولفَّته بطرف من الغموض إلا على ذوي الاختصاص.

ولعل في إفراد (النظرة)؛ نظرة من المؤلف مقصوداً بها الإيجاز في القول والاكتفاء بالإشارة، والإحالة إلى مواطن البحث المستوعبة، والعناية بما هو أهم وأولى.

٣- الأشعة القدسية:

وقد فصَّل فيه الشيخ المؤلفُ -رضوان الله عليه- وتناول موضوعه وهو (فلك الإمامة و محورها) من أطراف عديدة: عقلية، و نقلية، قرآناً كريماً، وحديثاً معصومياً شريفاً، واحتجاجاً ومناظرة.

وقد تجلى ذلك في نفسه الطويل وسبحه العميق، وسبره الواسع في

---

(١) الفجر ٢٧-٣٠.

عرض واستعراض جملة وافرة من آيات الإمامة، وتفسيرها من قِبل المؤالفين والمخالفين، فيمن نزلت فيهم من أولي العصمة و أرباب الطهارة (عليهم أفضل الصلاة وأزكى التسليم).

وفي عنايته الفائقة بجمع (أربعين حديثاً) في(اشتراط التوحيد بولايتهم عليهم السلام)، كما هو معقد (الإشعاع الحادي عشر)، عاطفاً على ذلك الإشعاع الثاني عشر في تحقيق عجز الخلق عن إحصاء فضائل أمير المؤمنين، مردفاً بالإشعاع الثالث عشر، في فضائله المشهورة بين الفريقين، متبعاً ذلك بالإشعاع الرابع عشرَ في معاجزه الخارقة -صلوات الله عليه- فيصلُ من خلال تلكم المقدمات إلى نتائجها فيعقد الإشعاع الخامس عشر في انحصار نيابة الرسول صلى الله عليه وآله فيهم عليهم السلام.

ويوفي علاّمتنا الجليل بحثه كامل الحلقات؛فيتناول تفاوت المدارك ومدى تفاعلها مع الحقائق والثوابت والآثار المترتبة على ذلك، كحال القاصرين والمستضعفين، واشتراط دخول الجنان بالإيمان، وما هو الإيمان و ما الفرق بينه وبين الإسلام.

حتى يختم الحلقات وتترابط منظومتها، متمثلة بـ(ضلالة من خالفهم وهداية من تمسك بهم)، ﴿فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ﴾[1]، ولكلٍ جزاؤه وأجرُهُ، **﴿فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُواْ فَفِي النَّارِ لَـهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ،خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ إِلاَّ مَا شَاءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّـمَا يُرِيدُ، وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُواْ فَفِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ إِلاَّ مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ﴾**[2].

---

(١) هود: ١٠٥.

(٢) هود: ١٠٦-١٠٨.

وهكذا يغرق نزعاً ولا تطيش سهامه، فيعاود البحث في مؤهلات الإمامة الإلهية، ومن اختارهم المولى العلي الأعلى، واصطفاهم و أقامهم حججاً على عباده وسبيلاً هادياً إلى جنته ورضوانه،وجعل مودتهم أجر الرسالة في نفوذ من الأشعة القدسية، وفيضٍ من المعارف الربانية، وسَعةٍ في المقال تجهر بالحقيقة الراهنة، والحقِّ الصراح تلتقي فيها حجة المؤالف بإذعان المخالف، إجماعاً على الأدلة وتسليماً بالدلالة، لولا التعصب و العناد والموروثات الثقيلة، وتبعاتها المقعدة التي تودي بالعقل والوجدان، فتوقع في التيه والضلال والخسران.

٤- المؤلف نفْساً ونفَساً:

والأستاذ المؤلف -زكا نفْساً وطاب نفَساً- أنبته الله في منبت الإيمان فصفت نفسُه، وطهرت خلائقُه، عانق العلم و عشق المعرفة، وسما عن الدنيا والدنايا والخلود إلى الأرض، وبفضل ما أوتي من العقل ومنح من الحكمة؛ قادته بصيرته للمعالي والكمال، فوجه طاقته للخير والرشاد، والتحلي بجلال العلم، والتقمص بأبراد الفضائل منذ نعومة أظفاره، ولدونة عوده، لا يعتريه ملل، ولا يزاحمه كسلٌ، انجلى ليلٌ، أو تقضَّى نهار، خدينه الكتاب، وسميره العلم، ومجلسه منتدى العلماء، وأنيسه القرآن والدعاء، ومنتداه العزاء، وروحه الولاء. وعلى هذه السيرة والسنن أقام عمره، وأفنى دهره، فطوبى له بحياته، وطوبى ونعمى لحياته به، رضي الله عنه وأرضاه.

٥-الشيخ الجليل مؤلِّفاً:

سمَت همَّته فلم تضعفه المعوقات،ولم تقعده حوادث الدهر و نكبات الزمان، فلسان حاله:

إن يأخذِ اللهُ من عينَيَّ نورهما   ففي فؤادي وقلبي منهما نورُ

فقد كان فاقد البصر، ولكن الله عوضه بنفوذ البصيرة،وحلاّه بالصبر، وأمدَّه بالقوة والدأب وعلو الهمَّة، و(همم الرجال تزيل الجبال).

فقد كان يتولى القراءةَ له خاصته الأقربون كلَّ ما يتصل بغرضه،وبتطلبه بحثه،ويختزن ذلك فكرُه، وتستوعبه حافظتُه، على وفرة ما يسمعه، وكثرة ما يُقرأُ له، ثم يعود لصياغته وترتيبه وتبويبه،فيؤلِّفه كتاباً، وينضده أبواباً.

وعلى ذلكم السنن، جرى في موطنه ومهجره في النجف الأشرف، مقترناً بتحصيله العلمي،وحضور الأبحاث العالية، ومنتديات العلم ومطارحة العلماء، سِيّانَ في ذلك ربيع عمره،وخريف أيامه، خَبرْتُه بذلك درايةً لا رواية.

وقد أثمرت تلكم الجهود، والدأب الحثيث والمعاناة المضنية، وتحمل العَنَت و المشاق نتاجاً مباركاً طيباً، و عطاءاً ثرّاً في مختلف آفاق العلم، و جنبات المعرفة، ﴿**ذَلِكَ فَضْلُ اللَّـهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ**﴾[١].

٦- النظرة النفسيةُ والأشعة القدسية:

وكتابه ترجمان نظرته النفسية، و حكاية عن نفسه المطمئنة الراضية المرضية، وأثر الأشعة القدسية و يرويه: نظرة قدسية و أشعة نفسية.

فقد جسَّد كتابه:

أ- إحصاءً وافراً، وعناية فائقة بروايات الأبواب التي عالج بحثها؛ كما جاء في الشعاع الرابع عشرَ من وقوفه على مئةٍ من خوارق العادات،

---

(١) الجمعة: ٤.

وإحصائه مئةً وستةً وعشرين من إخبار الإمام علي بالمغيبات،وستَ مئةٍ وأربعاً وثلاثين من إخباراته و إخبارات الرسول والأئمة عليهم السلام من المغيبات.

ب- دقة الموازنة بين صدق الاعتقاد ورسوخ الإيمان، والعمل الصالح،(فالعلم يهتف بالعمل).

ج- اليقين الجازم، والإيمان الراسخ بصدق الولاء وشرف الانتماء، وقدس الإضافة والانتساب، فلسان حاله يجهر مفتخراً.

وأكـــاد أفـــترعُ الـــسماء بنـــسبة   للحق مهما قيـل إنـك جعفـري[1]

ألم يكن هو الولائيَ المعتَّق، والحسينيَ روحاً ولحماً ودماً؟.

٧-وبعـــدُ:

فكتابُه هذا أثر من آثاره المباركة، ونَفَس من نفسيته وأنفاسه الشريفة،وصحيفة ناصعة من صفحاته المشرقة،بذل عمره، أفنى سواد الليل و قطع بياض النهار نُصرةً لدين الله وإحياءً لأمر أولياء الله،هدايةً للعباد وسوقاً إلى نهج الرشاد،يُجدد طبعه بعد مضي أكثر من أربعين سنة على طبعته الأولى، ليبقى عمله الصالح متصلاً وذكراً جميلاً خالداً في حياتيه، وقدوةً مثلى لمن يعشق الكمال مستهيناً بالعقبات والصعاب،واثقاً بأنَّ الله لا يضيع أجرَ من أحسن عملاً.

وذلك وعد الله وتأييدُه ونصرُه لمن يُعلي كلمته،ويبلِّغ مخلصاً دعوته، ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ﴾[2]،

---

(١) لشاعر أهل البيت العلامة الشيخ الفرطوسي(رحمه الله).

(٢) غافر: ٥١.

﴿وَكَانَ حَقّاً عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾[1]، ﴿وَلَيَنصُرَنَّ اللهُ مَن يَنصُرُهُ﴾[2].

٨- وختاماً:

فكلِّي شكرٌ وثناء،ولساني ذكرٌ ودعاء، للأعزاء أسباط شيخنا الأستاذ المقدس ووالدهم، على ما أولوني من شرف التقديم والتعريف بهذا الكتاب، فجزاهم المولى الكريم خيرَ جزاء الصلحاء، وكافأهم بالحسنى على برِّهم الحسن الجميل بجدهم في حياته، وبعد رحلته إلى ربِّه، ووفوده على بارئه راضياً مرضياً وسلامٌ على روحه الطاهرة، ونفسِه الزكيَّة، وطوبى له بالنعيم الدائم مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسُنَ أولئك رفيقاً.

﴿يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ،ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّة،فَادْخُلِي فِي عِبَادِي،وَادْخُلِي جَنَّتِي﴾[3].

---

(١) الروم: ٤٧.

(٢) الحج: ٤٠.

(٣) الفجر:٢٧-٣٠.

بسم الله الرحمن الرحيم

ثمرات وزهرات تحت الأشعة القدسية

بقلم العلامة الحجة الشيخ فرج العمران

من الصدف الحسنة أني تصفحت هذه الصحيفة النورية، وفحصت ما رُقِم في صفحاتها البيضاء فوجدتها، والحق يقال، حديقة ذات بهجة، يانعة أثمارها، مؤنقة أزهارها، ثمراتها شهية، عذبة الطعم، زكية الرائحة، وزهراتها مبهجة، مختلفات الألوان والروائح، نضرات، عطرات، أجل إن تلك الثمرات والزهرات، من أجَلِّ ما يقتنيه ذو العقل السليم، والذوق المستقيم، نعم قسما بالحقيقة الناصعة من أشعتها القدسية، إنها لكذلك وكل تلك الثمرات والزهرات مما تمس الحاجة إليه، ويفتقر طلاب الحقيقة إلى الحصول عليه، أتدري ماذا أريد من تلك الثمرات العذبة الذكية والزهرات النضرة العطرة؟ أتدري ماذا أريد من ذي وتلك؟ أريد من تلك الثمرات الحقيقة الراهنة التي أقام عليها صاحب الأشعة القدسية الأدلة العقلية والنقلية، وعززها بالشواهد الوجدانية والذوقيات العرفانية، وأريد من تلك الزهرات الكلمات الجذابة، والألفاظ المسلسلة الجيدة السبك الحسنة الأسلوب. حقاً أقول: إن تلك الحقايق الراهنة الموشاة بتلك الحلة القشيبة الزاهية، لا يزال

أولو العلم دائبين في تحقيقها، لهجين في إيضاحها واستيضاحها.

وشتان بين من ينظر إلى الحقيقة بعدسة بصره، وبين من يشاهدها بالأشعة القدسية، ذلك ينظر إلى فص الواقع من بُعد، وهذا يراه عين اليقين.

ومن الضروري أن الدعاوى ما لم تدعم بالأدلة القاطعة والبراهين الساطعة، يُرمى أربابها بالكذب والافتراء، وتذهب أدراج الرياح ذهاب أمسِ الدابر. وإني لا أحتاج إلى إقامة دليل وإيراد برهان بعد إحالتك -أيها القارئ الكريم- إلى نفس تلك الثمرات والزهرات، فذق واطعم وانتشق وشم، ثم قل: ما شئت، ولا إخالك إلا مصدِّقي فيما أدعي، ومصافحي على ما أقول، وأزيدك توصية بإمعان النظر وإعطاء التأمل حقه في مطاوي هذا الكتاب الماثل بين يديك (النظرة النفسية والأشعة القدسية) لتذوق الثمرة الناضجة، وتقتطف الزهرة اليانعة، في أول قطفها، وأؤكد وصيتي بمراجعة حديث: «حب علي حسنة لا تضر معها سيئة، وبغضه سيئة لا تنفع معها حسنة»[1] وحديث: «لو أن الغياض أقلام والبحر مداد والجن حسّاب والأنس كتّاب ما أحصوا فضايل علي بن أبي طالب عليه السلام»[2] وحديث: «ضربة علي عليه السلام عَمْراً خير من عبادة الثقلين إلى يوم القيامة»[3]، فإنك تقف -حينئذ- على كنز علم لا ينفد، وترى قرة عين، وسرور قلب، وانشراح صدر، وثلج فؤاد، فماذا عليك عندئذ؟ ما عليك عندئذ إلا شكر مصنفه الفاضل الشيخ منصور البيات فقد قدم إليك عصارة أفكاره ولباب

---

(١) عوالي اللآلئ، ج٤، ص٥٦.

(٢) البحار، ج٤، ص٧٠، باب ٩١، ح١٠٥. بحار، ج٤٠، ص٧٣، باب ٩١. إرشاد القلوب، ج٢، ص٢٠٩. بناء المقالة الفاطمية، ص١٦٤. بناء المقالة الفاطمية، ص٣٦٩. تأويل الآيات الباهرة، ص٨٤٤. الصراط المستقيم، ج١، ص٢٨٠

(٣) البحار، ج٣٩، ص٢، باب ٧. الطرائف، ج٢، ص٥٢٠. نصها: «لضربة علي خير من عبادة الثقلين».

آرائه في صحيفة بيضاء، تشع أنوارها، كرِّ الغداة ومَرَّ العشي.

نسأل الله سبحانه أن يجعل عمله هذا خالصاً لوجهه الكريم، وأن يختم لنا وله بالسعادة ويقربنا منه زلفى مستشفعين إليه بأحب الخلق إليه وأكرمهم عنده وأقربهم لديه، الذين بهم فتح وبهم ختم محمد وآله الطاهرين، ولا سيما وصيه وخليفته وباب مدينة علمه ومن هو نفسه ومن هو منه وهو منه علي بن أبي طالب صلى الله عليهما وعلى آلهما المعصومين سرمداً.

يوم الثلاثاء ٢٧/ ٤/ ١٣٧٥هـ
المملكة السعودية
القطيف



تقريظ

بقلم: العلامة الشيخ علي الشيخ منصور المرهون

الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى.

إليك -أيها القارئ الكريم- أقدم النظرة الثانية من نظرات صديقنا صاحب الفضيلة: الشيخ منصور البيات كما سبق أن وافيتك بالنظرة الأولى حينما قدمتها لعالم النشر والطباعة قبل سنتين تقريباً. وعبثاً أحاول أن أعطيك جل ما ترغب إليه من التعريف عن هذه النظرة الماثلة بين يديك اليوم كما رغبت مني في مثله بالأمس فلا أستطيع التدليل على الكتاب إلا بنفسه تفضيلاً للنظر على الخبر، وتحاشياً عن المظنون إلى المقطوع به، مهما كلف الحال فسرِّح بريد نظرك في سطوره، وجُس دياره، وتعرّف أخباره وشقَّ أصدافه عن لآلئه، وغص في بحار معانيه، حسبما تواتيك الفرص وتسمح لك الظروف، تجد فيه من المعارف الوجدانية ما يغنيك عن الكثير من مظانها، ومن الآداب الكمالية ما يبرهن على صدق كل ما جاء به من معان طريفة بأدلة قاطعة وبراهين ساطعة.

يسم المؤلف كتابه هذا (بالنظرة النفسية) لأنه يبحث فيها عن النفس

وأقسامها، وما يتعلق بها وما يعتورها من أطوار وأحوال في حياتها، وبعد مماتها وحتى في عالم برزخها وحشرها ونشرها سواء بالتصريح أو التلويح، وتنتابه المعاني الجمة، وتختلف عليه المواضيع العلمية المواتية له عفواً، طوْلاً في الباع، وسعة في الاطلاع، فتملك عليه زمام القلم فربما خرج من موضوع إلى آخر بلا إعراض عن الأول فترى الثاني مرتبطاً به كأنه المقصود أولاً وبالذات، فسبحان الواهب المعطي للأقلام الغواصة في بحار المعاني، وشتى المواضيع الناشئة عن العلم التابع للعمل الموجب لتقديسه، وعلو قدره، إذ هو كل ما يتوخى منه فتزدحم المعاني الراقية الحية، المنبعثة من العقيدة الراسخة في المؤلف فينتقل إلى (موضوع بواطن القرآن وظواهره) مثلاً وينحدر إلى ما تضرب عليه آباط الإبل في خصوص أهل البيت الطاهر عليهم السلام مما كتبت فيه مئات المؤلفات وآلاف السجلات؛ فيشفي العليل ويروي الغليل مما شاءت له عقيدته الراسخة، وإيمانه الصادق، وقلبه الطاهر فيثبت لهم مقامهم الأسمى بالأدلة الواضحة، والحجج اللائحة كتاباً وسنة وعقلاً وإجماعاً ومما أوجب للكتاب أن يكون ذا رصيد علمي كبير، يكفل القيام بكثير من المهمات الدينية والعرفانية، فعني وعن زملائي من خطباء المنبر الحسيني أقدم لمؤلفه جزيل الشكر، وعاطر الثناء، وكبير التقدير، سائلاً ربي جل اسمه أن يمدّ له ولأمثاله من خدمة الدين بطول العمر، وأن يوفقه لأمثال هذا المشروع الجليل، إنه كريم رحيم والحمد لله رب العالمين.

المملكة السعودية

١١/ ١٠/ ٧٦

القطيف

بسم الله الرحمن الرحيم

بقلم: الوجيه الحاج منصور بن حسن آل نصر الله

نظرة نفسية وأشعة قدسية سجلها قلم نزيه قلم شيخ فاضل، جليل ثَبْت زكي، قوي الجدل، حديد البصيرة، صافي الفكر، حر الضمير، لا تأخذه في الحق لومة لائم.

طالعت هذا السفر الثمين؛ فرأيته سفر علم يضيء لقارئه سبل السعادة بنور الحقيقة الراهنة، سفر حرِيٌّ بالتقريظ والثناء العاطر، جدير بالتنويه، بارك الله لمؤلفه الجليل في هذا الإنتاج العلمي لما تضمنه من معارف إسلامية، ونتائج علمية مقدماتها مثال الصدق، نظرة صادقة، نظرة في صميم الواقع نظرة تستسيغها الأذواق الفنية المتكهربة بحب الفضيلة، وعشق الإيمان، تقرّب هذه النظرة إلى ضميره أهل بيت العصمة -عليهم صلوات الله وسلامه- لما تضمنه من علوم مصدرها القرآن وآل محمد عليهم السلام كالعلوم التي حول النفس ومتعلقاتها ورتبها وأوصافها وبواطن القرآن، مؤيداً بالكتاب والسنة النبوية والأحاديث عن أهل البيت عليهم السلام واشتراطه التوحيد بولايتهم عليهم السلام والفرق بين الإسلام والإيمان وتعريفهما والدليل على وجوب العصمة بالعقل وآي الذكر الحكيم، وكالعجز عن إحصاء فضايل الإمام علي بن أبي

طالب عليه السلام حقيقة لا مجازاً، وغير ذلك من الأبحاث الممتعة القيمة النافعة التي تثلج القلب بمعرفتها، وتحليلها وفهمها الفهم الصحيح الذي ينم عن إيمان عميق بالله وبرسوله وآله الميامين عليهم السلام، نفعنا الله بمؤلفه الجليل ولا زلنا نبتهل لله تعالى أن يطيل في عمره؛ لخدمة العلم والدين، ويجزل بره، ويجعل عمله هذا خالصاً لوجه الحق، ويلبسه ثوب الصحة في مزيد الكرامة.

القطيف

٣ ذي القعدة سنة ١٣٧٦هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

كلمة المؤلف

الحمد لله الذي أنشأ النفس مميِّزة ضلالها وهداها﴿**فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا**﴾[1] والصلاة على محمد منقذها من عنائها وشقواها، وآله الأيمة الهادين، وأمنائه على الوحي المبين وأوصيائه وخلفائه على العالمين -أمير المؤمنين وولده المعصومين-.

أما بعد فإنه لما كان كتابنا النظرات قد بُني على موضوعين، أخذ الميثاق وسبق الأرواح على الأجساد، ولكن كثيراً ما يجري القلم بمناسبة المسائل المرتبطات بأنوار العلم، إذ هو بعضه متصل بالبعض (وكل إلى كل مضاف ومنسوب) ولما انتهى بنا القلم إلى الكلام على النفس الإنسانية بمناسبة الكلام على بيان قول أمير المؤمنين عليه السلام: «أجريت عليَّ حكماً اتبعت فيه هوى نفسي»[2] ارتأينا أن نقتطع من النظرات نظرة، ونفردها بالاسم والعنوان، حيث قد انفلت منا عنان القلم فلا زال يسيل في شتى العناوين المتفرقة المرتبطة بالدواعي والمناسبات حتى تكونت هذه الرسالة الشريفة.

---

(١) الشمس ٨.

(٢) مقطع من الدعاء المشهور المسمى بدعاء كميل.

ولما كان صدر هذه الرسالة المذكورة في تحقيق النفس وتقسيمها، وتلا ذلك إشراقات ربانية بسبب درس بعض ما حرره علماؤنا الماضون والمعاصرون، من التفسير والتوحيد وفضل محمد وآله وبما منحناه من السوانح الفكرية من الإلهامات الإلهية إذ كل سبب منه وإليه تعالى فجدير أن نسمي هذه الرسالة بـ«النظرة النفسية والأشعة القدسية» إذ هي نظرة تشتمل على خمسة وعشرين شعاعاً، وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب.

المؤلف

القطيف في ٢٧/ ٤/ ١٣٧٤

نظرة في النفس ومتعلقاتها وتحقيقها

لا يخفى أن النفس لها اعتبارات ثلاثة: أمّارة،ولوّامة، ومطمئنة فالأولى: هي المتبعة للهوى المنهمكة في المعاصي، لا تستضيء بنور العقل ولا تلتفت إلى أوامره ونواهيه وهي المعنية بقوله تعالى: ﴿**إِنَّ النَّفْسَ لأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ**﴾[1].

والثانية: هي التي تنقاد له تارة وتنقاد للهوى أخرى وهي المعنية في الكتاب المقدس بالنفس اللوامة[2].

والثالثة: هي المنقادة للعقل، المتبعة لأوامره ونواهيه، وهي المعنية بقوله تعالى: ﴿**يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ * ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً**﴾[3].

قال أمين الإسلام في المجمع -عند تفسير قوله تعالى: ﴿**إِنَّ النَّفْسَ لأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ**﴾- ما نصه: أي كثيرة الأمر بالسوء، والشهوة قد تدعو الإنسان إلى المعصية والألف واللام للجنس: فيكون بمعنى أن كل النفوس كذلك ويجوز أن يكون المعنى أن نفسي بهذه الصفة. وقال الملا محسن المحقق

---

(١) يوسف: ٥٣.

(٢) وهي المعنية بقوله تعالى: ﴿**وَلاَ أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللوَّامَةِ**﴾ القيامة: ٢.

(٣) الفجر: ٢٧ – ٢٨.

في كتابه الصافي ص٢٥٨ ما نصه: الأمارة بالسوء من حيث إنها بالطبع مائلة إلى الشهوات. وفي المجمع ص٦٣ ﴿وَلاَ أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللوَّامَةِ﴾ فإنكم لا تقرون أن النفس تلوم صاحبها يوم القيامة. وفيه ص٤٩٩ ﴿يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ﴾ المؤمنة الموقنة المصدقة بالثواب والبعث والطمأنينة: حقيقة الأيمان عن الحسن ومجاهد. وقيل المطمئنة: الآمنة بالبشارة بالجنة عند الموت ويوم البعث عن ابن زيد، وقيل النفس المطمئنة يبيض وجهها وتعطى كتابها بيمينها فحينئذ تطمئن عن الكلبي وابن ورق. انتهى المراد.

فتأمل فيما حرر من التفسيرين تراه موافقاً لما قلناه، أما على الاعتبار الأول فظاهر حيث إن النفس الأمارة سواء كانت (أل) فيها للجنس أو للنفس المعهودة فلا شك أنها عامة لكل نفس إذ لا فرق بين النفس المعهودة وغيرها وقد فهمت كلمة الملا في الصافي من أن ميلان النفوس للسوء طبيعي.

وأما على الاعتبار الثالث وهو كون النفس المطمئنة هي المنقادة للعقل فأوضح لا سيما على القولين الأخيرين، فالنفس الأولى بالاعتبار الأول هي المنهمكة في الفسوق التي لا تنتهي عن شيء فيه.

والثالثة بالاعتبار الثالث هي التي لا تنفك عن الطاعة ولا تهم بالمعصية ولا تكاد تتحقق دائماً إلا في المعصوم[1] وأما على الاعتبار الثاني وهو كون النفس لوامة، فلا يوافق ما قررناه من المجمع إلا بالتأمل بأن يتصور القدر الجامع وهو كون النفس تلوم صاحبها مطلقاً، سواء عملت طاعة أم لا.

نعم يوافق ما قررناه ما في الصافي بدون تأمل قال رحمه الله في ص٦٥١ عند كلامه على الآية ما نصه: التي تلوم نفسها أبداً وإن اجتهدت في الطاعة

---

(١) فتكون حينئذ راضية مرضية.

فهي الرتبة العليا فعلى هذا النفس اللوّامة لها مرتبتان، حيث إن اللوّامة تارة تكون على مقارفة الذنب، وتارة على ترك الطاعة، فان كانت واجبة فهي من اتباع الهوى، وإن كانت مندوبة فهي من نقصان النورية بالنسبة إلى المطمئنة؛ لأنها لا تترك أي طاعة، وإن شئت إيضاح ذلك فإليك كلمة الشيخ فخر الدين الطريحي ﵀ ص٥٥٢ في مادة (لوم): «نفساً أمارة بالسوء» إنْ كانت رذائلها ثابتة، فإن لم تكن ثابتة بل تكون مائلة إلى الشر تارة وإلى الخير أخرى وتندم على الشر وتلوم عليه فهي اللوّامة. يقال: ما من نفس برة ولا فاجرة إلا وهي تلوم نفسها يوم القيامة، إن كانت عملت خيراً هلا ازدادت منه، وإن كانت عملت شراً لم عملته. أ. هـ.

وقد استحسنت حديثاً رواه في مادة (نفس) في ص٣٤٤ إذ هو تفسير للآية الكريمة ﴿**يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ**﴾ قال ما نصه: عن الصادق في حديث طويل قال: «فينادي روحه مناد من قبل رب العزة فيقول: ﴿**يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ**﴾ إلى محمد وأهل بيته ﵈ ﴿**ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً**﴾ بالولاية ﴿**مَّرْضِيَّةً**﴾ بالثواب ﴿**فَادْخُلِي فِي عِبَادِي**﴾ يعني محمداً وأهل بيته ﵈ ﴿**وَادْخُلِي جَنَّتِي**﴾ فما شيء أحب إليه من استلال روحه، واللحوق بالمنادي.

ويا حبذا أن نأخذ كلمة من كلامه على النفس؛ لتكون سنداً وشرحاً لما ذكرناه قال ﵀ في ص٣٤٥ ما نصه: ولها خمس مراتب باعتبار صفاتها المذكورة في الذكر الحكيم:

الأولى: الأمّارة بالسوء وهي التي تمشي على وجهها تابعة لهواها.

الثانية: اللوّامة وقد أشير إليها بقوله عز وجل: ﴿**وَلاَ أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللوَّامَةِ**﴾ وهي التي لا تزال تلوم نفسها، وإن اجتهدت في الإحسان وتلوم على تقصيرها في التعدي في الدنيا والآخرة.

الثالثة: المطمئنة، وهي النفس الآمنة التي لا يستفزها خوف ولا حزن، أو المطمئنة إلى الحق التي سكنها روح العلم وثلج اليقين، فلا يخالجها شك.

الرابعة: الراضية، وهي التي رضيت بما أوتيت.

الخامسة: المرضية، وهي التي رضي عنها -إلى أن قال ﷺ فيها أيضاً ما لفظه-: وفي حديث كميل ﷺ، قال: سألت مولانا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، قلت أريد أن تعرفني نفسي! قال عليه السلام: يا كميل، أي نفس تريد؟ قلت: يا مولاي هل هي إلاّ نفس واحدة؟ فقال عليه السلام: يا كميل، إنها أربع: النامية النباتية الحسية، والحيوانية، والناطقة القدسية، والكلمة الإلهية. ولكل واحدة من هذه خمس قوى وخاصتان.

فالنامية النباتية لها خمس قوى: ماسكة وجاذبة وهاضمة ودافعة ومربية، ولها خاصتان: الزيادة والنقصان وانبعاثها من الكبد وهي أشبه الأشياء بنفس الحيوان.

والحيوانية الحسية ولها خمس قوى: سمع وبصر وشم وذوق ولمس، ولها خاصتان: الرضا والغضب، وانبعاثها من القلب وهي أشبه الأشياء بنفس السباع.

والناطقة القدسية ولها خمس قوى: فكر وذكر وعلم وحلم ونباهة وليس لها انبعاث، وهي أشبه الأشياء بنفس الملائكة. ولها خاصتان: النزاهة والحكمة.

والكلمة الإلهية لها خمس قوى: بقاء في فناء ونعيم في شقاء وعز في ذل وفقر في غناء وصبر في بلاء. ولها خاصتان: الحلم والكرم، وهي التي مبدؤها من الله تعالى وإليه تعود لقوله عز وجل: ﴿فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا﴾[1] وأما

---

(١) التحريم: ١٢.

عودها فلقوله تعالى: ﴿يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ * ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً﴾، والعقل وسط الكل لكي لا يقول أحدكم شيئاً من الخير والشر إلا لقياس معقول.

في رتب النفس

تأمل في كلام الشيخ فخر الدين الطريحي في رفع التنافي بينه وبين غيره:

لعل القارئ بحسب الظاهر يرى منافاة بين بعض كلام الشيخ فخر الدين وبين غيره فإنه رحمه الله تعالى قد حقق للنفس رتباً خمساً وغيره ذكر ثلاث رتب ومن تأمل عرف أن الرتبتين الأخيرتين منطويتان في الثالثة بمعنى أن رتب الاطمئنان للنفس ذات درجات ثلاث والاطمئنان هو الجامع وهذا ما أشرنا إليه آنفاً من أنه لا يكاد يحصل دائماً إلا في المعصوم أي بأن تكون النفس مطمئنة دائماً وهي مرضية كذلك..

أما الدرجة الأولى من الاطمئنان -وهي الثالثة التي ذكرها الشيخ بدون القيدين- فكثيراً ما تحصل لخلّص الشيعة بل ربما تحصل مع الرابعة والخامسة لبعضهم كسلمان وأمثاله -لكن لا على سبيل الحتم- كالمعصوم ولعل إلى ذلك أشار الصادق عليه السلام في الحديث المتقدم. فتدبر وتبصر أيضاً في الحديث العلوي الذي مرّ عليك تراه يشعر بالرتب العليا بختامه بالآية الكريمة، الجامعة للرتب الثلاث أعني الاطمئنان الجامع للدرجات الثلاث، ولعل على ذلك اعتمد الشيخ فخر الدين الطريحي رضي الله عنه، وإلا فغيره من

علماء الأخلاق يذكرون رتباً ثلاثاً للنفس -حسب ذكرها في الكتاب- وإليك كلمة الشيخ ملا مهدي النراقي في جامع السعادات الجزء الأول ص٣١١ لتطمئن بصحة ما قلنا، قال رحمه الله وقيل: ما ورد في القرآن المجيد من النفس المطمئنة، واللوّامة، والأمارة بالسوء، إشارة إلى القوى الثلاث أعني العاقلة والسبعية والبهيمية، والحق أنها أوصاف ثلاثة للنفس -بحسب اختلاف أحوالها- فإذا غلبت قوتها العاقلة على الثلاث الأخر، وصارت منقادة لها، مقهورة منها وزال اضطرابها الحاصل من مدافعتها سميت (مطمئنة)؛ لسكونها -حينئذ- تحت الأوامر والنواهي إلى ملائماتها التي تقتضي جبلتها، وإذا لم تتم غلبتها وكان بينها تنازع وتدافع. وكلما صارت مغلوبة عنها بارتكاب المعاصي حصلت للنفس لوم وندامة، وسميت (لوّامة)، وإذا صارت مغلوبة منها مذعنة لها من دون دفاع سميت (أمارة بالسوء) لأنه لما اضمحلت قوتها العاقلة، وأذعنت للقوى الشيطانية من دون مدافعة، فكأنها هي الأمارة بالسوء. انتهى المراد.



الشعاع الثاني

في أوصاف النفس

تبصر فيما قاله (الشيخ النراقي) رحمه الله تعالى تراه صحيحاً بوجدانك؛ لأن الإنسان يرى نفسه في حالات متعاقبة، فربما تتصف نفسه بالأمارة سنة أو سنتين، وتتبدل لوّامة سنين، ثم إلى المطمئنة كذلك بل ربما يترقى في درجات المطمئنة حتى يصل إلى أعلاها، فانظر إلى الشباب المنهمك في فسوقه التائه في غوايته كيف ينقاد لهواه ثم بعد سنين يلتفت إلى نفسه، فيكون بين رادع العقل وجاذب الهوى، فلا يزالا في التغالب والنفس -حينئذ- تكون لوّامة لانقيادها للطاعة، تارة، وللمعصية أخرى، ثم تدركه الألطاف الإلهية؛ فتأخذ بيده للدرجة العلّية من الاطمئنان، أو الثانية أو الأولى -حسب استعداد ذاته- وهذه الأوصاف الثلاثة لا يخفى حصول كل واحد منها لبعض النفوس دائماً.

فبهذا الاعتبار تكون النفوس أنواعاً ثلاثة:

فنفس يزيد (لع) مثلاً لا زالت أمّارة دائماً، ونفس الحر مثلاً لا زالت لوّامة، لكنه أدركته العناية الإلهية بالوسائل الحسينية، وختم له بالسعادة الأبدية، ونفس الحسين عليه السلام لا زالت مطمئنة راضية مرضية، من أول وجوده الشريف حتى وافى الحضرة الإلهية، ولذا جاء في بعض الأخبار في تفسيرها فيه عليه السلام،

فإليك ما رواه الشيخ ﵁ في الخصائص في ص٢١٠ عن أبي عبد الله عليه السلام قال: يعني الحسين بن علي ﵉، فهو ذو النفس المطمئنة الراضية المرضية.

في دفع وهم

لا يتوهم التدافع بينه وبين ما سبقه من تفسير الآية إذ المقصود تخصيص الحسين عليه السلام بذلك للإشارة إلى أنه من أجلى مصاديق الآية، ولعله إيماء بذلك إلى مظلوميته عليه السلام، وإظهار عظم فاجعته، إذ لا مثيل لها، فيجوز أن يكون هناك عناية خاصة بنداء خاص، من الحق تعالى بشارة لوليه، وإظهاراً لجلالة قدره في الملأ الأعلى، ومن ذلك خصصه الصادق عليه السلام بالذكر، نظير تضافر الأخبار بالبشائر والترغيبات في فضل زيارته عليه السلام والبكاء عليه وغير ذلك من وسائله، وإلا فجده صلى الله عليه وآله أفضل الكل، ولم يرد في حقه بالنسبة إلى تلك المقامات كذلك، وقد تعرضنا لمثل ذلك بكلام شاف في الرسالة الموسومة بالنظرة الحسينية[1] وتفسير الآية في خصوصه عليه السلام من التفسير الباطني.

(١) ظهرت لعالم النشر بطبع النجف سنة ١٣٧٣هـ، وأعيد طبعها سنة ١٤٢٠هـ.

في بواطن القرآن

قد أشرنا في الرسالة المذكورة (النظرة الحسينية) بنبذة في تحقيق بواطن القرآن، وإن شئت بياناً لذلك مما لم نذكره هناك فدونك كلمة الشيخ العظيم الآخوند ﵀ في الكفاية ص٩٥ التي عليها تعليق آية الله السيد محسن الحكيم -مد ظله العالي- فإنه قال بعد ذكره أن بواطن القرآن سبعة أو سبعون بكلمات له ما نصه: فلعله كان بإرادتها في أنفسها حال الاستعمال في المعنى لا من اللفظ، كما إذا استعمل فيها أو كان المراد من البطون لوازم معناه المستعمل فيه اللفظ، وإن كانت أفهامنا قاصرة عن إدراكها.

ولعلك ترغب في بيان أوضح، فإليك نبذة من كلام الحجة الشيخ عبد الحسين الكاظمي في شرحه لذلك قال: «ومن جملة معاني بطونه أن لحروفه تأليفات خاصة، يوشك أن لا تتناهى لها معان، وخواص وآثار -كما شهد بذلك جملة من الأخبار- وعلى ذلك ينطبق قوله عز من قائل: ﴿**وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ**﴾[1]. وإليك أيضاً بعضاً من بيان العلامة الحجة

---

(١) النحل: ٨٩.

المقدس الشيخ محمد علي القمي ﵀ في حاشيته على المتن المذكور، قال بعد الإشارة إلى لوازم المعنى ما نصه: أي لوازم المعنى بحيث يكون دلالة اللفظ عليها بالالتزام، وعدم دركنا تلك اللوازم ذاتاً أو وصفاً من جهة قصور أفهامنا. انتهى.

ثم أخذ في البيان واشترط في إرادة البطون الدلالة عليها من اللفظ إلى أن قال ما حاصله: فيمكن أن يكون المستعمل فيه اللفظ هو ذلك المعنى الكلي الذي بحسب اختلاف العوالم واختلاف القضايا والخصوصيات يختلف وبلحاظ الظهور والخفاء والأخفى بطون وظهور فكل مرجعه إلى واحد، ثم نقل عن المحقق القمي أن تعدد مرادات القرآن وتكثر معانيها، إنما هي بالنسبة إلى التأويلات. انتهى ملخصها.

ومن الأخبار في أن للقرآن بطوناً النبوي المروي في كتاب المجازات النبوية للحجة الشريف الرضي ﵁ فإليكه حرفياً، مع شرح الشريف الرضي له؛ كي نرى المعنى به محسوساً قال ﵁ في ص ٤٩ رقم الحديث ٢٨: ومن ذلك قوله عليه الصلاة والسلام: «أنزل القرآن على سبعة أحرف لكل آية ظهر وبطن» وهذا مجاز؛ لأنه لا ظهر للآية ولا بطن على الحقيقة، وإنما المراد أن لها فحوى وظاهراً وسراً وباطناً فالظهر ها هنا بمعنى الظاهر والبطن بمعنى الباطن، وهذا القول ينصرف إلى الآي المتشابهة دون الآيات المحكمة؛ لأن المتشابهة هي التي لا ظهر لها والمحكمة هي التي لا بطن لها والمتشابهة هي التي يستعمل فيها النظر، ويعمل فيها الفكر ويتفاضل العلماء في استفتاح مبهمها، واستنطاق معجمها.

في الفرق بين الباطن والظاهر وتحقيق دلالة اللفظ

ولعل بعض من لا يفهم الفرق بين المحكم والمتشابه، ومعنى التفسير والتأويل، يطلب مزيد إيضاح كي يفرق به بين الباطن والظاهر فلا بأس أن نفيده -ولو مخلصاً ببعض ما استفدناه من أمين الإسلام الشيخ فخر الدين، والفيلسوف الكاشاني- ولكن يحتاج ذلك أولاً لمقدمة: فاعلم أن دلالة اللفظ على المعنى: مطابقة، وتضمن، والتزام، فالأول: ما دل على تمام ما وضع له، والثاني ما دل على جزئه، والثالث ما دل على الخارج عنه، فلفظ الإنسان مثلاً يدل على الحيوان الناطق بالمطابقة وعلى الحيوان فقط أو الناطق كذلك بالتضمن، حيث أن معنى لفظ الإنسان متقوم منهما، فلا ريبة في أنه إذا أطلق يفهم منه الحيوان ضمناً والناطق كذلك، حيث أنه قيد للحيوان، فالإنسان مركب منهما، ويدل على ما يلزم من قبول التعليمات والعلم بالملازمة. ثم ينبغي أن نعلم أيضاً أن للفظ إطلاقات حقيقية ومجازية، فدلالته على معناه بدون القرائن حقيقية؛ لتبادر الأذهان إليه، كإطلاق الأسد على الحيوان المفترس، فالسامع يتبادر إلى ذلك بدون أي قرينة، بخلاف إطلاقه على الشجاع فدلالته عليه مجازية، لا تفهم إلا بالقرائن -مقالية أو حالية أو عقلية- وربما تشتهر بعض المجازات على بعض المعاني؛ فتستغني عن القرينة

بشهرة استعمالها، والاستعارة المجاز وأنواعها ثلاثة: تصريحية تحقيقية ومكنية وتخييلية والأولى ضربان: حسية كقولك رأيت أسداً يكتب، وعقلية كقوله تعالى: ﴿اهدِنَا الصِّرَاطَ المُستَقِيمَ﴾[1] والثانية والثالثة متلازمتان، كقولهم: أنشبت المنية أظفارها بفلان، فتشبيه المنية بالسبع استعارة مكنية، وإثبات الأظافر لها تخييلية. والكناية ليست من المجاز، ولا صريح الحقيقة، والمراد من الكناية ترك التصريح بذكر الشيء إلى ذكر لازمه؛ لينتقل من المذكور إلى المتروك، كما تقول: فلان كثير الرماد؛ لينتقل إلى ما هو ملزومه، وهو الكرم.

وينبغي أيضاً أن تعلم أن للفظ إطلاقات، فيكون عاماً وخاصاً ومطلقاً ومقيداً، فالأول: كقولك: أكرم المؤمنين -مثلاً- والثاني: كقولك: المؤمنين المتقين، والثالث: كقولك: أكرم مؤمناً، والرابع: كقولك: مؤمناً تقياً -مثلاً- والقيد للمطلق، وتخصيص العام بالوصف، أو بالشرط، أو بالظرف، أو بغير ذلك، سواء كان منفصلاً أو متصلاً، وقد عرفت مثال المتصل، وتقول في تخصيص العام بالمنفصل بعد قولك: أكرم المؤمنين، بمدة لا تخرج عن كونه كلاماً واحداً، لا تكرم الفاسقين منهم، وقس على ذلك المطلق والمقيد.

فهذه نبذة يسيرة نافعة، لما حرر من معنى الباطن، وفيما يحرر من فوائد من ذكرنا من علماء التفسير فإليك بعضاً من ذلك:

قال الشيخ فخر الدين في مادة (حكم) -بعد بيانه المحكم في اللغة ما نصه-: «وفي الاصطلاح -على ما ذكره بعض المحققين- يطلق على ما اتضح معناه، وظهر لكل عارف باللغة، وعلى ما كان محفوظاً من النسخ أو التخصيص أو منهما معاً، وعلى ما كان نظمه مستقيماً خالياً عن الخلل، وعلى ما لا يحتمل من التأويل إلا وجهاً واحداً، ويقابله بكل من هذه المتشابه» من

---

(١) الفاتحة: ٦.

ص٥٢٣[١] إلى أن قال رحمه الله في ص٥٢٥: «وينقسم المحكم إلى النص وهو الراجح المانع من النقيض كقوله تعالى: ﴿وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾[٢]، «والظاهر» هو الراجح الغير المانع من النقيض كقوله تعالى: ﴿فَاقْتُلُواْ الْمُشْرِكِينَ﴾[٣] ونحوه»[٤].

وقال تنتئ في ص٤٧٠ في مادة (أول) ما حاصله: أن التأويل إرجاع الكلام، وصرفه عن معناه الظاهري إلى معنى أخفى منه، فتأويل الآية النظر إلى ما يؤول معناه[٥].

وقال المحقق الكاشاني -في المقدمة الرابعة من كتابه المسمى بالصافي ص٧- كلاماً جيداً مبسوطاً لا يسعه المقام، وقد أورد قبله روايات معصومية توضح لك المقام، فمنها عن حمران بن أعين عن أبي جعفر عليه السلام قال عليه السلام: ظهر القرآن الذي نزل فيهم، وبطنه الذين عملوا بمثل أعمالهم.

وبإسناده عن الفضيل بن يسار، قال: سألت أبا جعفر عليه السلام عن هذه الرواية: ما في القرآن آية إلا ولها ظهر وبطن، وما فيه حرف إلا وله حد، ولكل حد مطلع، ما يعني بقوله لها ظهر وبطن؟ فقال عليه السلام: ظهره تنزيله وبطنه تأويله. الخبر.

وعن أمير المؤمنين عليه السلام قال: ما من آية إلا ولها أربعة معان: ظاهر، وباطن، وحد، ومطلع. فالظاهر: التلاوة، والباطن: الفهم إلى آخر الخبر...

---

(١) مجمع البحرين، الطريحي، تجدها في الطبع الحديث، ج٦، ص٤٣، منشورات دار إحياء التراث العربي.

(٢) الأنعام: ١٠١.

(٣) التوبة: ٥.

(٤) مجمع البحرين، الطريحي، تجدها في الطبع الحديث، ج٦، ص٤٤.

(٥) مجمع البحرين، الطريحي، تجدها في الطبع الحديث، ج٥، ص٣١١.

وقال أمين الإسلام في الفن الثالث من مقدمة مجمع البيان: التفسير كشف المراد عن اللفظ المشكل، والتأويل رد أحد المحتملين إلى ما يطابق الظاهر، وأخذ رضي الله عنه في تحقيق ذلك بقول حسن مبسوط نأخذ منه تيمناً النبويين: أحدهما: قوله صلى الله عليه وآله: «إذا جاءكم عني حديث فاعرضوه على كتاب الله، فما وافقه فاقبلوه، وما خالفه فاضربوا به عرض الحائط». الثاني عنه صلى الله عليه وآله: أنه قال: «أعربوا القرآن والتمسوا غرائبه».

وقال رحمه الله تعالى: (ما معناه): إنما يتأتى ذلك فيما يتضح أما غيره فيرجع فيه إلى رسول الله صلى الله عليه وآله، وحججه عليهم السلام. فبهذا وما ذكر قبله من كلام العلماء، وما أفدناك به من الكلام في إطلاقات اللفظ بأقسامه، تتصور معنى الباطن والظاهر في القرآن الكريم، فالباطن مساوق لمعنى التأويل، أو لازم له فانظر إلى الكلمات المذكورة عن الشريف الرضي، والشيخ العلامة فخر الدين وغيرهما؛ تعرف صحة ما قلناه، فراجع ما ذكرناه من اتصاف اللفظ بالعموم وغيره مما حررناه، فخفاء المعنى قد يحصل من الاشتراك اللفظي كالقرء مثلاً، لاشتراكه بين الطهر والحيض، فلا تعرف معنى قوله تعالى:﴿**ثَلاَثَةَ قُرُوَءٍ**﴾[1]. إلا ببيان النبي صلى الله عليه وآله، أو الحجج عليهم السلام، قال أمين الإسلام رضي الله عنه: والمراد بالقروء الأطهار عندنا. وربما يحصل الخفاء من الاشتراك المعنوي مثل قوله تعالى: ﴿**وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِنْهُ**﴾[2] أو الحقيقة والمجاز مثل قوله تعالى: ﴿**وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ الله مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُواْ بِمَا قَالُواْ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ**﴾[3] وقرينة المجاز هنا عقلية؛ لانتفاء الجارحة عنه تعالى بالعقل قطعاً، واليد في النعمة والقدرة كثيرة الاستعمال عند العرب، قال أمين الإسلام رضي الله عنه: اليد في اللغة على خمسة أوجه: بمعنى الجارحة، والنعمة،

---

(١) البقرة: ٢٢٨.

(٢) هود: ١٧.

(٣) المائدة: ٦٤.

والقدرة، والملك، وتحقيق إضافة الفعل، ومثّل معنى الملك بقوله تعالى: ﴿**الَّذِي بِيَدِهِ عُقْدَةُ النِّكَاحِ**﴾[1] ولتحقيق إضافة الفعل بقوله تعالى: ﴿**لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ**﴾[2]، وللقوة وهي القدرة بقوله تعالى: ﴿**أُوْلِي الأَيْدِي وَالأَبْصَارِ**﴾[3] وللنعمة بقولهم: (لفلان عندي يد أشكرها) أي نعمة إلى أن قال: وقد يستعار اليد للشيء الذي لا يد له، تشبيهاً بمن له اليد قال ابن الإعرابي: يد الدهر: كله، وأخذ في بيان المعنى حتى قال فليس لذكر اليد هنا معنى إلا الجود.

ولا يخفى أن المعنى الحقيقي منها هو الجارحة فقط والباقي مجاز في الكلمة.

---

(١) البقرة: ٢٣٧.

(٢) ص: ٧٥.

(٣) ص: ٤٥.

فيما ورد من الآيات في محمد وآله عليهم السلام

ومن الألفاظ التي ظاهرها العموم ويراد منها الخصوص قوله تعالى: ﴿أَفَمَن كَانَ عَلَى بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ﴾[1] قال أمين الإسلام في تفسيرها: وتقديره هل الذي كان على برهان، وحجة من الله تعالى، والمراد بالبينة هنا القرآن، والمعني بقوله: ﴿أَفَمَن كَانَ عَلَى بَيِّنَةٍ﴾ النبي صلى الله عليه وآله وأخذ في البيان حتى قال: أي ويتبعه من يشهد بصحته منهم، ثم أخذ في التفسير إلى أن روى عن أبي جعفر وعلي بن موسى عليهما السلام أن ذلك الشاهد هو أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام.

ومما ظاهره العموم وأريد به الخصوص قوله تعالى: ﴿اتَّقُواْ اللهَ وَكُونُواْ مَعَ الصَّادِقِينَ﴾[2] فإليك بعض ما قاله الشيخ المذكور في المجمع ما نصه: ومعناه: كونوا على مذهب من يستعمل الصدق في أقواله وأفعاله، وصاحبوهم ووافقوهم، كقولك: أنا مع فلان في هذه المسألة، وأخذ في

---

(١) هود: ١٧.

(٢) التوبة: ١١٩.

البيان إلى أن روى عن أبي جعفر عليه السلام في قوله تعالى: ﴿وَكُونُواْ مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ قال عليه السلام: مع آل محمد.

ونقل الشيخ سليمان القندوزي في الينابيع ص٩٨ الباب التاسع والثلاثين مضمون هذا القول عن موفق بن أحمد الخوارزمي عن أبي صالح عن ابن عباس رضي الله عنه، وفي الينابيع من هذا النحو كثير وقد عقد فيه تسعة عشر باباً تبلغ خمساً وعشرين صفحة في أهل البيت عليهم السلام من طريق الجمهور وقد ذكرنا جملة منها في كتابنا النظرة الحسينية ولنذكر نبذة منها مما لم يذكر هناك تيمناً وشاهداً على ما ذكرناه من قضية بطون القرآن فإليك ما قاله ملخصاً في الباب الحادي والعشرين عن موفق في تفسير قوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاء مَرْضَاتِ اللهِ﴾[1] عن علي بن الحسين عليه السلام: إن أول من شرى نفسه ابتغاء مرضاة الله هو علي بن أبي طالب.

ونقل الشيخ المذكور عن جمع الفوائد عن ابن عباس قال: قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَـهُم بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلاَنِيَةً﴾[2] نزلت في علي، كانت عنده أربعة دراهم فأنفق بالليل واحداً وفي النهار واحداً وفي السر واحداً وفي العلانية واحداً. وقد ذكرنا[3] استشهاد ابن أبي الحديد بها على جوده عليه السلام.

وقال في الباب الثاني والعشرين في تفسير قوله تعالى: ﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الحَاجِّ﴾[4] الآية أن من آمن بالله إلى آخر الأوصاف معني به علي عليه السلام عن صحيح النسائي، وعن ابن المغازلي، والحمويني، وأبي نعيم الحافظ،

---

(١) البقرة: ٢٠٧.

(٢) البقرة: ٢٧٤.

(٣) في كتابنا النظرات.

(٤) التوبة: ١٩.

والمالكي، ونقل أيضاً عن الحافظ، والثعلبي بسنديهما عن أسماء بنت عميس رضي الله عنها في تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِن تَظَاهَرَا عَلَيْهِ﴾[1] الآية عن النبي صلى الله عليه وآله أن المراد بصالح المؤمنين علي وولده عليهم السلام، قال صلى الله عليه وآله لعلي: «فأنت والمؤمنون من أهل بيتك الصالحون».

وفي الباب الثالث والعشرين عن الحافظ بسنده عن ابن عباس رحمه الله أن قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ﴾[2] نزلت في علي عليه السلام.

وفيه أيضاً عن الحافظ عن ابن عباس رضي الله عنه والصادق عليه السلام أن قوله تعالى: ﴿رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللهَ عَلَيْهِ﴾[3] نزلت في علي وحمزة وجعفر عليهم السلام.

وفي الباب الخامس والعشرين عن الحافظ والثعلبي والحمويني في تفسير قوله تعالى: ﴿مَن جَاء بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِّنْهَا﴾[4] إلى آخرها عن الجدلي، قال علي عليه السلام: «الحسنة حبنا والسيئة بغضنا».

وفي الباب الثامن والعشرين عن الحاكم بسنده عن الصادق عليه السلام قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً﴾[5] -إلى آخرها- عنى أمير المؤمنين عليه السلام.

وفيه أيضاً أخرج أبو القاسم الحسكاني بسنده إلى أمير المؤمنين في تفسير قوله تعالى: ﴿فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ﴾[6] وقوله تعالى: ﴿وَأَذَانٌ مِّنَ اللهِ

---

(١) التحريم: ٤.
(٢) الأنفعال: ٦٢.
(٣) الأحزاب: ٢٣.
(٤) النمل: ٨٩.
(٥) الملك: ٢٧.
(٦) الأعراف: ٤٤.

﴿وَرَسُولِهِ﴾[1] قال عليه السلام: أنا ذلك المؤذن.

وفيه أيضاً في الباب الثلاثين عن الثعلبي وابن المغازلي بحذف السند عن الباقر عليه السلام أن قوله تعالى: ﴿وَمَنْ عِندَهُ عِلْمُ الكِتَابِ﴾[2] يعني علياً عليه السلام.

وفي الباب السابع والثلاثين قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلاَ تَتَّبِعُواْ السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ﴾[3] نقلاً عن المناقب عن الإمام الباقر عليه السلام قال: الصراط المستقيم الإمام ﴿وَلاَ تَتَّبِعُواْ السُّبُلَ﴾ يعني غير الإمام ﴿فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ﴾ ونحن سبيله.

فهذه اثنتا عشرة آية التقطناها من الكتاب المذكور، وهو ينابيع المودة، ولو استقصينا لخرجنا عن الموضوع، وإنما الغرض التيمن والتأييد لما ذكرنا، وتخصيصنا البيان من أخواننا أهل السنة تنويها بشهادتهم بفضل أهل البيت عليهم السلام.

---

(١) التوبة: ٣.

(٢) الرعد: ٤٣.

(٣) الأنعام: ١٥٣.



التصديق ببواطن القرآن

في تمام الحجة على التصديق ببواطن القرآن وحاجة بيانه إلى المعصومين عليهم السلام .

فتدبر ما حرر تتصور وتصدق بها قرر من قضية بطون القرآن، فأنت إذا درست النبذة المتقدمة في قضية أقسام إطلاقات اللفظ، وعطفت ببصيرتك على ما تُلي عليك من الآيات الشريفة، رأيت فيها العام والخاص، والمجمل والمبين، والحقيقة والمجاز، كما فصلناه، وربما يكون الإجمال من ناحية إبهام الاسم لشياعه، فيبينه النبي صلى الله عليه وآله والحجج، كما عرفت في قوله تعالى: ﴿**وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ**﴾ وربما لعموم الوصف أو الموصوف، فيبين المراد بأظهر المصاديق وهو رسول الله صلى الله عليه وآله في قوله تعالى: ﴿**أَفَمَن كَانَ عَلَى بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِ**﴾[1] وآل محمد صلى الله عليه وآله في قوله تعالى: ﴿**وَكُونُواْ مَعَ الصَّادِقِينَ**﴾[2] كما بين وقد عرفت أيضاً أن القرائن عقلية وحالية ومقالية فالقرينة الفعلية للمجاز تصرف اللفظ عن الحقيقة ضرورة، وإن توقف فهم المراد على بيان أهله، كما

(١) هود: ١٧.

(٢) التوبة: ١١٩.

في قوله تعالى: ﴿وَجَاء رَبُّكَ﴾[1] فقيل: أمره، وقيل: جلائل آياته، وغير ذلك، كما أفاده أمين الإسلام في تفسير سورة الفجر، وهذا من المجاز في الإسناد ومما يحتاج إلى البيان معود الضمير إذا احتَمل وجوهاً كقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الكِتَابَ فَلاَ تَكُن فِي مِرْيَةٍ مِّن لِّقَائِهِ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ﴾[2] فمقتضى قاعدة عود الضمير للأقرب رجوع الضميرين إلى الكتاب مع أن الضمير الأول لا يساعد على ذلك إلا بتأويل، ورجوعه إلى موسى عليه السلام أظهر بالقرينة اللفظية، وهو (لقا) وقد قيل فيه بالوجهين، وكذلك في الضمير الثاني مع تساوي الوجهين في صحة المعنى، إلا مزية القرب في عوده على الكتاب، ومثل ذلك في عدم تعين المعود قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً﴾ فإنه بظاهره يعود على الحشر، مع أنه قيل بعوده للعذاب القريب يوم بدر، وقيل للحشر بتأويل لفظ (رأوه) بمضارعه بمعنى الاستقبال كما أفاده أمين الإسلام، والغرض من ذلك تقريب ما ذكرناه عن الحاكم عن الصادق عليه السلام، من عود الضمير لأمير المؤمنين عليه السلام، فلا تستبعده فمورده غير متهم، ومن قطع بوروده عن الإمام عليه السلام لزمه الجزم به وإلا فليس بمؤمن.

---

(١) الفجر: ٢٢.

(٢) السجدة: ٢٣.

في تقريب ما ورد من بعض الآيات في الأمير عليه السلام

ومما يضاهي ذلك، بل هو أقرب إلى الظاهر قوله تعالى: ﴿**فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ * وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ**﴾[1] فإن معود الضمير عليٌّ عليه السلام كما نقله في الينابيع في الباب السادس والعشرين قال ما حاصله: أخرج ابن المغازلي بسنده المتصل عن جابر، عن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: «لا ألفينكم ترجعون بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض» فأنزل الله هذه الآية: ﴿**فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ**﴾ وإنه (أي علياً) ﴿**لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ**﴾[2] ولقومك ﴿**وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ**﴾ عن حبّ علي عليه السلام[3]. انتهى المراد من الخبر.

ووجه التقريب ما ورد في الصافي عن الباقر عليه السلام، من تفسير الصراط بولاية علي عليه السلام، فأصبح عود الضمير عليه قريباً جداً، وإرادة المتكلم خلاف ظواهر اللفظ كثيرة الجريان في المحاورات اتكالا على قرينة الحال، أو

(١) الزخرف: ٤٣ - ٤٤.

(٢) الزخرف: ٦١.

(٣) ينابيع، ج١، ص٩٧. مناقب أمير المؤمنين لابن المغازلي، ص١٧٧.

المقال، أو العقل.

وكثير من معاني القرآن المجيد يوكل بيانه إلى الحجج عليهم السلام، وقد أفدناك بأن بيان المراد من اللفظ قد يكون من عموم المعنى المصداقي -وإن كان العام نزل في قضية خاصة- فذكره فيها لا يخصصه بها، فمن ذلك قوله تعالى: ﴿**وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الوَارِثِينَ**﴾[1] فإنها بظاهرها في بني إسرائيل مع أنها منطبقة على أئمة المسلمين علي عليه السلام وولده المعصومين عليهم السلام، كما روي عنهم عليهم الصلاة والسلام.

ففي المجمع قال الطبرسي رضي الله عنه بعد تفسيرها: وقد صحت الرواية عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: «والذي فلق الحبة، وبرأ النسمة، لتعطفن الدنيا علينا -بعد شماسها- عطف الضروس على ولدها، وتلا عقيب ذلك ﴿**وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الوَارِثِينَ**﴾ الآية، وروي عن السجاد والباقر عليهما السلام ما هو بمعناها.

---

(١) القصص: ٥.

في بقية ما أوردناه من الآيات في الآل عليهم السلام

ومما يقطع عليه بأن المراد به غير ظاهره قوله تعالى في آية المباهلة: ﴿وَأَنفُسَنَا وأَنفُسَكُمْ﴾[١] فإن المراد بالأنفس أمير المؤمنين علي عليه السلام، فهو نفس النبي صلى الله عليه وآله، بلا شك كما صرح به المفسرون من الفريقين، ومنهم: الزمخشري، والرازي، والبيضاوي ﴿وَإِنَّهُ لَحَقُّ اليَقِينِ﴾ لأن الإنسان لا يمكن أن يدعو نفسه، فلا بد أن يدعو غيره، وهو علي عليه السلام، إذ لم يدع غيره، وهذا مسلم عند المسلمين، وإليك بعضاً من كلام أمين الإسلام في الآية الشريفة من سورة آل عمران قال رضي الله عنه ما نصه: «وأنفسنا» يعني علياً عليه السلام خاصة، ولا يجوز أن يراد به النبي صلى الله عليه وآله لأنه صلى الله عليه وآله هو الداعي، ولا يجوز أن يدعو الإنسان نفسه، وإنما يصح أن يدعو غيره، وإذا كان قوله «وأنفسنا» لا بد أن يكون إشارة إلى غير الرسول صلى الله عليه وآله، وجب أن يكون إشارة إلى علي عليه السلام؛ لأنه لا أحد يدعي دخول غير أمير المؤمنين علي عليه السلام، وزوجته، وولديه عليهم السلام، في المباهلة وهذا يدل على غاية الفضل.

---

(١) آل عمران: ٦١.

وهذا وإن كان كافياً في المطلوب، لكن مغناطيس حبك الآل عليهم السلام يجاذبك الرأي من جهة فضلهم عليهم السلام، فكثيراً ما يسترّ المحب بذكر مقاماتهم العالية عند رب العالمين -سيما ما كان بشهادة علماء المسلمين- فإليك كلمات ملتقطة من كلام السيد النبيل، البحاثة الحجة السيد عبد الحسين شرف الدين الموسوي رحمه الله في الكلمة الغراء، وهو كلام جليل شافٍ [1]، عند كلامه عن آية المباهلة، قال رحمه الله تعالى ما نصه: بقي ما دلت عليه الآية من خصائص علي عليه السلام فضل تضمحل دونه الخصايص، وتفنى في جنبه الفضايل، والمناقب، ألا وهو كونه نفس النبي صلى الله عليه وآله، وجارياً بنص الآية مجراه، الفضل الذي تعنو له الجباه بخوعاً.. إلى أن قال تغمده الله تعالى برحمته: وأنت إذا عرفت أن الله عز وجل قد أنزل نفس علي عليه السلام، منزلة نفس النبي صلى الله عليه وآله، وأجراها في محكم الذكر مجراها، لا ترتاب -حينئذ- في أنه أفضل الأمة وأولاها برسول الله صلى الله عليه وآله، حياً وميتاً، وقد صرح أولياء أهل البيت، واعترف أعداؤهم -بدلالة الآية الشريفة- على هذا التفضيل الخالد في القرآن ذكره.

ونقل رحمه الله عن الرازي الاعتراف بذلك، ومناقشة الشيخ محمود حسن الحمصي في تفضيله علياً عليه السلام على الأنبياء بهذه الآية وساق عين عبارته فمنها ما نقله عن محمود المذكور، تفضيل علي عليه السلام على الأنبياء ما نصه: واستدل على ذلك بقوله تعالى: ﴿وَأَنفُسَنَا وأَنفُسَكُمْ﴾ إذ ليس المراد بقوله: ﴿وَأَنفُسَنَا﴾نفس محمد صلى الله عليه وآله؛ لأن الإنسان لا يدعو نفسه بل المراد غيره، وأجمعوا على أن الغير كان علي بن أبي طالب عليه السلام، فدلت الآية على أن نفس علي عليه السلام، هي نفس محمد صلى الله عليه وآله، ولا يمكن أن يكون المراد من هذه النفس، هي عين تلك، فالمراد أن هذه مثل تلك النفس، وذلك يقتضي المساواة في جميع الوجوه، تركنا العمل بهذا العموم في حق النبوة وفي حق الفضل؛ لقيام

---

(١)من ص٥ إلى ص٧.

الدلائل على أن محمداً صلى الله عليه وآله، كان نبياً، وما كان علي كذلك، ولانعقاد الإجماع على أن محمداً كان أفضل من علي، حتى انتهت عبارة الرازي فقال السيد: وقد كفانا بيان الوجه في دلالة تفضيل علي على الصحابة[1].

يريد السيد رحمه الله أن الرازي لم يناقش خصمه إلا في أفضلية علي عليه السلام على الأنبياء حيث أن الشيخ محمود صرح بانعقاد إجماع المسلمين على أفضلية النبي محمد صلى الله عليه وآله على كل الأنبياء فعلي عليه السلام كذلك ويجيبه الرازي بدعوى الإجماع على أفضلية الأنبياء على غيرهم مطلقاً والسيد -مد ظله- يجيب الرازي بقوله: على أن الإجماع الذي صال به الرازي على المحمود لا يعرفه المحمود ومن يرى رأيه فافهم وراجعه ففيه سرور القلوب.

ومما يسر القلوب أيضاً ما أورده الشيخ سليمان القندوزي -المتقدم ذكره- من الصواعق المحرقة لابن حجر، في الباب التاسع والخمسين من الينابيع في فضايل أهل البيت عليهم السلام (من ص٢٣٣ إلى ص٢٦٠) وفيه فصول منها فصل يشتمل على أربعة عشر آية فيهم عليهم السلام:

١- آية التطهير[2]

٢- آية ﴿إِنَّ اللهَ وَمَلاَئِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ﴾[3]

٣- آية ﴿سَلاَمٌ عَلَى إِلْ يَاسِينَ﴾[4]

٤- آية ﴿وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْئُولُونَ﴾[1]

---

(١) الكلمة الغراء، ص١٥، نقلاً عن (مفاتيح الغيب) للرازي، ج٢ ص٤٨٨.
(٢) الأحزاب: ٣٣.
(٣) الأحزاب: ٥٦.
(٤) الصافات: ١٣٠.

٥- آية ﴿وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ الله﴾[٢] وقال: إنهم عليهم السلام حبل الله، إلى أن قال ما نصه: الآية الثانية عشرة ﴿وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ﴾ [٣] قال مقاتل ومن تبعه من المفسرين: إن هذه الآية نزلت في المهدي.

وقال أيضاً عند كلامه عن آية المباهلة وهي محل شاهدنا ما نصه في الكشاف لا دليل أقوى من هذا على فضل أصحاب الكساء وهم علي وفاطمة والحسنان لأنها لما نزلت دعاهم صلى الله عليه وآله فاحتضن الحسين عليه السلام وأخذ بيد الحسن عليه السلام ومشت فاطمة خلفه، وعلي خلفهما، فعلم أنهم المراد بالآية، وعلم أن أولاد فاطمة وذريتها يُسمّون أولاده وأبناءه.

وأخذ يروي فضائلهم إلى أن قال: وأخرج الدارقطني، أن علياً عليه السلام يوم الشورى احتج على أهلها، فقال لهم: أنشدكم بالله هل فيكم أقرب إلى رسول الله صلى الله عليه وآله في الرحم مني ومن جعله الله نفسه وأبناءه أبناءه ونساءه نساءه غيري؟ قالوا: اللهم لا. فراجعه يحيى قلبك، وتسر وتكن من الفرحين ﴿فَرِحِينَ بِمَآ آتَاهُمُ اللهُ مِن فَضْلِهِ﴾[٤] ﴿ذَلِكَ فَضْلُ اللهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاء﴾[٥]

---

(١) الصافات: ٢٤.

(٢) آل عمران: ١٠٣.

(٣) الزخرف: ٦١.

(٤) آل عمران: ١٧٠.

(٥) المائدة: ٥٤.

في دفع استبعاد بطون القرآن

واحتجاج غير أهله به ودفع أهل الشبهة عنه:

وأنت إذا أحطت خبراً بما حررناه من تفسير الآيات، وقضية بواطن القرآن، وما فيه من الحقيقة والمجاز، والعموم والخصوص، وغير ذلك... اندفع عنك الاستبعاد فيما ذكر، وعرفت أن القرآن لا بد له من حافظ عالم بما فيه من البيان، معصوم عن الخطأ والنسيان، يدفع عنه شبه المبطلين، وإرجاف الغاوين، ويلزمك الإذعان بما قطعت به عن المعصومين، والتسليم لهم فيما اشتبه عليك بيانه، والتدين فيما شككت في وروده عنهم بواقعه، ومن أجل ذلك صار يحتج به غير أهله من الزنادقة، وغيرهم على مزاعمهم الفاسدة ومذاهبهم الكاسدة. وأئمتنا المعصومون عليهم السلام لا زالوا في تحقيق الحق، وإبطال الباطل، حتى مضوا إلى ربهم، وغاب قائمهم -عجل الله فرجه وسهل مخرجه وجعلنا من أنصاره- وهؤلاء علماؤهم الحجج نواب عنهم -رحم الله الماضين ومتعنا ببقاء الباقين-.

ولنذكر لك نبذة يسيرة شاهداً على ما ذكرناه من كتاب الاحتجاج للشيخ الطبرسي رحمه الله[١]، من حديث في احتجاج أمير المؤمنين عليه السلام على

---

(١) للشيخ أبي منصور أحمد بن علي بن أبي طالب.

الزنديق حين جاء مستدلاً عليه بآي من القرآن المجيد متشابهة، تحتاج إلى التأويل على أنها تقتضي التناقض والاختلاف فيه وعلى أمثاله في أشياء أخر، قال أمير المؤمنين عليه السلام للزنديق: ما هو؟ قال الزنديق: ﴿نَسُواْ اللهَ فَنَسِيَهُمْ﴾[1] وقوله تعالى: ﴿فَاليَوْمَ نَنسَاهُمْ كَمَا نَسُواْ لِقَاء يَوْمِهِمْ هَذَا﴾[2] وقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾[3] وقوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلاَئِكَةُ صَفًّا لاَّ يَتَكَلَّمُونَ إِلاَّ مَنْ أَذِنَ لَهُ الرحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا﴾[4] وقوله تعالى: ﴿وَاللَّـهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾[5] إلى آخر السؤال فلاحظ، ودونك نبذة من جواب أمير المؤمنين عليه السلام حرفياً، فأما قوله تعالى: ﴿نَسُواْ اللهَ فَنَسِيَهُمْ﴾ إنما يعني نسوا الله في دار الدنيا لم يعملوا بطاعته؛ فنسيهم في الآخرة، أي لم يجعل لهم من ثوابه شيئاً، وكذلك تفسير قوله تعالى: ﴿فَاليَوْمَ نَنسَاهُمْ كَمَا نَسُواْ لِقَاء يَوْمِهِمْ هَذَا﴾ يعني بالنسيان أنه لم يثبهم، كما يثيب أولئك الذين كانوا في دار الدنيا مطيعين ذاكرين حين آمنوا بالله وبرسوله وخافوه بالغيب، وأما قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾ فإن ربنا تبارك وتعالى عليم كبير، ليس بالذي ينسى، ولا يغفل، بل هو الحفيظ العليم، وقد تقول العرب: قد نسينا فلان فلا يذكرنا، أي أنه لا يأمر لهم بخير، ولا يذكرهم به.

قال علي عليه السلام وأما قوله عز وجل: ﴿وَيَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلاَئِكَةُ صَفًّا لاَّ يَتَكَلَّمُونَ إِلاَّ مَنْ أَذِنَ لَهُ الرحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا﴾ وقوله تعالى: ﴿وَالله رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾، وأخذ في ذكر الآيات المتقدمة، إلى أن أجاب بقوله: فإن ذلك في غير

---

(١) التوبة: ٦٧.

(٢) الأعراف: ٥١.

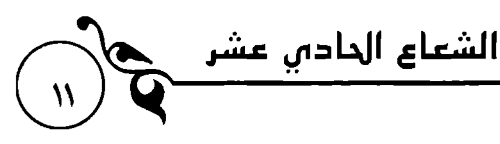
(٣) مريم: ٦٤.

(٤) النبأ: ٣٨.

(٥) الأنعام: ٢٣.

واحد من مواطن ذلك اليوم، الذي كان مقداره خمسين ألف سنة. ثم أخذ في ذكر الأسئلة والجواب عنها حتى قال عليه السلام: ثم يجتمعون في مواطن؛ فيستنطقون فيه فيقولون: ﴿وَاللهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ وهؤلاء خاصة هم المقرون في دار الدنيا بالتوحيد، فلا ينفعهم إيمانهم بالله؛ لمخالفتهم رسله وشكهم فيما أتوا به من ربهم، ونقضهم عهودهم في أوصيائهم، واستبدالهم الذي هو أدنى بالذي خير؛ فكذبهم الله تعالى فيما انتحلوه من الإيمان بقوله عز وجل: ﴿انظُرْ كَيْفَ كَذَبُواْ عَلَى أَنفُسِهِمْ﴾[1] فيختم الله على أفواههم، وأخذ عليه السلام في البيان إلى أن قال: ثم يجتمعون في مواطن أخر يستنطق فيه أولياءه وأصفياءه فلا يتكلم أحد إلا من أذن له الرحمن وقال صوابا، فيقام الرسل فيسألون عن تأدية الرسالة، التي حملوها إلى أممهم، فأخبر أنهم أدوا ذلك إلى أممهم إلى أخره... والحديث طويل فراجعه من ص١٢٥ إلى ص١٣٩.

(١) الأنعام: ٢٤.



في اشتراط التوحيد بولايتهم عليهم السلام

وفيه أربعون خبراً:

في الحديث المتقدم نكتة شريفة، ينجذب إليها قلب المحب بجاذب الحب لها، وهي إشارته عليه السلام في جوابه إلى اشتراط التوحيد بولايتهم عليهم السلام، بقوله: «ونقضهم عهودهم في أوصيائهم» إلى آخره... وهو مصرح به في أحاديث قدسية ونبوية، فإليك بعضاً منها، تتميماً للفائدة، ومزيداً للسرور، ففيها ما يثلج الأفئدة بسنده -فضلاً عن متنه- كما في كتاب إيضاح دفائن النواصب، للشيخ أبي الحسن محمد بن أحمد بن علي بن شاذان، وهو يحتوي على مائة منقبة، من طرق الجمهور، قال رحمه الله ما نصه:

١- المنقبة السادسة والأربعون: عن أبي الصلت الهروي رضي الله عنه، خادم الإمام الرضا عليه السلام، قال: سمعت الرضا عليه السلام يقول: «سمعت أبي موسى بن جعفر عليه السلام يقول: سمعت أبي جعفر عليه السلام يقول: سمعت أبي محمداً عليه السلام يقول: سمعت أبي علياً عليه السلام يقول: سمعت أبي الحسين عليه السلام يقول: سمعت أبي أمير المؤمنين علياً عليه السلام يقول: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: سمعت الله -تعالى- يقول: «علي بن أبي طالب عليه السلام حجتي على خلقي،

ونوري في بلادي، وأميني على علمي، لا أُدخل النار من عرفه وإن عصاني، ولا أُدخل الجنة من أنكره وإن أطاعني ».

٢- وقال ﷺ في المنقبة السابعة عشرة في حديث طويل، خاطب الله تعالى به نبيه ﷺ ما نصه: « إني خلقتك وخلقت علياً وفاطمة والحسن والحسين والأئمة من ولده من شبح نور من نوري، وعرضت ولايتكم على أهل السماوات وأهل الأرضيين، فمن قبلها كان عندي من المؤمنين، ومن جحدها كان عندي من الكافرين، يا محمد، لو أن عبداً من عبيدي عبدني حتى ينقطع، ويصير كالشن البالي، ثم أتاني جاحداً لولايتكم ما غفرت له حتى يقر بولايتكم ».

٣- وفيه أيضاً في المنقبة التاسعة عن النبي ﷺ حديث، قال فيه لعلي ما نصه: « لو أن عبداً عبد الله ألف عام (وفي حديث آخر) ثم ألف عام ما قبل الله ذلك منه إلا بولايتك، وولاية الأئمة من ولدك، وإن ولايتك لا يقبلها الله إلا بالبراءة من أعدائك وأعداء الأئمة من ولدك، بذلك أخبرني جبرئيل » ﴿**فَمَن شَاء فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاء فَلْيَكْفُرْ**﴾[١].

٤- وفيه في المنقبة السابعة والثلاثين في حديث طويل نبوي قال ﷺ ما نصه: « ألا ومن مات على بغض آل محمد مات كافراً، ألا ومن مات على حب آل محمد مات على الإيمان، وكنت أنا كفيله بالجنة ».

٥- وفي الحديث الثاني والتسعين منه عن النبي ﷺ أن الله تعالى قال: « ومن لم يشهد أن لا إله إلا أنا، أو شهد بذلك ولم يشهد أن محمداً ﷺ عبدي ورسولي، أو شهد بذلك ولم يشهد أن علي بن أبي طالب عليه السلام خليفتي، أو شهد بذلك ولم يشهد أن الأئمة من ولده حججي فقد جحد نعمتي وصغر

---

(١) الكهف: ٢٩.

عظمتي وكفر بآياتي، وكتبي ورسلي، إن قصدني حجبته، وإن سألني حرمته، وإن ناداني لم أسمع نداءه، وإن دعاني لم أسمع دعاءه، وإن رجاني خيبته، وذلك جزاؤه مني وما أنا بظلاّم للعبيد».

٦- وفي الينابيع في الباب السادس والخمسين عن ذخائر العقبى لمحب الدين الطبري، عن ابن عباس: «لو أن رجلاً صف بين الركن والمقام وصام ثم لقي الله، وهو مبغض لأهل بيت رسول الله دخل النار».

٧- وفيه أيضاً قال ﷺ في آخر الحديث: «ولو أن رجلاً صف قدميه بين الركن والمقام وصلى ولقي الله تعالى وهو مبغض لأهل بيتي دخل النار».

٨- وفيه عن علي عنه ﷺ: «إن الله تعالى حرم الجنة على من ظلم أهل بيتي أو قاتلهم أو أعان عليهم».

٩- وفيه عن أم سلمة رضي الله عنها قالت: أشهد أني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من أحب علياً فقد أحبني، ومن أحبني فقد أحب الله، ومن أبغض علياً فقد أبغضني، ومن أبغضني فقد أبغض الله».

١٠- وفيه عن ابن عباس رضي الله عنه قال: «أشهد بالله سمعت رسول الله ﷺ يقول: من سب علياً فقد سبني ومن سبني فقد سب الله، ومن سب الله أكبه الله على منخريه في النار».

١١- وفيه عن جابر مرفوعاً: «من أحب علياً فقد أحبني، ومن أبغض علياً فقد أبغضني، ومن آذى علياً فقد آذاني ومن آذاني، فقد آذى الله عز وجل».

١٢- وفيه عن أبي ذر رضي الله عنه مرفوعاً: «يا علي، من فارقك فقد فارقني، ومن فارقني فقد فارق الله عز وجل».

١٣- وفي كتاب منتخب كنز العمال ص٣٠ ما نصه عن ابن عباس:

« لا يحبك إلا مؤمن ولا يبغضك إلا منافق » قاله لعلي عليه السلام.

وعن عمرو بن شاش: « من أحب عليًّا فقد أحبني، ومن أبغض عليًّا فقد أبغضني ».

١٤- وعن عمار بن ياسر رضي الله عنه: « ثلاث من كن فيه فليس مني ولا أنا منه: بغض علي، ونصب أهل بيتي، ومن قال الإيمان كلام ».

١٥- وفيه عن جابر: « من حسد علياً فقد حسدني، ومن حسدني فقد كفر ».

١٦- وأخرج الحاكم كما أورده آية الله السيد عبد الحسين شرف الدين رحمه الله في الفصول المهمة ص٤٠ حديثاً عن النبي صلى الله عليه وآله قال صلى الله عليه وآله في آخره ما نصه: « لو أن عبداً عبد الله تعالى ألف عام حتى يصير كالشن البالي، وهو لا يحبنا، أكبّه الله على منخريه في النار ». الخبر.

١٧- وفي الفصول المهمة أيضاً، ص١٢٨ وقال صلى الله عليه وآله فيما أخرجه الطبراني وغيره: « ما بال أقوام يبغضون علياً، ومن أبغض علياً فقد أبغضني » الخ.

١٨- وفي آمالي الصدوق رضي الله عنه حديث طويل، عن الصادق عليه السلام عن النبي صلى الله عليه وآله في علي قال صلى الله عليه وآله في آخره ما نصه: « ولا يقبل الله إيمان عبد إلا بولايته والبراءة من أعدائه ».

١٩- وفي كتاب المنتخب للعلامة الحجة المقدس، الشيخ فخر الدين الطريحي -طاب ثراه- ص٢١٢ طبع النجف الأشرف عن ابن عباس رضي الله عنه قال: « رأيت أبا ذر رضي الله عنه -وهو متعلق بأستار الكعبة- وهو يقول: من عرفني فقد عرفني، ومن لم يعرفني فأنا أبو ذر؛ والله لو صمتم حتى تكونوا كالأوتار، ولو صليتم حتى تكونوا كالحنايا، ما ينفعكم ذلك حتى تحبوا

علياً». انتهى.

وهذا الخبر موجود في غيره من الكتب المعتبرة بل معناه متواتر.

٢٠- وفي أمالي الصدوق رحمه الله حديث عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال: «إن حجة الله بعدي، علي بن أبي طالب عليه السلام. الكفر به كفر بالله، والشرك به شرك بالله، والشك فيه شك في الله تعالى».

٢١- وفي ص١٧٢ من كتاب الينابيع، عن كتاب ذخائر العقبى عن قيس ابن أبي حازم قال: التفت أبو بكر إلى علي عليه السلام، فتبسم في وجهه وقال: سمعت النبي صلى الله عليه وآله يقول: «لا يجوز أحد على الصراط إلا من كتب له علي الجواز». اللهم أجزنا على الصراط يا أرحم الراحمين.

٢٢- وفيه ص١٧٦ وعن مطلب بن عبد الله بن حنطب عن النبي صلى الله عليه وآله قال: «أيها الناس، أوصيكم بحب أخي وابن عمي، علي بن أبي طالب عليه السلام فإنه لا يحبه إلا مؤمن، ولا يبغضه إلا منافق».

٢٣- وفيه عن علي عليه السلام قال: «والذي فلق الحبة، وبرأ النسمة، إنه لعهد النبي صلى الله عليه وآله إلي أنه لا يحبني إلا مؤمن ولا يبغضني إلا منافق».

٢٤- وفيه عن جابر رضي الله عنه: «ما كنا نعرف المنافقين إلا ببغضهم علياً عليه السلام».

٢٥- وفيه عن أنس صفحة ١٧٧ قال: ذكر النبي صلى الله عليه وآله قولاً كثيراً وذكر الحديث وفيه قال صلى الله عليه وآله: «وعلى مبغضيه لعنة الله، ولعنة اللاعنين، والله منه بريء» إلى آخر الحديث...

٢٦- وفي العيون عن ابن عباس رضي الله عنه قال: قال رسول الله: «من أنكر إمامة علي عليه السلام، كان كمن أنكر نبوتي، ومن أنكر نبوتي، كان كمن أنكر

ربه عز وجل».

وفي كتاب سلام بن أبي عمرة، عن يونس بن حباب عن علي بن الحسين عليه السلام قال: «قام رسول الله صلى الله عليه وآله، فحمد الله وأثنى عليه فكان آخر قوله: والذي نفس محمد بيده، لو أن عبداً جاء يوم القيامة بعمل سبعين نبياً ما قبل الله منه ذلك، حتى يلقى ربه بولايتي، وولاية أهل بيتي عليهم السلام».

٢٨- وفي تفسير فرات عن أبي ذر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وآله، حديث طويل في علي عليه السلام، قال صلى الله عليه وآله فيه: «فمن أحبه كان مؤمناً، ومن أبغضه كان كافراً، ومن ترك ولايته كان ضالاً مضلاً، ومن جحد حقه كان مشركاً.

يا أبا ذر يؤتى بجاحد حق علي عليه السلام وولايته يوم القيامة أصم وأعمى وأبكم، يتكبكب في ظلمات يوم القيامة، ينادي منادٍ: يا حسرتا على ما فرطت في جنب الله»[1].

٢٩- وفيه عن الإمام أبي جعفر الباقر عليه السلام قال: «خرج رسول الله صلى الله عليه وآله يحدث علياً عليه السلام، حتى قال في أثناء حديثه: ما آمن بي من أنكرك، ولا أقرّ بي من جحدك، ولا آمن بالله من كفر بك».

٣٠- وفي عقاب الأعمال للصدوق رضي الله عنه بحذف الإسناد، عن حمران عن أبي جعفر عليه السلام قال: «لو أن كل ملك خلقه الله، وكلّ نبي بعثه الله، وكل شهيد وكل صديق شفعوا في ناصب أهل البيت، أن يخرجه الله عز وجل من النار، ما أخرجه الله تعالى أبداً، والله عز وجل يقول: ﴿مَاكِثِينَ فِيهِ أَبَدًا﴾[2]».

٣١- وفي الينابيع أيضاً عن كتاب الفردوس عن ابن عباس رضي الله عنه عن

(١) وردت الرواية في المناقب لابن شهرآشوب بدون لفظة (منادٍ).
(٢) الكف: ٣.

النبي صلى الله عليه وآله قال في آخر الحديث: «والله لا يدخل قلب الرجل الإيمان حتى يحبهم لله عز وجل ولقرابتهم مني».

٣٢- وفي مناقب شاذان القمي رضي الله عنه عن ابن عباس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وآله حديث في معراجه صلى الله عليه وآله إلى السماء قال فيه: «أتاني آت من عند ربي عز وجل فقال لي: يا محمد ربك يقرؤك السلام، ويقول لك: سل الرسل على ماذا أرسلتهم من قبلك؟ فقلت: معاشر الرسل على ماذا بعثكم ربي قبلي؟ فقالت: على ولايتك وولاية علي بن أبي طالب عليه السلام.

٣٣- وفي أمالي الشيخ رضي الله عنه ومناقب شاذان حديث طويل في فضل علي عليه السلام قال صلى الله عليه وآله في أثنائه ما معناه: أن قبول الله تعالى حسنة العبد موقوف على سؤال الله تعالى عبده عن حب علي عليه السلام، فمن مات على ولايته قبل عمله. ومن لفظ الحديث ما نصه: «وإن لم يأت بولايته، لا يقبل من عمله شيئاً، ثم يؤمر به إلى النار». نعوذ بالله منها.

٣٤- وفي كفاية الأثر[1] عن أنس بن مالك عن أبى ذر رضي الله عنه عندما قبل يد الحسنين عليهما السلام فقيل له في ذلك، فقال رضي الله عنه لو سمعتم ما سمعته فيهما من رسول الله صلى الله عليه وآله لفعلتم بهما أكثر مما فعلت قلنا وماذا سمعت يا أبا ذر؟ قال: سمعته صلى الله عليه وآله يقول لعلي عليه السلام ولهما: والله لو أن رجلاً صلى وصام حتى يصير كالشن البالي، إذاً ما نفعه صلاته وصومه إلا بحبكم، والبراءة من أعدائكم.

٣٥- وفي كتاب المحتضر للحسن بن سليمان عن جابر رضي الله عنه عن الباقر عليه السلام حديث طويل يصف فيه فضلهم قال عليه السلام فيه: «لا يقبل الله فيه من العباد عملاً إلا بمعرفتنا».

---

(١) للشيخ الثقة علي بن محمد بن علي القمي رضي الله عنه.

وفيه عن ابن عباس رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وآله حديث في معراجه أن الله عز وجل قال لي: «يا محمد من أطوع الخلق لك؟ فقلت: علي بن أبي طالب عليه السلام فقال عز وجل: فاتخذه خليفة ووصياً؛ فقد اتخذته صفياً ووليا. يا محمد كتبت اسمك، واسمه، على عرشي، من قبل أن أخلق الخلق، محبة مني لكما، ولمن أحبكما وتولاكما وأطاعكما، فمن أحبكما وتولاكما؛ كان عندي من المقربين، ومن جحد ولايتكما وعدل عنكما؛ كان من الكافرين الضالين.

٣٦- وفي كتاب روضة الكافي، عن محمد بن سليمان عن أبيه قال: كنت عند أبي عبد الله الصادق عليه السلام، إذ دخل أبو بصير رضي الله عنه ... وأخذ الراوي يصف شكاية أبي بصير حاله وحال الشيعة للصادق عليه السلام حتى قال عليه السلام ما نصه: «من لم يأت الله عز وجل بما أنتم عليه يوم القيامة لم يتقبل منه». والحديث طويل فراجعه.

٣٧- وفي كتاب لوامع الأنوار[1]، عن طارق بن شهاب عن أمير المؤمنين عليه السلام حديث طويل شريف، في صفة الإمام -من آل محمد- قال عليه السلام فيه ما نصه: «وإن الله تعالى لم يخلق خلقاً إلا وأخذ عليهم الإقرار بالوحدانية، والولاية للذرية الزكية، والبراءة من أعدائهم».

٣٨- وفي إرشاد الديلمي، عن ابن عباس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وآله حديث يذكر فيه سبق خلقهم على الأكوان، وفضلهم حتى قال صلى الله عليه وآله في أثنائه ما نصه: «وكان في علمه السابق، أن لا يدخل النار محب لي ولعلي عليه السلام، وكذا كان في علمه أن لا يدخل الجنة مبغض لي ولعلي».

٣٩- وفي كتاب الفردوس، كما في الينابيع عن معاذ بن جبل قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «حب علي حسنة لا تضر معها سيئة، وبغضه سيئة لا تنفع

(١) وهو مروي في البحار وفي كتاب العوالم لتلميذه الشيخ عبد الله البحراني.

معها حسنة ».

٤٠- وفي أمالي الصدوق رحمه الله حدثنا أحمد بن الحسن القطان قال: حدثنا عبد الرحمن بن محمد، قال: حدثني محمد بن إبراهيم بن محمد الفزاري قال: حدثني عبد الله بن يحيى الأهوازي، قال: حدثني أبو الحسن علي بن محمد، قال حدثنا الحسن بن محمد بن جمهور قال: حدثني علي بن بلال عن علي بن موسى الرضا عليه السلام عن موسى بن جعفر، عن جعفر بن محمد ، عن محمد بن علي، عن علي بن الحسين عن الحسين بن علي عن علي ابن أبي طالب عليهم السلام ، عن رسول الله صلى الله عليه وآله، عن جبرئيل، عن ميكائيل، عن إسرافيل، عن اللوح، عن القلم قال: يقول الله عز وجل: « ولاية علي بن أبي طالب عليه السلام حصني فمن دخل حصني أَمِنَ ناري ». انتهى.

وحررنا هذا السند خصوصاً؛ لشرفه لاتصاله بأسمائهم عليهم السلام باتصالها بباريهم -تعالى- فهو الشرف كل الشرف.

فهذه أربعون حديثاً، أوردناها شاهداً على ما قلناه من اشتراط التوحيد بولايتهم عليهم السلام ، وليس الغرض استقصاء الأخبار، إذ واحد منها كاف في المطلوب ولكن هذا العدد مختار لكثير من أجلاء علماء الفريقين لما ورد عنه صلى الله عليه وآله: « من حفظ على أمتي أربعين حديثاً مما يحتاجون إليه في أمر دينهم؛ بعثه الله عز وجل يوم القيامة فقيهاً عالماً » ولعلنا نكون من أهل ذلك[1]، وإن كان ما تقدم في أثناء النظرات يزيد على ذلك، ولعل لاجتماع العدد خصوصية، ولا شك أن ما كان في مثل هذا المقام من بيان معارف الدين وبيان مقاماتهم عليهم السلام له الخصوصية الراجحة، واستقصاء ذلك غير ممكن حتى بمئات الصحايف.

(١) بناء على عموم الحفظ للكتابة.

في العجز عن إحصاء فضائل أمير المؤمنين عليه السلام

تحقيق عجز الخلق عن إحصاء فضائله عليه السلام:

وتقريب ذلك بالتحليل العقلي والنقلي، وفي بلوغه فيها أعلى الدرجات، ففي مناقب الخوارزمي قال: أخبرني السيد الإمام الأجل المرتضى شرف الدين، عز الإسلام، علم الهدى، وساق السند المتصل بأجل الثقاة من العلماء، إلى أن قال: عن ابن عباس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «لو أن الغياض[1] أقلام، والبحر مداد، والجن حسّاب والأنس كتّاب، ما أحصوا فضايل علي بن أبي طالب»[2]. وفي الينابيع «لو أن الأشجار»[3].

هذا ولعل الجمود على ظواهر الألفاظ ينتهي بصاحبه إلى إنكار مثل هذا الخبر أو استبعاده، ولو التفت إلى ما قرر في قضية الأخبار الغير المقطوع بصدورها، من تجويز وقوعها ما لم تعارض الكتاب المقدس، والسنة المقطوع

---

(١) مفرده غيضة؛ وهي الأجمة: بمعنى الشجر الملتف.

(٢) كتاب المناقب، الموفق بن أحمد محمد المكي الخوارزمي، تحقيق الشيخ مالك المحمودي، ص٣٢.

(٣) ينابيع المودة، الشيخ سليمان القندوزي، ج١، ص١٢١.

بها، والعقل كما تقدم، لم يستبعد فإن عارضت بظاهرها، وأمكن رفع المعارضة، ولو بالتأويل الموافق للحقيقة أو المجاز أو الكناية تعين الأخذ بذلك، ولا ينبغي المسارعة إلى الإلغاء والطرح إلا بعد التأمل، فلننظر في مثل هذا الخبر، هل يمكن فيه ذلك فنتدين بواقعه إذا لم نقطع به أم لا؟.

فنقول العارف بطرق الكنايات والمجاز وضروب التأويل، متى تأمل؛ أمكنه تطبيقه على ما يوافق، فإنك ترى في طرق الكناية كثيراً من ذلك، فتقول لصاحبك مثلاً: قد قلت لك بالأمر الفلاني ألف مرّة، مع أنك لم تقل له إلا عشراً مثلاً، وإنما الغرض الكناية عن كثرة التكرار بذلك العدد الكثير، ومن كنايتهم عن كثير الجود، بقولهم: فلان حاتم، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿**إِن تَسْتَغْفِرْ لَـهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً**﴾[1] فإنه كناية عن الكثرة كما قاله الشيخ الطريحي في المجمع وأمين الإسلام، فليكن مثل الخبر من هذا القبيل؛ فيندفع به اعتراض المعترض بأن هذا لا يمكن في حق الإنسان، ولو تأمل في حق أمير المؤمنين عليه السلام، وقربه من مولاه، لم يعترض بتاً فهو عليه السلام، من سلم فضله بين الفريقين في كل الخصال الحميدة، من علم وشجاعة وحلم وكرم وزهد وتواضع، وغير ذلك من الكمالات الذاتية والخارجية، فقد بلغ فيها كلها النهاية، فلا يدانيه أحد بعد النبي صلى الله عليه وآله، وهذا من الضروريات عند كل منصف، فإن الوجدان أكبر شاهد، وهو يشهد بأن آثار تلك الفضايل كلها خالصة لله -عز وجل- فانظر إلى علمه عليه السلام في حل مشكلات الدين، وإرشاد المسلمين، وقد قدمنا قول الخليفة الثاني في أوائل النظرات ص٣٥: «لا بقيت لمعضلة ليس لها أبو الحسن» وقوله: «لولا علي لهلك عمر». وكم من تلميذ له صار بفضل علمه نحريراً، فانظر لقول حبر الأمة ابن عباس: «العلم عشرة أجزاء لعلي عليه السلام تسعة أجزاء، وللناس عشر الباقي، وهو عليه السلام أعلمهم به». وقال أيضاً: شرح لنا علي عليه السلام

---

(١) التوبة: ٨٠.

نقطة الباء من بسم الله الرحمن الرحيم ليلة، فانفلق عمود الصبح، وهو بعد لم يفرغ، فرأيت نفسي في جنبه كالنواة في جنب البحر المتفجر[١].

ويكفيك قوله عز وجل: ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ﴾[٢] ففي الينابيع عن كتاب المناقب عن الإمام محمد الباقر عليه السلام عن أبيه عليه السلام عن جده الحسين قال: لما نزلت هذه الآية﴿وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ﴾ سئل رسول الله صلى الله عليه وآله عن الإمام المبين؛ فأشار لعلي عليه السلام قائلاً: «هو الذي أحصى الله فيه علم كل شيء»[٣].

فقل لي بإنصافك أليس كل معلوم من المعلومات يعد فضيلة؟ كيف لا وتلك منحة من باريه خصه بها بعد نبيه صلى الله عليه وآله فقل لي بدينك من ترى من الجن والأنس يقدر على إحصاء ما منحه الله من المعلومات؟!.

ثم تمشَّ معي بخطوات بصيرتك، نتبصر في آثار شجاعته الغنية بشهرتها عن الذكر، وإن تجاهل علينا متجاهل فقل له:

إن كنـــت بجهلـــك للأيـــا م جحـــدت مقـــام أبي شـــبر

فاســـأل بـــدراً واســـأل أحـــداً وســـل الأحـــزاب وســـل خيـــبر

فقل لي بشرف الإنسانية أي عاقل يجحد مواقف علي عليه السلام في مواطن النبي صلى الله عليه وآله كلها؟ كيف وما قام عمود الدين إلا بحد حسامه؟ ولا ينازع في هذا مؤالف ولا مخالف.

فعـــلام أســـست قـــولاً وفعـــلا بُنـــي الـــدين فاســـتقام ولـــولا

ضرب ماضيك مـا اسـتقام البنـاء

---

(١) ينابيع المودة، ج١، ص٦٩.

(٢) يس: ١٢.

(٣) ينابيع المودة، ج١، ص٧٥.

ألا بشرف العقل تبصر في مواطن شجاعته فمواطن النبي صلى الله عليه وآله ثمانون أليس هو صاحب الحظ الوافر فيها؟ فمنها بدر والقتلى فيها سبعون، نصف اختص به عليه السلام.

ومنها أحد، أي مدافع عن النبي سواه؟.

أليس قد قال النبي صلى الله عليه وآله في مواطن فرار الناس عندما تعجب جبرئيل من صبره: هو مني. أليس قد نوه جبرئيل به بقوله: «لا سيف إلا ذو الفقار ولا فتى إلا علي».

ومنها يوم الأحزاب الذي أُسس الإسلام فيه بضربة علي عليه السلام عمراً حتى قال فيها رسول الله صلى الله عليه وآله: ضربة علي عليه السلام عمراً خير من عبادة الثقلين إلى يوم القيامة.

وفي رواية السيرة، أن قتل علي لعمرو أفضل من عبادة الثقلين. ومن مواطنه مبيته على الفراش:

أنعم بها فدية للدين قاعدة   فاق الإمام بها فضلاً على البشر

فيا لها فدية كانت للدين أساساً رصيناً، وقد باهى الله بها ملائكته -ولا غرو- وهي أساس الإسلام، والسبب في سلامة سيد الأنبياء والأنام صلى الله عليه وآله، فيكفينا من المواطن هذه الأربعة، فمن تبصر فيها بنور البصيرة، خالياً من عصبية تقليد الأسلاف، والحمية القومية؛ رأى بوجدانه في كل واحد من المواطن الأربعة فضائل لا تحصى، فبحق إنصافك قل من ذا يقدر من الجن والأنس على إحصاء أعمال الثقلين إلى يوم القيامة أنواعاً وأشخاصاً؟

أليس كل فرد منها يعد فضيلة له عليه السلام؟ كما هو مضمون كلام سيد الأكوان، ورسول الملك الديان.

وبشرف العلم، إلا ما تفكرت في تلك الفدية الشريفة؛ كي تعرف

خطرها الكبير، وتلتفت بهديك إلى أن كل آن من آناتها جزءُ سببٍ قوي؛ لحفظ أصل الإسلام، إذ بها حفظ سيد الأنام صلى الله عليه وآله، الذي هو الأصل في كل فضيلة للإنسان، فما ترى من مجازات الكريم الفياض عبدَه أميرَ المؤمنين عليه السلام على تلك الأنفاس الشريفة في ذلك المبيت الخطير.

أليس تحت كل نفس من أنفاسه عليه السلام مراتب جمة في قربه من مولاه؟ فبنور الهدى أسألك هل يقدر جميع الأنس والجن على إحصاء تلك المراتب التي لا يعلم بها إلا واهبها؟

ألا بحق الإخاء الإنساني، إلا ما استصبحت بمصباح الهدى؛ كي تبصر عياناً الفضائل الخطيرة التي حصلت له عليه السلام، بذبّه عن النبي المصطفى صلى الله عليه وآله يوم فرّ عنه أصحابه في أحد، إلا ما تركتنا نحلل ذلك الذب الخطير، ويكفينا تعجب الملائكة من صبره عليه السلام أليس هو السبب القوي في خلاص حافظ الإسلام وسيد الأكوان رسول الله صلى الله عليه وآله؟ فبالله عليك لو وافى سيدنا صلى الله عليه وآله ربّه في ذلك اليوم -والدين بعد لم يكمل- أيبقى له أصل وفرع؟ ألا وهو صلى الله عليه وآله أصل كل بركة وخير.

إذاً ففضائل الإسلام وأهله -من عهده صلى الله عليه وآله إلى يوم القيامة- معدودة من فضائله عليه السلام وقد سلم الفريقان أن السبب القوي بنجاته صلى الله عليه وآله في ذلك اليوم الرهيب هو من قال فيه صلى الله عليه وآله: هو مني، ألا وهو كاشف كربه في كل مواطنه وناصر حزبه.

فعليه أقول: هل يقدر الإنس والجن أن يحصوا فضائل نبينا صلى الله عليه وآله أبي القاسم محمد صلى الله عليه وآله؟ فينتج عدم قدرة الثقلين على إحصاء فضائل سيدنا علي عليه السلام في ذلك اليوم الرهيب.

فيا أيها القارئ الكريم، دعنا نشعل نبراس العلم والإنصاف بنور

الهدى؛ كي نتطلع متبصرين فيها منح الله وليه من الفضائل يوم بدر. ألا وهو اليوم الذي كان من آيات نبوة سيدنا محمد صلى الله عليه وآله، حيث نصره الله تعالى على قريش، مع ما عندهم من حسن العدة الكاملة مع ألف صنديد -غير الأحابيش- وهو صلى الله عليه وآله معه ثلاثمائة وثلاثة عشر أكثر أزوادهم التمر، وليس لهم إلا سبعون بعيراً يتعاقبونها وليس لهم من الأفراس إلا فرسان، فقل لي أليس من المسلم أن علياً عليه السلام له النصيب الوافر في نصرة الإسلام في ذلك اليوم؟ أليس هو قاتل صناديدهم؟ أليس نصيبه مساوياً في قتلى قريش لجميع المسلمين؟ وهذه الواقعة هي من أصول فتوحاته صلى الله عليه وآله، حتى قال صلى الله عليه وآله: فيها (إن تهلك هذه العصابة لن تعبد) فالإسلام وأهله فرع من هذا الأصل، وعلي عليه السلام ذو القدح المعلى فيه، فله عليه السلام بحسب نصيبه من فضائل الإسلام إلى يوم القيامة فمن يقدر على إحصاء تلك الفضائل له عليه السلام؟

فقد عرفت وعرف جميع الناس أنه السبب القوي في تشييد الدين:

لولا صليل حسامه لرأيت لات القوم تعبد

ففضائل الإسلام وأهله تعد من فضائله عليه السلام إما لكونه السبب في تشييد الدين، أو لكونه السبب في نجاة سيد المرسلين، فهو شريكه في فضائله صلى الله عليه وآله ما سوى النبوة، وهو نفسه صلى الله عليه وآله بنص الكتاب المبين كما تقدم تحقيق ذلك.

هذا ولا يخفى أن حديث الضربة المتقدم، يلزمه نصاً بأن فضائل علي عليه السلام لا تحصى كما أوضحناه آنفاً، ولعلك تسأل عن سر قوله صلى الله عليه وآله خير من عبادة الثقلين، فقد أجاب عنه بعض أجلاء علماء السنة، بأن الإسلام ذلك الوقت منحصر في المدينة، فلو لم يقتل عمراً وظفر هو وأحزابه بالمدينة وأهلها؟ لقضي على الإسلام والمسلمين. انتهى بالمعنى.

وهو جواب متين فلو ظفر عمرو وأحزابه؛ لم تر من فضائل الدين، بل

ولا من فضائل الإنسانية شيئاً، ويؤيد ذلك قوله ﷺ: «برز الإيمان كله إلى الشرك كله» وفي رواية «الإسلام»

يـا لهـا ضربـة حـوت مكرمـات لم يـزن ثقـل أجرهـا ثقلاهـا

وقد عرفت ما أشرنا إليه آنفاً من استخراج كثرة فضائله عليه السلام، التي لا تحصى من طريق عمله، ومعلوماته عليه السلام، فإن شئت العطف على ذلك بنظارة بصيرتك باعتبار آخر فنقول: لا شك في أن محمداً المصطفى ﷺ قد حاز جميع علوم الأولين والآخرين، ولا شك أيضاً في أن وارث علمه علي أمير المؤمنين عليه السلام، ولم يزل تلميذ النبي ﷺ من مبدأ الإسلام، وهو بعد لم يراهق حتى كان وزيره وخليفته، عندما دعا عشيرته في مبادئ دعوته ﷺ يوم الدار، فلم يزال يستمد علمه إلى حين وفاته عندما ناجاه فقال عليه السلام: «علمني رسول الله ألف باب». الحديث.

وقد ذكرنا تحقيقه في أوائل النظرات، وقد اعترف بذلك كله أجلاء علماء المسلمين، ولا يشك فيه مسلم، بل ولا عاقل أيضاً في أن علياً عليه السلام لم يزل ناشراً لعلوم ابن عمه ﷺ، قائماً بإرشاد الخلق في أيام انعزاله وخلافته إلى حين وفاته، وكفى في ذلك بشاهد كتاب نهج البلاغة وما حواه وما أدراك ما هو؟ فلقد حوى أصول العلوم بفنونها -مع ما فيه من البلاغة المعجزة- ولقد اعترف به المخالف فضلاً عن المؤالف وكلامه عليه السلام فيه تحت كلام الخالق وفوق كلام المخلوق، ومن راجعه قطع بصدوره بغض النظر عن تصحيح رواته. وهو عليه السلام صاحب منبر «سلوني قبل أن تفقدوني» فلا علم نافع مقتبس للعلماء بعد النبي ﷺ إلى حين وفاته إلا منه، فعليه يكون كل علماء الإسلام عيالاً عليه، وكل عالم هو حسنة من حسناته، وفضائلهم تعد من فضائله عليه السلام فأي أمرئٍ يقدر أن يدعي أن الثقلين تقدر على إحصاء تلك الفضائل إلى يوم القيامة؟ فمن ذا يعلم بها غير واهبها تعالى الله الملك العلام؟ ولعل بعض الغافلين عن معرفة فضل العلم وأهله، يكبر عليه ما

قلناه، وإن أراد أن نلفته أرشدناه إلى ما ورد عن المعصومين عليهم السلام في فضل العالم المعلم.

ففي الكافي ص١٧ عن محمد بن مسلم رضي الله عنه عن أبي جعفر عليه السلام قال: «إن الذي يعلم العلم منكم له أجر مثل المتعلم، وله الفضل عليه». الحديث.

وفيه أيضاً، عن أبي البصير رضي الله عنه قال: سمعت أبا عبد الله الصادق عليه السلام يقول: «من علم خيراً فله مثل أجرمن عمل به. قلت: فإن علمه غيره يجري ذلك له؟ قال عليه السلام: إن علمه الناس كلهم جرى له. قلت: فإن مات؟ قال عليه السلام: وإن مات». انتهى.

وفيه عن أبي عبيدة الحذاء عن أبي جعفر عليه السلام قال: «من علم باب هدى فله مثل أجر من عمل به، ولا ينقص أولئك من أجورهم شيئاً». الحديث.

وينبغي لمن قرأ مثل هذه الأخبار أن يحللها بنظرة الإنصاف، فيلتفت إلى قوله عليه السلام: «له أجر مثل أجر المتعلم» أو ليس عمدة أجر المتعلم قربه من مولاه، فالقصور ونعم الجنان فرع عليه، «ورضوان من الله أكبر».

فلينظر المتأمل لذلك القرب الإلهي؛ ليرى فيه تفاوت الخلق بحسب نياتهم وأعمالهم، أو ليست هذه الرتب تعد فضائل؟ فمن كان قربه من مولاه بأجر تعلمه ثلاث رتب مثلاً، ألا تعد ثلاث فضائل له، ومن كان ذا عشر فكذلك عشراً، وقد عرفت من الخبر أن للعالم المعلم أجر المتعلم، مضافاً إلى أجر علمه الذي تعلمه هو، فينتج أن ما يعد من الفضائل للمتعلم يعد للمعلم.

ثم التفت إلى قول أبي بصير رضي الله عنه، للصادق عليه السلام في الخبر الثاني، قلت: فإن علمه غيري يجري ذلك له؟ فقال عليه السلام: «فإن علمه الناس كلهم

جرى له » إلى آخره. أليس المفهوم من ذلك أن للمعلم الأول فضائل متعلمي ذلك العلم -ولو بواسطة حتى بعد الموت- فكل سابق له أجر اللاحق، ولاحق اللاحق، وهكذا إلى أن حيث ينتهي علمه.

وكذلك الكلام في الخبر الثالث، فإن قوله عليه السلام: « له مثل أجر من عمل به ». صريح بأن للعالم أجر الهدى الذي عمل به العاملون كلهم، سواء كان بتعليمه بنفسه أو بتسبيبه؛ لأن العاملين بذلك الهدى ليسوا بمنحصرين في زمانه، ولا كلهم سمعوا من لسانه، ولا تستكثر هذا الفضل من الكريم الذي لا تنقص خزائنه، فإن العقل يرشد إلى أن هذا هو الأولى بالكريم الفياض، فإذا كان هذا جارياً للعلماء المتعلمين من أمير المؤمنين عليه السلام؛ فهو الأجدر بذلك، وهو صاحب العلم الواقعي، هو سيد الموحدين والمخلصين... وقد ذكرنا لك آنفاً في تعداد بعض أصول فضائله عليه السلام إجمالاً، وهذا آخر ما أردناه من الكلام تفصيلاً على العلم والشجاعة، ونوكل تفصيل الكلام في الباقي إلى ما حرر في أوائل النظرات، وإن شئت إشارة إجمالية، فنقول: منها الكرم، ونعم الدليل عليه سورة (هل أتى) فقول الله -عز وجل- يغني عن كل قول.

ومنها مناجاته ربه -وهي أشهر من أن تذكر- وكفاك من ذلك الصحيفة العلوية، فراجعها ترَ فنون الدعوات الساطع فيها كامل الإخلاص، وتدبرها تجد أكثرها مما تطمئن بصدوره بغض النظر عن رواته.

وأما زهده عليه السلام، فكفاك من ذلك كتابه لعامله -عثمان بن حنيف- ومنه قوله عليه السلام: « فوالله ما كنزت من دنياكم تبراً، ولا اذخرت من غنائمها وفراً، ولا أعددت لبالي ثوبي طمراً، ولا حزت من أرضها شبراً ». الكتاب فراجع النهج ترَ الخير الكثير من ذلك.

فمن ذا يقدر على إحصاء فضائله عليه السلام من هذه الجهات الثلاث فضلاً عن غيرها؟ فإن أنواعها وأفرادها لا تكاد تحصر، فلا يعلم بها إلا خالقه -عز

وجل- وهو العارف به.

هذا ولعل بعض القاصرين عن المعاني اللغوية يناقشون فيما حللناه من استخراج كثرة فضائل سيدنا أمير المؤمنين عليه السلام، وتجاوزها حد الإحصاء في كل جهة من أصول فضائله مما حررناه، فيزعم بوهمه أن الفضائل تطلق على الخارقات للعادة، أو على فضائل الإنسانية فقط، لكن المحيط بالمعاني اللغوية والمحاورات العربية يعرف أن ذلك وهم فاسد؛ لما يعلم من صحة إطلاق لفظ الفضائل على كل ما ادعيناه من أصول الفضائل وآثارها.

ففي مجمع البحرين [في مادة (فضل)] قال رضي الله عنه: والفضيلة خلاف النقيصة وهي الدرجة الرفيعة كالفضل. انتهى.

وقال رضي الله عنه في تفسير قوله تعالى: ﴿وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ﴾[1]: أي كل شيء قدّم بنية، أو لسان، أو جارحة، أعطاه الله فضل ذلك، إلى أن قال: وقيل: أي من كان ذا فضل في دينه فضله الله في الدنيا بالمنزلة، وفي الآخرة بالثواب. انتهى محل الشاهد.

فتدبره وطبقه على ما قلناه، وانظر إلى قوله رحمه الله: (وهي الدرجة الرفيعة) أليست هي قدراً جامعاً لأصول الفضائل وفروعها وآثارها وأنواعها وأفرادها؟

ثم انظر إلى قوله رضي الله عنه: «من كان ذا الفضل في دينه فضله الله في الدنيا بالمنزلة، وفي الآخرة بالثواب». أليست المنزلة هي الدرجة الرفيعة؟ سواء أكانت في الدنيا أو في الآخرة؟ ففي الأخرى تتحقق بإنعام الله تعالى على عبده من الجنات وقصورها (ورضوان من الله أكبر) وفي الدنيا تتحقق بعلو

---

(١) هود: ٣.

قدره في الناس، وربما تحصل بتنويه من الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وآله، كما تراه بالوجدان للإمام علي عليه السلام، وذلك هو أثر فضيلته في الدين، فيتبين من ذلك أن الفضائل أصول وفروع وآثار، أنواع وأفراد، والقدر الجامع هو الفضل في نفسه وهو عبارة عن الدرجة الرفيعة، أو الخصلة الحميدة في نفسها، وإن شئت التمثيل لمزيد من الإيضاح.

فنقول مثلاً الكرم من أصول الفضايل النفسية سواء -كان لله عز وجل- أو لا، والثاني مثل كرم حاتم، وهو ممدوح إلى الآن مع كفره.

فانظر لهذا الأثر الجميل فهو فضيلة لحاتم كما أن الكرم فضيلة له والأول مثل كرم أمير المؤمنين عليه السلام، فمن أفراده بذله كل ما على خوانه من الأقراص إلى السائل ثلاث ليال، فهذا البذل بنفسه فضيلة ومدحه عليه السلام وابنيه وزوجته عليهم السلام بسورة هل أتى أثر البذل فالمدح فضيلة ثانية.

وانظر إلى تصدقه عليه السلام بالخاتم وهو راكع، فهو فضيلة في نفسه أثره التنويه بالولاية بآية ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُواْ﴾[1] فضيلة أخرى وعلى ذلك فقس.

فانظر إلى الفضائل المنوه بها من الله ورسوله، تر فيها قليلاً من كثير كقضية الخاتم وهل أتى[2] والأكثر منها آثاراً فضيلتُه العامة.

---

(١) المائدة: ٥٥.

(٢) الإنسان: ١.

في فضائله عليه السلام المشهورة بين الفريقين

الحاصلة بالتفرع من فضايل سيد الكل محمد صلى الله عليه وآله، والمشارك له فيها، وفيه تحقيق أنيق، ولا بأس أن نشير إلى نبذة من رؤوس الفضائل المسلمة بين الفريقين غير ما ذكرناه تيمناً وتعبداً.

١- فمن ذلك كون علي عليه السلام حامل لواء النبي صلى الله عليه وآله في الآخرة، كما هو حامله في الدنيا، وكونه قسيم الجنة والنار، وإليك شاهداً من حديث في الباب السادس عشر من الينابيع أخرجه الحمويني، عن أبي سعيد الخدري قال: كان رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: «إذا سألتم الله -عز وجل- فاسألوه لي الوسيلة فسئل عنها فقال: هي درجة في الجنة... إلى أن قال: وعلي بن أبي طالب عليه السلام أمامي، وبيده لوائي وهو لواء الحمد مكتوب عليه، لا إله إلا الله محمد رسول الله علي ولي الله. وأخذ يصف فضلهم إلى أن قال: فيأتي رضوان خازن الجنة فيقول: أمرني ربي أن آتيك بمفاتيح الجنة فأدفعها إليك يا رسول الله. فأقبلها أنا؛ فأدفعها إلى أخي علي عليه السلام، ثم يأتي مالك خازن النار فيقول أمرني ربي -عز وجل- أن آتيك بمقاليد النار فأدفعها إليك يا رسول الله صلى الله عليه وآله. فأقبلها أنا، وأدفعها إلى أخي علي عليه السلام؛ فيقف علي عليه السلام

على عجزة جهنم، ويأخذ زمامها بيده، وقد علا زفيرها، واشتد حرها، فتنادي جهنم: يا علي ذرني فقد أطفأ نورك لهبي، فيقول لها علي عليه السلام: ذري هذا وليي وخذي هذا عدوي، فلجهنم يومئذ أشد مطاوعة لعلي عليه السلام فيما يأمرها به من رِقّ أحدكم لصاحبه ولذلك كان علي عليه السلام قسيم النار والجنة.

والعنوان المذكور محتوٍ على ثلاثة عشر خبراً من طريق القوم وفيه بيتان للإمام الشافعي وهما:

علـــي حبـــه جُنَّـــة قـــسيم النـــار والجَنـــة

وصي المـــصطفى حقـــاً إمـــام الإنـــس والجِنـــة

والباب الخامس عشر عنوانه عهد النبي لعلي، وجعله وصياً يشتمل على تسعة وعشرين خبراً نختار منها الخبر الرابع؛ لما فيه من زيادة تبشير الشيعي بتعظيم الله وليه علياً عليه السلام، وهو الثاني في العدد.

٢- أبو نعيم في الحلية، بسنده عن أبي برزة الأسلمي رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «إن الله عز وجل عهد إليّ في علي عليه السلام عهداً، أن علياً عليه السلام راية الهدى، وإمام أوليائي، ونور من أطاعني، وهو الكلمة التي ألزمها المتقين، من أحبه أحبني، ومن أبغضه أبغضني، فبشره، فجاء علي عليه السلام فبشرته بذلك، فقال: يا رسول الله صلى الله عليه وآله، أنا عبد الله، وفي قبضته، فإن يعذبني فبذنبي، وإن يتم الذي بشّرني به فالله أولى به، قال صلى الله عليه وآله فقلت: «اللهم أجل قلبه واجعله ربيعة الإيمان، فقال ربي عز وجل: قد فعلت به ذلك، ثم قال تعالى: إني مستخصه بالبلاء فقلت: يا رب إنه أخي ووصي فقال: إنه شيء قد سبق أنه مبتلى ومبتلى به»[1]. انتهى حرفياً.

---

(١) ينابيع المودة، ج١، ص٧٧.

ونعم ما قال (السيد باقر الهندي رحمه الله):

قد حباه بكل فضل عظيم وبمقدار ما حباه ابتلاه

والباب السابع عشر في سد أبواب المسجد إلا باب علي عليه السلام ومحتوٍ على عشرة أخبار.. منها.

٣- الأول «لا ينبغي لأحد أن يجنب في المسجد إلا أنا وعلي عليه السلام» البخاري ومسلم.

٤- الثاني وفي سنن الترمذي عن ابن عباس رضي الله عنه قال: إن رسول الله صلى الله عليه وآله أمر بسد الأبواب إلا باب علي عليه السلام [1].

٥- والباب الثامن عشر تبليغه سورة براءة وهو يحتوي على خمسة أخبار: الأول: الترمذي عن أنس بن مالك قال: بعث النبي صلى الله عليه وآله بالبراءة مع أبي بكر ثم دعاه فقال: لا ينبغي لأحد أن يبلغ هذا إلا رجل من أهلي فدعا علياً فأعطاه إياها.

والباب التاسع عشر في اختصاصه بالنبي صلى الله عليه وآله وكونه سيد العرب، وإن النظر إلى علي عليه السلام عبادة، وهو يحتوي على ستة أخبار منها:

٦- الترمذي عن أم عطية قالت: بعث النبي صلى الله عليه وآله جيشاً فيهم علي عليه السلام، قالت فسمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وهو رافع يديه يقول: «اللهم لا تمتني حتى تريني علياً عليه السلام».

ومنها في جمع الفوائد عن ابن مسعود قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «النظر إلى علي عليه السلام عبادة». للمعجم الكبير.

---

(١) المصدر نفسه، ج١، ص٨٤.

والباب العشرون في كونه مع القرآن، وبعض فضائله ويحتوي على عشرة أخبار منها:

٧- عبد الله بن أحمد بسنده عن عمار بن ياسر قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يا علي، طوبى لمن أحبك، وصدق فيك، والويل لمن أبغضك، وكذب فيك»[١].

والأبواب السابقة على هذه الأبواب فيها أبواب خاصة به عليه السلام في علمه، ورسوخ إيمانه، وسبق إسلامه، والباقي عامة له ولولده المعصومين عليهم السلام، وقد تقدم في أول النظرات جملة وافرة منه ومن غيره، وإنما الغرض هنا التعبد بالإشارة إلى بعض الفضايل، فلنكمل أربعة عشراً.

فمنها ما في الباب الأربعين في كون علي عليه السلام شبيهاً بالأنبياء، وكون فضائله كثيرة لا تحصى، وهو يحتوي على ثلاثة عشر خبراً.

٨- أخرج موفق بن أحمد الخوارزمي بسنده عن محمد بن عمارة، عن أبيه، عن جعفر الصادق عن آبائه، عن أمير المؤمنين علي عليه السلام قال: قال رسول الله ﷺ لرهط من أصحابه: إنَّ الله تعالى جعل لأخي علي عليه السلام فضايل لا تحصى كثرة، فمن ذكر فضيلة من فضايله مقراً بها غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، ومن كتب فضيلة من فضايله لم تزل الملائكة تستغفر له ما بقي لذلك الكتاب رسم، ومن استمع إلى فضيلة من فضايله غفر الله له ذنوبه التي اكتسبها بالاستماع، ومن نظر إلى كتاب من فضايله غفر الله له الذنوب التي اكتسبها بالنظر، ثم قال ﷺ: «النظر إلى علي عليه السلام عبادة وذكره عبادة، لا يقبل الله إيمان عبد إلا بموالاته، والبراءة من أعدائه». انتهى حرفياً.

---

(١) المصدر السابق، ج١، ص٨٩.

٩- وفيه عن المناقب عن سماك بن حرب عن سعيد بن جبير قال: قلت لابن عباس رضي الله عنه: «أسألك عن اختلاف الناس في علي عليه السلام قال: يا ابن جبير تسألني عن رجل كانت له ثلاثة آلاف منقبة في ليلة واحدة وهي ليلة القربة في قليب بدر، سلم عليه ثلاثة آلاف من الملائكة من عند ربهم»... الحديث[1] وهذه المنقبة أخرجها صاحب جمع الفوائد، والإمام أحمد ابن حنبل، وفي المناقب بطرق عن علي عليه السلام.

أقول هذه المنقبة هي التي أشار إليها السيد إسماعيل الحميري رضي الله عنه في أبياته في مدح أمير المؤمنين بقوله:

ذاك الـــذي ســـلم في ليلـــة   عليـــه ميكـــال وجبريـــل

ليلـــة بـــدر مـــدداً أنزلـــوا   كـــأنهم طـــيرٌ أبابيـــل

جبريـــلُ في ألـــف وميكـــال في   ألـــف ويتلـــوهم سرافيـــل

والباب الحادي والأربعون في حديث حق علي عليه السلام على المسلمين حق الوالد على ولده، ويحتوي على ستة أخبار، ونختار منه الرابع لما فيه من الفوائد الأخر.

١٠- قال وفي المناقب عن الأعمش عن جعفر الصادق عليه السلام عن آبائه عن أمير المؤمنين عليهم السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «يا علي أنت أخي ووارثي ووصيي، محبك محبي، ومبغضك مبغضي، يا علي، أنا وأنت أبوا هذه الأمة، من ولدك سادات في الدنيا، وملوك في الآخرة، من عرفنا فقد عرف الله -عز وجل- ومن أنكرنا فقد أنكر الله عز وجل»[2].

واعلم أن أكثر ما حررناه عن فضائله عن علماء السنة مما أرسله أعلام

---

(١) المصدر السابق، ج١، ص١٢٢.

(٢) المصدر السابق، ج١، ص١٢٣.

القوم إرسال المسلمات، كالإمام أحمد، والحاكم، وابن حجر، والنسائي، والترمذي، والذهبي، وغيرهم من العظماء المحققين، مع شدة انحراف بعضهم عن الشيعة، ومما أُرسل إرسال المسلمات حديث المنزلة وحديث المؤاخاة.

١١- فقد أخرج المذكورون بأسمائهم، بالطرق الصحيحة عن ابن عباس حديثاً يشتمل على بضع عشرة فضيلة منها حديث إرساله بالراية في خيبر، والفتح على يديه، ومنها سبق إيمانه عليه السلام، ومنها حديث المنزلة قال ما نصه: وخرج رسول الله صلى الله عليه وآله في غزوة تبوك وخرج الناس معه فقال له علي عليه السلام أخرج معك؟ فقال صلى الله عليه وآله: لا، فبكى علي عليه السلام، فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله: أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى عليه السلام إلا أنه ليس بعدي نبي، إنه لا ينبغي أن أذهب إلا وأنت خليفتي. راجع مراجعة ٢٦- من كتاب المراجعات للسيد المتقدم الذكر رحمه الله وفي مراجعة ٣٢ ذكر المؤاخاة مفصلاً وقد مرت الإشارة إليه إجمالاً.

١٢- وإليك بعضاً من التفصيل، قال السيد رحمه الله بعد ذكر المؤاخاة الأولى التي في مكة.. والثانية التي في المدينة.

والأخبار في ذلك متواترة من طريق العترة الطاهرة وحسبك ما جاء من طريق غيرهم في المؤاخاة الأولى حديث زيد ابن أبي أوفى وقد أخرجه الإمام أحمد بن حنبل في كتاب مناقب علي عليه السلام، وابن عساكر في تأريخه، والبغوي، والطبراني في معجميهما، والباوردي في المعرفة، وابن عدي، وغيرهم والحديث طويل قد اشتمل على كيفية المؤاخاة، وفي آخره ما هذا لفظه «فقال علي عليه السلام: يا رسول الله صلى الله عليه وآله لقد ذهبت روحي وانقطع ظهري حين رأيتك فعلت بأصحابك ما فعلت غيري فإن كان هذا من سخط علي فلك العتبى والكرامة، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «والذي بعثني بالحق ما

أخرتك إلا لنفسي، وأنت مني بمنزلة هارون من موسى عليه السلام غير أنه لا نبي بعدي وأنت أخي ووارثي» قال: «وما أرث منك؟ قال: ما ورث الأنبياء من قبلي كتاب ربهم، وسنة نبيهم، وأنت معي في قصري في الجنة مع فاطمة ابنتي عليها السلام، وأنت أخي ورفيقي، ثم تلا صلى الله عليه وآله ﴿إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ﴾[1] المتحابين في الله ينظر بعضهم إلى بعض».

وحسبك مما جاء في المؤاخاة الثانية، ما أخرجه الطبراني في الكبير، عن ابن عباس رضي الله عنه من حديث جاء فيه: أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال لعلي عليه السلام: «أغضبت علي حين آخيت بين المهاجرين والأنصار، ولم أؤاخ بينك وبين أحد منهم؟ أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه ليس بعدي نبي». الحديث.

ولا يخفى على المتأمل أن السيد رحمه الله إنما ذكر المؤاخاة المذكورة الكائنة في عالم الوجود والخارج، مجاراة للمناظر بحسب الظاهر، وإلا فمؤاخاة سيدنا رسول الله صلى الله عليه وآله لسيدنا أمير المؤمنين عليه السلام متحققة في عالم الأنوار قبل تكوين الكائنات، كما ذكرنا في أول النظرات من أن الحقيقة المحمدية خلقت في ذلك العالم قبل كل كائن، والأخبار في ذلك كثيرة مشهورة بين الفريقين.

ففي الباب الأول من الينابيع، أخرج أبو الحسن علي بن محمد المعروف بابن المغازلي الواسطي الشافعي، في كتابه المناقب بسنده عن سلمان الفارسي رضي الله عنه قال: سمعت حبيبي رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: «كنت أنا وعلي نوراً بين يدي الله عز وجل يسبح الله ذلك النور ويقدسه، قبل أن يخلق الله آدم بأربعة عشر ألف عام فلما خلق آدم أودع ذلك النور في صلبه، فلم نزل أنا وعلي عليه السلام نوراً واحداً حتى افترقنا في صلب عبد المطلب، ففيّ النبوة، وفي علي عليه السلام الإمامة».

---

(١) الحجر: ٤٧.

وأخرجه أيضاً الديلمي رضي الله عنه في الفردوس وفيه: عن سلمان أخرج ابن المغازلي، عن سالم بن أبي الجعد، عن أبي ذر الغفاري رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: «كنت أنا وعلي عليه السلام نوراً عن يمين العرش بين يدي الله -عز وجل- يسبح الله ذلك النور ويقدسه قبل أن يخلق الله آدم بأربعة عشر ألف عام، فلم نزل أنا وعلي شيئاً واحداً حتى افترقنا في صلب عبد المطلب رضي الله عنه، فجزء أنا، وجزء علي». عليهما وآلهما أفضل الصلاة والسلام.

وفيه أخرج الحمويني في كتابه فرائد السمطين، بسنده عن زياد ابن المنذر عن أبي جعفر الباقر عليه السلام، عن أبيه عن جده الحسين عن أبيه علي بن أبي طالب عليهم السلام، عن النبي صلى الله عليه وآله قال: «كنت أنا وأنت يا علي نوراً بين يدي الله تبارك وتعالى من قبل أن يخلق الله آدم بأربعة عشر ألف عام، فلما خلق آدم سلك ذلك النور في صلبه، فلم يزل الله -عز وجل- ينقله من صلب إلى صلب، حتى أقره في صلب عبد المطلب، ثم قسمه قسمين، فأخرج قسماً في صلب أبي عبد الله، وقسماً في صلب عمي أبي طالب عليه السلام فعلي مني، وأنا منه، لحمه لحمي، ودمه دمي».

وفيه أخرج الحمويني بسنده عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول لعلي عليه السلام: «خلقت أنا وأنت من نور الله -عز وجل-».

ولذلك أشار علي بن محمد العلوي بقوله -كما رواه المفيد في الفصول المختارة- ص١٩.

كانا كشمس نهار في الوجود كما	أدارها ثَمَّ إحكام وتجويد
كسيرها انتقلا من طاهر علم	إلى مطهرة آباؤها صيد
تفرقا عند عبد الله واقترنا	بعد النبوة توفيق وتسديد

فهذه الأخبار ونحوها المتكاثرة عند الطرفين تصرح لك بالأخوة الأصلية ويشير إليها قوله صلى الله عليه وآله: «علي مني وأنا من علي عليه السلام».

فهي السبب المتين للأخوة المتكونة في الوجود الخارجي، فهذا تمام ما أردناه من الكلام على المؤاخاة، وإنها لغنية بشهرتها عن ذكرها.

١٣- ومن الفضائل المشهورة صعود علي عليه السلام على كتف النبي صلى الله عليه وآله، ففي الباب الثامن والأربعين من الينابيع ما نصه: في جمع الفوائد قال علي عليه السلام: «انطلقت أنا والنبي حتى أتينا الكعبة، فقال لي: اجلس وصعد على منكبي فذهبت لأنهض به، فرأى مني ضعفاً فنزل وجلس لي، فقال لي: اصعد على منكبي، فصعدت على منكبه فنهض بي، فإنه يخيل لي أني لو شئت لنلت أفق السماء، حتى صعدت على البيت وعليه تمثال صفر، أو نحاس، فجعلت أزاوله عن يمينه وشماله، ومن بين يديه ومن خلفه، حتى استمكنت منه، فقال لي رسول الله صلى الله عليه وآله: اقذف به فقذفت به؛ فتكسر كما تتكسر القوارير، ثم نزلت فانطلقت أنا ورسول الله صلى الله عليه وآله نستبق حتى توارينا بالبيوت خشية أن يلقانا أحد من الناس». لأحمد والبزار والموصلي.

وفيه أيضاً ما لفظه: وفي المناقب عن محمد بن حرب الهلالي قال: قلت لمولاي جعفر الصادق عليه السلام: لِمَ لم يطق علي عليه السلام حمل رسول الله صلى الله عليه وآله عند حط الأصنام من سطح الكعبة مع قوته، وقلعه باب خيبر ورميه على الخندق، ولا يطيق حمل الباب أربعون رجلاً وأن النبي صلى الله عليه وآله يركب بغلة وحماراً فيحمله فكيف لا يحمله عليه السلام؟ قال: «إن النبي صلى الله عليه وآله حينئذ يعلم ضعف علي عليه السلام لصباوته، ولكن وضع قدمه على كتف علي عليه السلام إشارة إلى خلقتهما من نور واحد يحمل الجزء من النور الجزء الآخر» كما قال علي عليه السلام: «أنا من أحمد كالكف من اليد، وكالذراع من العضد، وكالضوء من الضوء» وأنهما كانا نوراً واحداً قبل خلق الخلق، وأن الملائكة لما رأت ذلك النور قد تلألأ قالوا: إلهنا ما

هذا النور؟ قال تعالى: هذا نور من نوري، لولاه لما خلقت الخلق، ثم قال جعفر عليه السلام: «أما علمت أنه صلى الله عليه وآله رفع يد علي عليه السلام يوم غدير خم حتى نظر الناس بياض إبطيه فجعله مولى المسلمين، وقد احتمل الحسن والحسين عليهما السلام يوم حديقة بني النجار، وكانا نائمين، فيها وقال: نعم الراكبان هما، وأبوهما خير منهما وأنه صلى الله عليه وآله يصلي بأصحابه فأطال سجدته فيقول: إن ابني ركبني فكرهت أن أرفع رأسي حتى ينزل باختياره، فعل صلى الله عليه وآله ذلك إظهاراً لشرفهم وعظيم قدرهم عند الله -عز وجل- وحمل علياً عليه السلام على ظهره إشارة إلى أنه أبو ولده، والأئمة من صلبه كما حمل رداءه في الاستسقاء؛ إعلاماً أنه تحول الجدب خصباً، وإعلاماً أنه ما حمله المعصوم فهو معصوم» وقال صلى الله عليه وآله: «يا علي، إن الله -عز وجل- حمل ذنوب أتباعك، ومحبيك عليّ، ثم غفرها لي وذلك قوله تعالى: ﴿لِيَغْفِرَ لَكَ اللهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾[1] وإعلاماً أنه صلى الله عليه وآله أصل الشجرة الشجرة، وعلي والحسن والحسين عليهم السلام أغصانها، ثم قال جعفر عليه السلام بهذا السر قال صلى الله عليه وآله: «علي نفسي وأخي فأطيعوه».

والإمام الشافعي أنشأ هذه الأبيات:

قيل لي قل في علي مدحاً ... ذكره يخمد ناراً مؤصده
قلت لا أقدم في مدح امرئٍ ... ضل ذو اللب إلى أن عبده
والنبي المصطفى قال لنا ... ليلة المعراج لما صعده
وضع الله بظهري يده ... فأحس القلب أن قد برده
وعلى واضع أقدامه ... في محل وضع الله يده

فتدبر هذا الحديث الشريف كي تستضيء بأنوار هداه فكم فيه من فوائد ترشد العقول إلى أسرار كثيرة، فمنها إشارته إلى كون علي عليه السلام جزءاً

(١) الفتح: ٢.

من النبي صلى الله عليه وآله؛ لتكونهما من نور واحد وقوله بهذا السر إلى آخره وما أشار به عليه السلام من التعليل من كونه صلى الله عليه وآله أصل الشجرة الطيبة وعلي منها؛ فبذلك كان نفسه وأخاه، ومن ذلك تعرف صحة قولنا المتقدم من أنه أشار إلى ذلك بقوله صلى الله عليه وآله: علي مني إلى آخره... ولابد أن تتأمل إلى قوله صلى الله عليه وآله حمّل ذنوب أتباعك وشيعتك إلى آخره.

فلا تتوهم أن النبي صلى الله عليه وآله خوطب بتلك الذنوب فغفرت له؛ لأن ذلك لا يصح عقلاً ونقلاً ﴿وَلاَ تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾[1] وإنما المعنى أن شيعتهم من متعلقيهم، فهم المنوطون بتأديبهم، وهم عليهم السلام لم يألوا في ذلك جهداً ولكرامته صلى الله عليه وآله وقربه من ربه غفر تعالى ذنوب الشيعة؛ لكونهم من مواليه، فكأنه صلى الله عليه وآله بذلك تحمل تلك التبعات، وسأل ربه المغفرة فغفرت له؛ لكونه صلى الله عليه وآله هو الشفيع الأكبر. فتصور ذلك في ملك من ملوك الدنيا ووزيره؛ كي يتضح ما قربناه فلو أن وزيراً كان له عبيد وخدم فعصوا ذلك الملك، وخالفوا أوامره ونواهيه، وجاء ذلك الوزير له مستشفعاً قائلاً: إني متحمل ما جرى من مواليّ، وأنا راجٍ عفوك، وهو من أحب الخلق إليه، أفتراه يرد طلبته؟ أم تراه بإجابته له أخذه بها فغفرها كلها؟ وإنما جعله من محسوبيته فصفح عنهم ببركته، وهذا بعض من أسرار الحديث الشريف وفيه خير كثير فتبصره تربح.

١٤- ومن الفضايل المشهورة كونه عليه السلام الساقي على الحوض يوم القيامة فلنكمل ما وعدنا من العدد الميمون فهي الفضيلة الرابعة عشرة فدونكها عن الصواعق المحرقة لابن حجر، ينقل الشيخ سليمان في الينابيع في الباب التاسع والخمسين، فيما أورده من الصواعق قال في ٢٥٤ ما نصه وأخرج أحمد: أعطيت في علي عليه السلام خمساً هن أحب إلي من الدنيا وما فيها.

---

(١) الأنعام: ١٦٤.

أما الأولى فهو بين يدي الله تعالى حتى يفرغ من الحساب.

وأما الثانية فلواء الحمد بيده وآدم ومن ولده تحته.

وأما الثالثة فواقف على حوضي يسقي من أمتي... الحديث ومن خبر أنه صلى الله عليه وآله قال لعلي عليه السلام: «إن أعداءك يردون على الحوض ظمايا مقمحين».

فيا لها فضيلة فاق بها قاطبة المخلوقين ما خلا ابن عمه سيد المرسلين، إذ هو أصل الفخر والفضل، ومما يناسب هذا ذكر وصف السيد الحميري رحمه الله للحوض وصاحبه والشاربين منه في عينيته المشهورة قال رضي الله عنه:

حوض له ما بين صنعا إلى ... إيلة والعرض به أوسع

ينصب فيه علم للهدى ... والحوض من ماء له مترع

وأخذ في وصفه إلى أن قال رضي الله عنه:

فيه أباريق وقدحانه ... يذب عنه الرجل الأصلع

يذب عنه ابن أبي طالب ... ذباً كجربا إبل شرع

وأخذ في الوصف حتى قال قدس سره:

إذا دنوا منه لكي يشربوا ... قيل لهم تباً لكم فارجعوا

دونكم فالتمسوا منهلاً ... يرويكم أو مطعماً يشبع

هذا لمن والى بني أحمد ... ولم يكن غيرهم يتبع

فنسأل الله تعالى أن لا يحرمنا الشرب منه ونلتمس من القارئ أن يدعوا لنا وله وللمؤمنين بما ورد عن الإمام الصادق عليه السلام: (اللهم إني آمنت بمحمد صلى الله عليه وآله ولم أره، فلا تحرمني يوم القيامة رؤيته، وارزقني صحبته، وتوفني على ملته، واسقني من حوضه، مشرباً روياً هنيئاً سائغاً، لا أظمأ بعده أبداً، إنك على كل شيء قدير) الدعاء. ويحق لي أن أتمثل بقول السيد

رضا الهندي رضي الله عنه:

هل يمنعني وهو الساقي   أن أشرب من ماء الكوثر
أو يطردني عن مائدة   وضعت للقانع والمعتر

وقد عرفناك آنفاً أن ليس المقصود من ذكر فضايله عليه السلام إلا التعبد، لاستغنائها عن الذكر، وعجز الثقلين عن إحصائها، كما أوضحناه.

وممن اعترف بالعجز من الجمهور، أبو عثمان عمرو ابن بحر الجاحظ البصري المعتزلي، وإليك كلمته فقد صرح بذلك في رسالته التي ألفها في فضل أهل البيت عليهم السلام، وهي بلفظها محررة في الباب الثاني والخمسين من الينابيع، ودونك الشاهد من كلامه على ذلك قال ما نصه: فأما علي بن أبي طالب عليه السلام فلو أفردنا لفضائله الشريفة ومقاماته الكريمة، ودرجاته الرفيعة ومناقبه السنية؛ لأفنينا في ذلك الطوامير الطوال، والدفاتر العراض، العرق صحيح من آدم عليه السلام، والنسب صريح، والمولد مكان معظم، والمنشأ مبارك والشأن عظيم والعمل جسيم، والعلم كثير، وليس له نظير، والهمة عالية، والقوة كاملة، والبيان عجيب، واللسان خطيب، والصدر رحيب، فأخلاقه وفق أعراقه، وحديثه يشهد على تقديمه، ولا يسعني استقصاء جميع فضله، ويتعذر علينا تبيان كل فضله. انتهى.

فانظر لهذه الشاهدة القيمة والكلمة البليغة، وتأملها كيف ألمت بكمية من أمهات الفضائل، مع إعرابها بالعجز عن الإحصاء، فحجتنا السالفة عليه قائمة لا تدحض.

هذا وكل منصف إذا التفت لفضايله الذاتية والخارجية يرى له من الخصائص الخارجية، ما لم يشاركه فيها أحد حتى ابن عمه المصطفى صلى الله عليه وآله، مع أنه فخره فقد جاء عنه صلى الله عليه وآله حديث ذكر فيه ثلاث فضائل، وعلي عليه السلام شريكه فيها وقال صلى الله عليه وآله فيه ما معناه وأعطي علي عليه السلام ثلاثاً ولم أشاركه فيها،

أعطي زوجة لم أعط مثلها، حتى قال وأعطي ابن عم ولم أعط مثله.

ولعمري إنه ﷺ قد صدق، فأي مخلوق يساويه، وبه شرف علي عليه السلام، وافتخر بين الناس، وبذلك رد على عدوه بعد ما كتب إليه يفاخره فأجابه بالأبيات المنسوبة إليه، برواية الخاصة، والعامة منهم تاج الإسلام الخود أبندي البخاري في أربعينه، ومنهم ابن أبي الحديد ذكر منها بعضاً وغيره منهم ذكرها بتمامها فلنذكرها تشريفاً لكتابنا ولأنها مجموعة فضايل:

محمد النبي أخي وصنوي	وحمزة سيد الشهداء عمي
وجعفر الذي يضحي ويمسي	يطير مع الملائكة ابن أمي
وبنت محمد سكني وعرسي	مسوط لحمها بدمي ولحمي
وسبطا أحمد ولداي منها	فأيكم له قسم كقسمي
أنا البطل الذي لا تنكروه	ليوم كريهة وليوم سلم
سبقتكم إلى الإسلام طراً	مقراً بالنبي في بطن أمي
وصليت الصلاة وكنت طفلاً	صغيراً ما بلغت أوان حلمي
فأوجب لي ولايته عليكم	رسول الله يوم غدير خم
فويل ثم ويل ثم ويل	لمن يلقى الإله غداً بظلمي

وبعدما أوضحنا لك من الحجة الواضحة بلا ريبة في العجز عن عد فضائله، ألا فبحق الإنصاف والمروة تبصّر في ما أوضحناه لك من الحجة القائمة على عدم إمكان إحصاء فضايله فلا أراك ترتاب في ذلك.

معاجزه الخارقة صلوات الله عليه

وفيه معجزة وتحقيق رأي لبعض أجلاء السنة، في دفع الإشكال على رد الشمس.

إذا تبصرت فيما أوضحناه لك من الحجة القائمة على عدم إمكان إحصاء فضائله، فلا أراك ترتاب في ذلك، نعم إن الكرامات الخارقة للعادة، يمكن فيها الإحصاء؛ لجريانها بحسب حكم الله تعالى، ولكن ما أظن أحداً أحصاه من غير المعصومين، بسبب عدم الإحاطة بها كلها وإليك الإشارة إلى بعضها تقرباً لمن حباه بها (وهي مروية عند الفريقين).

[**الأولى**] ففي الينابيع[1] عن جمع الفوائد، وابن المغازلي، والحمويني، وموفق بن أحمد الخوارزمي، وكتاب الإرشاد، والشفاء، والصواعق المحرقة، ودونك رواية الصواعق، قال ما نصه: ومن كراماته الباهرة أن الشمس ردت إليه لما كان رأس النبي ﷺ في حجره، والوحي ينزل عليه، وعلي لم يصل العصر، فغربت الشمس فلما سرى الوحي عنه قال: «اللهم إن علياً في

---

(١) الباب السابع والأربعين ص١١٣.

طاعتك، وطاعة نبيك ﷺ، فأردد عليه الشمس، فطلعت بعد ما غربت »[1].
صححه الطحاوي، والقاضي في الشفاء، وحسنه شيخ الإسلام أبو زرعة، وتبعه غيره. وفي الباب المذكور حديث رد الشمس أيضاً له بعد وفاة النبي ﷺ، قال فيه ما نصه: وفي المناقب عن أبي جعفر الباقر عليه السلام عن أبيه عن جده الحسين عليه السلام قال: « لما رجع أبي من قتال أهل النهروان سار في أرض بابل وحضرت صلاة العصر، فقال: هذه أرض مخسوفة، وقد خسفها الله ثلاثاً، ولا يحل لوصي نبي أن يصلي فيها. قال جويرية بن مسهر العبدي:

---

(١) أورد العلامة الشيخ محمد باقر المحمودي في كتابه القيِّم (كشف الرمس عن حديث رد الشمس) أسماء عدة من الصحابة الذين رووا هذا الحديث منهم:
١ - أمير المؤمنين ، وحديثه رواه الحسكاني وأبو الحسن شاذان الفضلي.
٢ - الإمام الحسين .
٣- جابر بن عبدالله الأنصاري.
٤ - أبو رافع مولى رسول الله ﷺ .
٥ - أبو سعيد الخدري رفع الله مقامه.
٦ - أبو هريرة.
٧- أنس بن مالك.
٨- عبدالله بن عباس.
٩ - أسماء بنت عميس.
ثم أورد أسماء جمع ممن أفرد الحديث بالتأليف وكتب فيه رسائل مستقلة من كبار الحفاظ والمحققين كأمثال:
١ - الحافظ الشهير ابن مردويه.
٢ - الحافظ الحسكاني عبيدالله بن عبدالله بن أحمد الحذا.
٣- أبو الفتح محمد بن الحسين الأزدي الموصلي (جمع طرقه في كتاب مفرد).
٤ - أبو الحسن الفضلي.
٥ - الحافظ السيوطي.
ومن أراد التوسع والاستزادة فليراجع هذا الكتاب الجليل ففيه ما يشفي القلوب، نشر مؤسسة المعارف الإسلامية، قم المقدسة، ط١ ١٤١٩هـ. المراجعون

صلى القوم هنا، وتبعت بمائة فارس أمير المؤمنين عليه السلام، إلى أن قطعنا أرض بابل، والشمس قد غربت فنزل، وقال: آتني بماء، فأتيته بالماء فتوضأ وقال: يا جويرية أذن للعصر. فقلت في نفسي: كيف نصلي العصر وقد غربت الشمس؟ فأذنت فقال لي: أقم فأقمت، وإذا أنا به في الإقامة قد تحركت شفتاه، وإذا قد رجعت الشمس، فصلينا وراءه، فلما فرغنا من الصلاة غابت بسرعة كأنها سراج قد وقع في طشت ماء، واشتبكت النجوم، فالتفت إلي، وقال لي: أذن للمغرب يا ضعيف اليقين. انتهى.

وأورد الرواية المتقدمة شيخنا الشيخ علي في منار الهدى، بتفاوت في اللفظ يسير، ونقل بعدها كلاماً متيناً لبعض أجلاء علماء العامة، ينبغي نقله تتميماً للفائدة، فإليكه حرفياً من صفحة ٣٨٧، قال في إسعاف الراغبين: وحديث ردها صححه الطحاوي، والقاضي في الشفا، وحسنه شيخ الإسلام أبو زرعة، وتبعه غيره، وردوا على جميع من قال: إنه موضوع، وزعمُ فوات الوقت بغروبها، فلا فائدة لردها في محل المنع لعود الوقت بعودها، كما ذكره ابن العماد، واعتمده غيره إلى أن قال: وعلى تسليم عدم عود الوقت نقول كما أن لردها خصوصية كذلك، إدراك العصر أداء له خصوصية. انتهى.

ثم قال الشيخ أقول: واعترف بالحديث ابن أبي الحديد، حتى نظمه في أشعاره في مدح أمير المؤمنين عليه السلام، واعترف به القوشجي، وبجميع ما ذكرناه، وما نذكره من المعاجز، وقول بعض العامة: لو كانت الشمس طلعت بعدما غربت لكان ذلك معلوماً لكل الناس يشبه قول منكري انشقاق القمر للنبي صلى الله عليه وآله، بأنه لو وقع لعلمه كل الناس، وما يجيبون به عن هذه هو جوابنا عن ذاك. انتهى.

وأما قضية ردها في بابل فرواه أيضاً غير واحد من الفريقين، بل قال

بعض الأفاضل باستفاضتها[1].

[الثانية] قلع باب خيبر فهو ليس بالقوة البشرية قطعاً، كما نقل معنى ذلك عنه عليه السلام وهو باب يعجز عن حمله سبعون رجلاً، على ما ذكره في المنار[2] وغيره، روي يعجز عن هزه أربعون، وقد ذكره العلامة ابن أبي الحديد المعتزلي في عينيته، وذكر فيها رد الشمس أيضاً، ويا حبذا ذكر نبذة منها لتضمنها ما ذكر وما هو أشرف منه قال:

هـذا ضـمير العـالم الموجـود مـن	عـدم وسر وجـوده المستودع
هـذي الأمانـة لا يقـوم بحملهـا	خرقـاء هابطـة وأطلـس أرفـع
هـذا هـو النـور الـذي عذباتـه	كانـت بغـرة آدم تتطلـع
وشهاب موسى حيث أظلم ليله	رفعـت لـه لـئلاؤه تتشعشع
يـا مـن لـه ردت ذكـاء ولم يفـز	بنظيرهـا مـن قبـل ألا يوشـع
يـا هـازم الأحـزاب لا يثنيـه عـن	خـوض الحـمام مـدجج ومـدرع
يـا قـالع البـاب التـي عـن هزهـا	عجـزت أكـف أربعـون وأربـع
لـولا حـدوثك قلـت إنـك جاعـل	الأرواح في الأشـباح والمستنزع
مـا العـالم العلـوي إلا تربـة	فيهـا لجثتـك الـشريفة مـضجع
مـا الـدهر إلا عبـدك القـن الـذي	بنفـوذ أمـرك في البريـة مولـع

انتهى مرادنا من القصيدة...

وينبغي أن نلتفت إلى قوله (أربعون وأربع) فإنه خلاف ما ورد من الأربعين والسبعين والظاهر صحة التأويل في المقام؛ دفعاً لتغليطه، وهو أن

---

(١) راجع كتاب كشف الرمس عن حديث رد الشمس، للعلامة المحقق الشيخ محمد باقر المحمودي، ففيه كفاية للطالب. المراجعون

(٢) كتاب منار الهدى، للشيخ الفقيه علي بن عبدالله الستري البحراني.

المراد أربعون وأربعون، والثاني مرخم على غير القياس، لكنه مسموع، كما أفادني به الأستاذ الفاضل الشيخ فرج العمران، والمعنى طبق الوارد وهو أربعون رجل ولهم ثمانون كفاً فيصح قوله عجزت أكف أربعون وأربع.

[**الثالثة**] من المعاجز المشهورة: تكليم الشمس أيضاً حينما كلمها بأمر رسول الله صلى الله عليه وآله، وهو وارد في الينابيع بثلاث روايات:

الأولى: أخرجها الحمويني، والموفق بن أحمد من طريق الإمام العسكري عليه السلام، عن أبيه عن آبائه عن أمير المؤمنين عليه السلام.

والثانية: أخرجها ابن شيرويه الديلمي، وعبدوس الهمداني، والخطيب الخوارزمي، بطرق متعددة، عن سلمان، وعمار، وأبي ذر، وابن مسعود، وابن عباس، وعلي رضي الله عنهم جميعاً، قالوا: لما فتح النبي صلى الله عليه وآله مكة تهيأ لغزوة هوازن، قال النبي صلى الله عليه وآله لعلي عليه السلام: «قم فانظر كرامتك على الله -عز وجل- وكلم الشمس، فقام علي عليه السلام وقال: السلام عليك أيها العبد الدائر في طاعة ربه! فأجابته بقولها: وعليك السلام يا أخا رسول الله صلى الله عليه وآله، ووصيه، وحجة الله في خلقه. وانكب علي عليه السلام ساجداً، شكراً لله -عز وجل- فأخذ النبي برأسه يقيمه ويمسح وجهه ويقول له: يا حبيبي أبشرك أن الله -عز وجل- باهى بك حملة عرشه، وأهل سماواته، ثم قال: الحمد لله الذي فضلني على ساير الأنبياء، وأيّدني بعلي سيد الأوصياء، ثم قرأ ﴿**وَلَهُ أَسْلَمَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا**﴾[1] إلى آخره.

الثالثة: أخرجها صاحب المناقب، عن الإمام أبي جعفر الباقر عليه السلام عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: إن الشمس تكلمت لعلي عليه السلام سبع مرات ومضمون الأولى مضمون الثانية بتفاوت في اللفظ.

---

(١) آل عمران: ٨٣.

[**الرابعة**]: ومن المعاجز الواردة عند الفريقين: حديث البساط فإليكه من الينابيع، في الباب التاسع والأربعين قال ما نصه: أخرج الثعلبي عن أبان عن أنس، وأيضاً عن مجاهد عن ابن عباس رضي الله عنه قال: «أهدي لرسول الله صلى الله عليه وآله بساط من خندف، فقال: يا أنس، ابسطه، قال: فبسطته ثم قال لي: ادع العشرة من الأصحاب، فدعوتهم فلما دخلوا أمرهم بالجلوس على البساط، ثم دعا علياً عليه السلام فناجاه طويلاً ثم أمره بالجلوس على وسط البساط، فجلس علي عليه السلام على وسطه فقال: يا ريح احملينا فحملتنا الريح! قال أنس: فإذا البساط يدف بنا دفاً، ثم قال: يا ريح ضعينا، فوضعتنا في موضع، فقال علي عليه السلام: هل تدرون أنتم في أي مكان؟ قلنا: لا ندري، قال: هذا موضع أصحاب الكهف والرقيم، قوموا وسلموا على إخوانكم، فقمنا وسلمنّا عليهم، فلم يردوا علينا السلام، فقام علي عليه السلام فقال: ما بالكم لا تردون السلام على إخواني؟ فقالوا: نحن معشر الصديقين لا نكلم إلا نبياً أو وصياً، وصاروا في رقدتهم إلى خروج القائم المهدي عليه السلام، فيحييهم الله تعالى عند خروجه، قال: ثم جلسنا على البساط فقال علي عليه السلام: يا ريح احملينا فحملتنا يدف بنا دفاً ثم قال: يا ريح ضعينا فوضعتنا في الحرة، فقال علي عليه السلام: ندرك رسول الله صلى الله عليه وآله في آخر ركعة، وأتينا فلحقناه في آخر ركعة.

أيضاً أخرج هذا الحديث ابن المغازلي، عن معمر عن أنس بن مالك، وأخرجه أيضاً صاحب المناقب عن ثابت عن أنس، وأيضاً الزهري عن أنس، وأيضاً عن قتادة البصري عن أنس. انتهى.

وأورد بعض شيوخنا الأعلام هذا الحديث بتفاوت عن عيون المعجزات، وفيه أن الذين جلسوا عليه أربعة هم أبو بكر وعمر وعثمان وسلمان وخامسهم أمير المؤمنين عليه السلام قال ذلك الفاضل: قد روى الفريقان هذا الخبر بطرق متعددة، مغايرة في الجملة، والذي وقفنا عليه من ذلك حال التأليف مع ضيق الوقت عن المراجعة رواية علي بن أسباط في نوادره، ومحمد

بن العباس بن مروان رضي الله عنه في تفسيره، وابن شهراشوب في المناقب، وشاذان بن جبرئيل في كتابيه: الفضايل والروضة، والحسين بن حمدان في الهداية، وصاحب ثاقب المناقب فيه، والسيد الجليل علي بن طاووس في كتابه اليقين وفي سعد السعود من طريقين أنه يروي هذا الحديث بعدة طرق اقتصرنا هناك بواحد.

ومن العامة: ابن المغازلي والشافعي في كتابه، وأسعد بن إبراهيم الأردبيلي في كتابه الأربعين.

وبالجملة إن هذا الخبر من مشهورات الأخبار بين أهل الحديث، غير أن الروايات في الجالسين على البساط مختلفة، ويمكن أن يكون قد وقعت هذه الواقعة أكثر من مرة، والله تعالى أعلم وحججه عليهم السلام. انتهى كلامه زيد في علو مقامه.

[الخامسة]: ومما رواه غير واحد قلع الصخرة عن الماء، قرب دير الراهب، فدونكها من خصائص الأمير عليه السلام للشريف الرضي رضي الله عنه، ص١٧ طبع النجف سنة ١٣٦٧هـ يرويها عن الحميري متصلاً بالصادق عليه السلام قال ما نصه: وبإسناده إن أمير المؤمنين عليه السلام لما أقبل من صفين مر في زهاء سبعين رجلاً بأرض ليس فيها ماء، فقالوا له: يا أمير المؤمنين عليه السلام ليس هاهنا ماء، ونحن نخاف العطش، قالوا فمررنا براهب في ذلك الموضع فسألناه هل بقربك ماء؟ فقال: ما من ماء دون الفرات. فقلنا يا أمير المؤمنين، العطش وليس قربنا ماء فقال عليه السلام: إن الله -عز وجل- سيسقيكم، فقام يمشي حتى وقف بمكان، ودعا بمساح بذلك المكان فكنس، وأُجلي عن صخرة فلما انجلى عنها قال: اقلبوها، فرمناها كل مرام، فلم نستطعها، فلما أعيتنا دنا منها، فأخذ بجانبها ودحا بها فكأنها لم تكن، فرمى بها فانجلت عن ماء لم يُرَ أشد بياضاً منه ولا أصفى ولا أعذب منه. فتنادى الناس الماء الماء،

فاغترفوا وسقوا وشربوا وحملوا، ثم أخذ عليه السلام الصخرة فردها مكانها، ثم تحمل الناس فسار غير بعيد، فقال عليه السلام: أيكم يعرف مكان هذه العين؟ فقالوا: كلنا يعرفها قال عليه السلام: فانطلقوا فانظروا! فانطلق ما شاء الله منا، فدرنا حتى أعيينا، فلم نقدر على شيء، وأتينا الراهب فقلنا له: ويحك ألست زعمت أنه ليس قبلك ماء؟ ولقد استثرنا هاهنا ماء فشربنا واحتملنا، قال: فوالله ما استثارها إلا نبي أو وصي نبي، قلنا: فإن فينا وصي نبينا محمد صلى الله عليه وآله قال: فانطلقوا إليه فقولوا: ماذا قال النبي صلى الله عليه وآله حين حضره الموت؟ قال: فأتيناه فقلنا له هذا الراهب قال: كذا وكذا، قال: فقولوا له: إن أخبرناك لتنزلن وتسلمن؟ فقلنا له فقال: نعم والله، قال: فأتينا أمير المؤمنين عليه السلام فقلنا له: قد حلف ليسلمن قال: فانطلقوا فأخبروه أن آخر ما قال النبي صلى الله عليه وآله الصلاة الصلاة إن النبي كان واضعاً رأسه في حجري فلم يزل يقول: الصلاة الصلاة. حتى قبض صلى الله عليه وآله فقلنا له ذلك فأسلم.

وفي ذلك يقول السيد إسماعيل محمد الحميري في قصيدته البائية المعروفة بالمذهبة.

ولقد سرى فيما يسير بليلة … بعد العشاء بكربلا في موكب

حتى أتى متبتلاً في قائم … ألقى قواعده بقاع مجدب

إلى أن قال رحمه الله تعالى:

فثنى الأعنة نحو وعث فاجتلى … بيضاء تبرق كاللجين المذهب

وقال فيها رحمة الله عليه:

فاعصوصبوا في قلعها فتمنعت … منهم تمنع صعبة لم تركب

وبعد بيت قال رضي الله عنه:

فسقاهم من تحتها متسلسلاً … عذباً يزيد على الألذ الأعذب

وبعد إكمال نظم الحادثة أخذ في ذكر رد الشمس على أمير المؤمنين عليه السلام فقال:

وعليه قد حبست ببابل مرة ... أخرى وما حبست لخلق معرب

إلا لأحمد أو له من بعده ... ولردها تأويل أمر معجب

القصيدة انتهى.

وقد روى هذه القصيدة جماعة منهم: ابن أبي الحديد في الجزء الثالث ص١٠٥ طبع إيران، وذكر رد الشمس أيضاً ببابل ص١٠٨ في الجزء المذكور، وذكرها السيد المذكور في الكتاب المذكور ص٢٤.

[السادسة] وذكر أيضاً (الشريف الرضي رحمه الله) في ص٢٦ معجزة رده الفرات بسوطه، فإليكها حرفياً: وبإسناد مرفوع إلى الأصبغ بن نباتة رضي الله عنه قال: جاء رجل إلى أمير المؤمنين عليه السلام فقال: يا أمير المؤمنين قد زاد الفرات والساعة نغرق. قال عليه السلام: لن تغرقوا. ثم دعا ببغلة رسول الله صلى الله عليه وآله فركبها، وأخذ بيده قضيباً ثم سار حتى انتهى إلى شاطئ الفرات فنزل عليه السلام وضرب الفرات ضربة فنقص خمسة أذرع، وقال بعضهم: عشرة أشبار، قال الأصبغ رضي الله عنه: سمعت علياً عليه السلام يومئذ يقول: لو ضربت الفرات ضربة، ومشيت ما بقي منه قطرة. انتهى بتمامه، وإلى هذه المعجزة أشار الشفهيني في لاميته الجامعة لجملة من المعاجز بقوله:

ونفوذ أمرك في الفرات وقد طما ... مداً فأصبح ماؤه مستسفلا

القصيدة...

ومنها قوله رضي الله عنه:

وقضية الثعبان حين أتاك في ... إيضاح كشف قضية لن تعقلا

فحللت مشكله فآب لعلمه ... فرحاً وقد فصلت منه المجملا

والظاهر أنه يريد القضية التي رواها الشيخ علي، في منار الهدى، فلنذكرها، وهي المعجزة السابعة لعددنا في أعداد معاجزه عليه السلام، قال رحمه الله في صفحة ٢٨٦ ما نصه.

[السابعة] ومنها: مخاطبة الثعبان، على منبر الكوفة، فسئل عنه فقال: هذا من حكام الجن، أشكلت عليه مسألة فأجبته.

ونقل أحد الأعلام عن كتاب لوامع الأنوار قضية ثعبان آخر قتل ولده ونقل مضمونها أيضاً عن أسعد بن إبراهيم الأردبيلي من العامة، في كتابه الأربعين عن أستاذه دحية بن خليفة الكلبي.

[الثامنة]: ومن المعاجز محاربته عليه السلام الجن، على ما ذكره الشيخ علي في المنار فقد روى أن جماعة من الجن، أرادوا إيقاع الضرر بالنبي صلى الله عليه وآله حين مسيره إلى بني المصطلق، فحاربهم علي عليه السلام، وقتل منهم جماعة كثيرة، ونقلها غيره من الفضلاء أيضاً مفصلة عن إرشاد المفيد رحمه الله، وقال المفيد رحمه الله بعد انتهائها على ما نقله الفاضل المذكور بعد نقل هذا الخبر: وهذا الحديث قد روته العامة كما روته الخاصة، ولم يتناكروا شيئاً.

وقد وقفت على خمس قضايا في محاربته الجن في عهد النبي صلى الله عليه وآله أحدها: عن تفسير فرات، والثانية: عن كتاب المقامات، الثالثة: عن كنز الواعظين وهي بئر ذات العلم، الرابعة: قضية عرفطة الجني عن كتاب اليقين، وهي مشهورة مروية عند الفريقين، الخامسة: عن مناقب ابن شهراشوب قضية عرفطة على نحو آخر.

[التاسعة]: ومن معاجزه عليه السلام حديث النياق، وقد رواه غير واحد منهم: الشريف الرضي رحمه الله في الخصائص ص١٦ قال ما نصه: وروى بإسناده أن أمير المؤمنين عليه السلام كان جالساً في مجلسه، والناس مجتمعون عليه بالمدينة، بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله، حتى وافى رجل من العرب فسلم عليه

وقال: أنا رجل لي على رسول الله صلى الله عليه وآله وعد، وقد سألت عن قاضي دينه ومنجز وعده بعد وفاته، فأرشدت إليك فهل الأمر كما قيل لي؟ فقال أمير المؤمنين عليه السلام: نعم أنا قاضي دينه ومنجز وعده من بعده، فما الذي وعدك به؟ قال: مائة ناقة حمراء، وقال لي: إذا أنا قبضت فأتِ قاضي ديني وخليفتي من بعدي، فإنه يدفعها إليك وما كذب نبي الله، فإن يكن ما ادعيته حقاً فتفضل عليّ بها، ولم يكن النبي صلى الله عليه وآله خلفها ولا بعضها، فأطرق أمير المؤمنين عليه السلام ملياً ثم قال لابنه: يا حسن، فنهض إليه فقال له: اذهب فخذ قضيب جدك رسول الله صلى الله عليه وآله الفلاني، وصر به إلى البقيع فاقرع به الصخرة الفلانية ثلاث قرعات، وانظر ما يخرج منها فادفعه إلى هذا الرجل، وقل له: يكتم ما رأى، فصار الحسن عليه السلام إلى الموضع والقضيب معه، ففعل ما أمره به فطلع من الصخرة رأس الناقة بزمامها، فجذبه الحسن عليه السلام فظهرت ناقة، ثم ما زال يتبعها ناقة ناقة حتى انقطع القطار على مائة ناقة ثم انضمت الصخرة، فدفع النوق إلى الرجل وأمره بالكتمان لما رأى. فقال الأعرابي: صدق رسول الله صلى الله عليه وآله، وصدق أبوك، إنه هو قاضي دينه ومنجز وعده والإمام من بعده، رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت إنه حميد مجيد. انتهى.

واعلم أن مضمون هذه القضية متكرر في كتب الخاصة والعامة بتغاير كثير.

ومنها رواية شاذان وفيها: أن المسائل من أحبار اليهود، وأن النوق سبع، فيظهر من ذلك أنها غيرها، وقد رواها ابن شهراشوب في المناقب والراوندي في الجرايح وصاحب الهداية وغيرهم، وملخص ما في ثاقب المناقب عن شيخه السوهاني، أن الأعرابي هو أبو الصمصام العبسي، جاء إلى النبي صلى الله عليه وآله وأسلم بعد أن سأله عن خمسة أشياء فنزل جبرئيل بقوله تعالى: ﴿**إِنَّ اللهَ عِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الغَيْثَ**﴾[1] الآية فأسلم، والتزم أن يأتي

---

(١) لقمان: ٣٤.

بقومه مسلمين، فالتزم له النبي صلى الله عليه وآله بثمانين ناقة فجاء بعد وفاته صلى الله عليه وآله وقد أسلمت عبس، فطلب من خليفته الأول النياق، فعجز فسار معه سلمان الفارسي رضي الله عنه إلى باب وصي رسول الله صلى الله عليه وآله أمير المؤمنين عليه السلام، فأخبرهما باسم العبسي وهما على الباب، فتعجبا وطلب من أمير المؤمنين عليه السلام العِدَة، ودفع إليه الوثيقة عليها فخرج عليه السلام إلى خارج المدينة معه والناس مجتمعة، فأرسل ابنه الحسن عليه السلام مع أبي الصمصام إلى كثيب رمل، وكلم الأرض بعد صلاة ركعتين، وضرب الكثيب بقضيب رسول الله صلى الله عليه وآله فخرجت صخرة مكتوب عليها الشهادتان مع الشهادة لعلي عليه السلام بالولاية، وضربها الزكي بالقضيب فخرج منها ثمانون ناقة متعاقبة. انتهى ما لخصناه.

[**العاشرة**]: ومن المعاجز ما رواه شاذان بن جبرئيل رضي الله عنه مرفوعاً عن عمار بن ياسر رضي الله عنه، قال: لما سار أمير المؤمنين عليه السلام إلى صفين وقف بالفرات وقال لأصحابه: أين المخاض؟ قالوا: يا مولانا ما نعلم أين المخاض فقال: لبعض أصحابه امض إلى هذا التل ونادِ يا جلندي، أين المخاض؟ فمضى ونادى فأجابه من تحت الأرض خلق عظيم، قال: فبهت ولم يعلم ماذا يصنع؟ فأتى أمير المؤمنين عليه السلام فقال له: يا مولاي جاوبني خلق كثير فقال عليه السلام: يا قنبر امض وقل يا جلندي بن كركر أين المخاض؟ فجاء فكلمه واحد قال: ويلكم من قد عرف اسمي واسم أبي وأنا في هذا المكان قد بقيت تراباً، وقد بقي قحف رأسي وعظم نخر رميم، ولي ثلاثة آلاف عام ما يعلم أين المخاض؟ هو والله أعلم بالمخاض مني. ويلكم ما أعمى قلوبكم؟ وما أضعف يقينكم؟ ويلكم امضوا إليه واتبعوه: فأين خاض خوضوا معه، فإنه أشرف الخلق بعد رسول الله صلى الله عليه وآله. وأيضاً نقله ابن شهراشوب في مناقبه.

هذا والذي وقفت عليه من تكليم الجماجم أمير المؤمنين عليه السلام هو أربع قضايا أخر: إحداها عن عيون المعجزات، لما وصل أمير المؤمنين إيوان

كسرى كلم الجمجمة، الثانية والثالثة عن فضائل شاذان رضي الله عنه في مسيره عليه السلام لصفين ورجوعه، الرابعة عن علل الصدوق رضي الله عنه ﴿ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ﴾[1] ﴿وَاللهُ ذُو الفَضْلِ العَظِيمِ﴾[2].

[الحادية عشرة]: ما رواه صاحب كتاب الأربعين منتجب الدين الرازي، وهو من علماء العامة بسند متصل بكبار العلماء إلى عمار بن ياسر رضي الله عنه، وملخصه أن امرأة ورجلاً تخاصما في جمل عند أمير المؤمنين عليه السلام وقضى به للمرأة فأبى الرجل، وقال: إذا شهد شاهد وكان صادقاً سلمته إلى المرأة، فقال علي عليه السلام: تكلم أيها الجمل لمن أنت فقال بلسان فصيح: يا أمير المؤمنين وخير الوصيين، أنا لهذه المرأة منذ بضع عشرة سنة فقال عليه السلام خذي جملك.

انتهى ما لخصناه فهذه إحدى عشرة كرامة من خوارق العادات وتسمى معاجز في عرف أهل الحديث ذكرناها تعبداً، واخترنا هذا العدد تيمناً بعدد ولده المعصومين كما اخترنا في فضائله المتقدمة عدد الأربعة عشر المعصومين صلى الله عليهم أجمعين وليس الغرض إلا التنفل والتيمن وإلا فالكل عاجز عن إحصاء فضائله كما أوضحناه فيما سلف، وإني مع قلة اطلاعي قد وقفت على معاجز كثيرة، ومنها مائة من خوارق العادات في كتاب واحد، ومما أحصيته في إخباره عليه السلام بالمغيبات مائة وستة وعشرون أمراً وقد ذكرناه في كتاب النظرات وفيه أيضاً ذكرنا أنا قد أحصينا من إخباراته وإخبارات سيد الكل -رسول الله صلى الله عليه وآله والأئمة المعصومين عليهم السلام- ستمائة وأربعة وثلاثين خبراً بالمغيبات.

---

(١) المائدة: ٥٤.

(٢) الأنفال: ٢٩.

انحصار نيابة الرسول صلى الله عليه وآله فيهم عليهم السلام

وفيه شذرة في بيان معارف الدين الخمس عقلاً ونقلاً، والتلازم بينها، وبذلك تعرف أن لا أهلية للنيابة عن الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله غير أمير المؤمنين والأحد عشر المعصومين من ولده عليهم السلام، وهم من ذكرهم شفاء القلوب الحسن الزكي المجتبى، وأخوه الحسين الشهيد خامس أهل العباء، فابنه علي زين العابدين، فابنه محمد الباقر، فابنه جعفر الصادق، فابنه موسى الكاظم، فابنه علي الرضا، فابنه محمد الجواد، فابنه علي الهادي، فابنه الحسن العسكري، فابنه محمد المهدي القائم المنتظر -عجل الله فرجه- اللهم صل عليهم وعجل فرجهم.

ولا ريبة عند كل عاقل منصف في وجوب قائم نائب عن النبي صلى الله عليه وآله، حافظ لشريعته، مدبر لأمته، وذلك عين ما قلناه في الشعاع الحادي عشر من اشتراط التوحيد بولايتهم عليهم السلام، بل هو بديهي عند ذوي العقول السليمة، فإن معارف الدين الخمسة متلازمة، وبيان ذلك أن من رأى نفسه موجوداً لا من شيء، عرف أن له موجداً واجباً قديماً سرمدياً جامعاً لصفات الكمال مطلقاً، وليست هي إلا عين الذات وإلا لتعددت القدماء، أو كان الواجب

محلاً للحوادث، أو كان معطلاً تعالى الله عن ذلك علوًّا كبيراً، فالواجب كامل مطلقاً منزه عن كل نقص فإن النقص ملازم الإمكان بل هو عينه ﴿قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ﴾[1]... السورة، فهو تعالى واحد عدل لطيف حكيم لا يعبث ولا يخل بواجب ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا﴾[2] ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ﴾[3] فعبادتهم سعادتهم الحقيقية الباقية، ولازم العدل واللطف إرشاده تعالى عباده لطاعته، بإرسال الرسل وإقامة الحجج من البدء إلى الختم، فخاتم النبيين سيدهم كافة خير المخلوقين أبو القاسم حبيب الله محمد بن عبد الله ﷺ، وكفاه دليلاً معجزته الخالدة ﴿إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ (٧٧) فِي كِتَابٍ مَّكْنُونٍ (٧٨) لاَّ يَمَسُّهُ إِلاَّ الْمُطَهَّرُونَ (٧٩) تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ﴾[4] ﴿قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَن يَأْتُواْ بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لاَ يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾[5] ﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُواْ شُهَدَاءكُم مِّن دُونِ اللهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾[6] وفيه تبيان كل شيء من حكم وأحكام وأمثال نافعة وتطهير للأخلاق بالتعاليم القيمة وإنباء بالغيوب ﴿تِلْكَ مِنْ أَنبَاء الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَا أَنتَ وَلاَ قَوْمُكَ﴾[7] وفيه المواعظ الزاجرة وإرشاد العقول إلى ما تنكره ومنها التصريحات بحتم الموت على كل ذي روح قال تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾[8] وقال تعالى معرفاً لنبيه ﷺ بذلك: ﴿وَمَا

---

(١) الإخلاص: ١.

(٢) المؤمنون: ١١٥.

(٣) الذاريات: ٥٦.

(٤) الواقعة: ٧٧ – ٨٠.

(٥) الإسراء: ٨٨.

(٦) البقرة: ٢٣.

(٧) هود: ٤٩.

(٨) آل عمران: ١٨٥.

جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِن مِّتَّ فَهُمُ الْخَالِدُونَ﴾[1] وقال تعالى: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ﴾[2] فلما قربت أيام انتقاله لربه، وتشريفه الآخرة، قضت الحكمة الربانية بمقتضى اللطف الواجب نصب أمين معصوم، نائب عنه صلى الله عليه وآله؛ لحفظ الشرع، وتدبير الأمة، فنزلت ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ﴾[3] حاتمة بنصبه ابن عمه أمير المؤمنين عليه السلام علماً وإماماً للخلق، ثم الأحد عشر من ولده المعصومين، فنص عليهم بالنص الجلي، وقد أشار لذلك النص الكتاب المبين ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُواْ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾[4] وقد فسرها العامة والخاصة فيه عليه السلام ولم تدع لغيره، وقد تعرضنا لذلك في أوائل كتاب النظرات، وذكرنا نصوصه صلى الله عليه وآله على الأئمة عليهم السلام بأسمائهم برواية الفريقين وذكرنا عنهم أعداد نصوص النبي صلى الله عليه وآله في الغدير وغيره عموماً وخصوصاً، وبذكرهم تطمئن القلوب، أولهم سيدهم علي أمير المؤمنين عليه السلام، فابنه الحسن الزكي الأمين، فأخوه الحسين الشهيد، فابنه زين العابدين، فابنه محمد الباقر، فابنه جعفر الصادق، فابنه موسى الكاظم، فابنه علي الرضا، فابنه محمد الجواد، فابنه علي الهادي، فابنه الحسن العسكري، فابنه الحجة المنتظر المهدي -عجل الله فرجه- عليه السلام وقد ذكرنا في النظرات أن سبعة علماء من عظماء الجمهور صرحوا بأن المنتظر هو المهدي عليه السلام بن الحسن العسكري عليه السلام، وفيها أيضاً ذكرنا أنا وقفنا على مايتين وتسعة عشر (حديثاً) في كتب الفريقين، فالأرض لا تخلو من حجة أبداً منهم وهم أمان الأرض كما في

---

(١) الأنبياء: ٣٤.

(٢) الزمر: ٣٠.

(٣) المائدة: ٦٧.

(٤) المائدة: ٥٥.

النبوي. ﴿قُلْ فَللهِ الْحُجَّةُ البَالِغَةُ﴾[1] فحجته تعالى قائمة على المكلفين ما دام التكليف يلازم العدل، واللطف، وبذلك يلزم المعاد الروحاني[2] عقلاً، وعود الأرواح والأجسام أيضاً ضروريٌ سمعاً إلى دار الجزاء والقصاص، قال تعالى: ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلاً وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي العِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ (٧٨) قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾[3] وقال تعالى: ﴿وَقَالُواْ أَئِذَا كُنَّا عِظَامًا وَرُفَاتًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا﴾[4] وقال تعالى: ﴿قُل كُونُواْ حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا (٥٠) أَوْ خَلْقًا مِّمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ فَسَيَقُولُونَ مَن يُعِيدُنَا قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُؤُوسَهُمْ وَيَقُولُونَ مَتَى هُوَ قُلْ عَسَى أَن يَكُونَ قَرِيبًا (٥١) يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِ وَتَظُنُّونَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلاَّ قَلِيلاً﴾[5] وقال تعالى: ﴿أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ﴾[6] وقال تعالى: ﴿أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَئِنَّا لَمَدِينُونَ﴾[7] وقال تعالى: ﴿أَئِذَا كُنَّا عِظَامًا نَّخِرَةً﴾[8] وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَى كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾[9] وقال تعالى: ﴿أَيَحْسَبُ الإِنسَانُ أَلَّن نَجْمَعَ عِظَامَهُ (٣) بَلَى قَادِرِينَ عَلَى أَن نُّسَوِّيَ بَنَانَهُ﴾[10]، وقال تعالى:

---

(١) الأنعام: ٤٩.

(٢) أي عود الأرواح إلى الأجساد.

(٣) يس: ٧٨ – ٧٩.

(٤) الإسراء: ٤٩.

(٥) الإسراء: ٥٠ – ٥٢.

(٦) المؤمنون: ٨٢.

(٧)الصافات: ٥٣.

(٨) النازعات: ١١ .

(٩) الأنعام: ٩٤.

(١٠) القيامة:٣ – ٤.

﴿أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَادِرٍ عَلَى أَن يُحْيِيَ الْمَوْتَى﴾[1] وقال تعالى: ﴿أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَئِنَّا لَمَبْعُوثُونَ﴾[2] إلى غير ذلك من الآيات...

وقد تكرر في القرآن المجيد ذكر النشأة الآخرة فاقرأ المدثر، القيامة، هل أتى، المرسلات، النبأ، النازعات، عبس، التكوير، أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ﴿بسم الله الرحمن الرحيم إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ (١) وَإِذَا النُّجُومُ انكَدَرَتْ (٢) وَإِذَا الجِبَالُ سُيِّرَتْ (٣) وَإِذَا العِشَارُ عُطِّلَتْ (٤) وَإِذَا الوُحُوشُ حُشِرَتْ﴾[3] فاقرأ السورة وغيرها من المفصّل، فعود الشخص بجسمه وروحه، بحيث من رآه عرفه عينا مما أجمع عليه المسلون والأخبار من السنة النبوية ضرورية الثبوت عندهم ومن ذلك النبوي «لتموتن كما تنامون ولتبعثن كما تستيقظون ولتحاسبن كما تعملون ولتجزون بالإحسان إحساناً وبالسوء سوءاً وإنها الجنة أبداً أو النار أبداً». فكل شبهة ترد على حشر الأجسام مدفوعة بتسليم قدرة الله تعالى وعدله وحكمته، فليس المقصود بسط الدليل ورفع الأشاكيل، وإنما تعرضنا لبيان تلازم أصول الدين الخمسة بسبب ما قلناه من أن ولايتهم عليهم السلام شرط التوحيد، وقد ثبت التلازم، وإلى ذلك يشير الحجة الشيخ علي بن عبد الجبار القطيفي من علماء القرن الثالث عشر.

من وحدة الشيء حقيقة لزم	عدل وعنها نبوة علم
ثم إمامة وإلا لا نبي	ثم معاد لا انقلاب الرتب
وعد من المعاد تأتي هكذا	تلازم الثبوت في هذا وذا

واتضح بعون الله وتوفيقه، إذ هي كلها عائدة لكمال الواجب تعالى

---

(١) القيامة: ٤٠.

(٢) الواقعة: ٤٧.

(٣) التكوير.

فمن أنكر واحداً منها فقد أنكر كمال المطلق فينقلب الواجب ممكناً وهو خلف.

فمن أنكر الولاية فليس من أهل الإيمان المستحقين للجنان ومن عادى الآل المعصومين خالد في النيران. أما المعترفون بولايتهم فهم الناجون قطعاً، ومآلهم للجنان، وإن كانوا من أهل العصيان، ولو بشفاعة النبي صلى الله عليه وآله والأئمة والزهراء عليهم السلام قبل دخول النار أو بعده على اختلاف مراتب المذنبين، واقتضاءات الذنوب فالحذر الحذر.

ففي عقائد الصدوق رضي الله عنه ص٨٢ قال أمير المؤمنين عليه السلام في آخر الحديث: «فإن من المسرفين من لا تلحقه شفاعتنا إلا بعد عذاب الله تعالى بثلاث مائة ألف سنة».

وأما المعادي لهم فقد عرفت أنه من الخالدين لما اتضح من تلازم ولاية الولي المعصوم لكمال الله تعالى، وقد عرفت تواتر النقل بذلك، وقد أحصينا منه في الشعاع الحادي عشر أربعين خبراً ويؤيد ذلك صريحاً ما رواه الصدوق رضي الله عنه في عقائده أيضاً في ص١١٤ قال النبي صلى الله عليه وآله: «من جحد علياً إمامته فقد جحد نبوتي ومن جحد نبوتي جحد الله ربوبيته».

في تحقيق حال القاصرين المستضعفين

نعم بقي أمر ينبغي بيانه فربما يسأل فطن فيقول: قد عرفنا حال الموالين وحال المعادين، فما حال المستضعفين ممن لم يدن بولاية المعصومين عليهم السلام ولم يظهر منهم عداوة ولا بغض لهم، بل هم تابعون لآبائهم أو علمائهم لم يستضيئوا بنور العلم، ولم يعلموا ما كان من النصوص الجلية على أئمة الهدى، يعتقدون إمامة غيرهم تبعاً لمعلميهم، ولو علموا وأُخبروا بالواقع لكان الغالب على الظن قوياً في أكثرهم معانقة الحق كما هو الغالب في أهل السواد وأهل البوادي؟.

فنقول هذه المسألة مما يقوم بجوابها العقل السليم، وترشد إليها بعض الأخبار المعصومية، فبعد تسليم كمال الله تعالى لا يشك عاقل في تنزيهه عن القبيح، وقبح العقاب بلا بيان بديهي قطعاً فلو فرض عدم بلوغ حجة الله هؤلاء المذكورين، وفرض قصورهم عن طلب الهدى، فالله أجل وأقدس من أن يعاقبهم، تعالى الله العدل الذي لا يجور، وما ذكر لا يختص بالإمامة فقط، بل يعم أُصول الدين وضرورياته، نعم لا يشترط في الأصول إلا التمييز، وما أحسن ما حرره الشيخ الجليل الحجة شيخنا الشيخ علي الخنيزي

قدس سره المتوفى سنة ١٣٦٣هـ في أصول الدين في روضة المسائل طبع النجف ص٥ قال رحمه الله: (مسألة ٦) هل القصور في الأصول ممكن فيجهلها القابل للتكليف ويخطئ لقصوره فيها المستدل؟. وجوه بل أقوال: أقواها: التفصيل، فمعرفة الصانع في نفسه ووحدانيته وعدالته وكلي النبوة والإمامة والمعاد الروحاني، بل وبعض النبوات والإمامات الشخصية مثل نبوة محمد صلى الله عليه وآله وإمامة علي عليه السلام غير قابلة للخفاء على ذي فهم... إلى آخر المسألة. وملخصه أن المذكور ضروري، أو قريب منه بأدنى مقدمة، وما سواه مما يحتاج إلى نظر كبعض صفات الواجب وغيرها قد يكون فيه القصور والجهل والغفلة فيكون صاحبه معذوراً فلا عقاب عليه ولا ثواب له. فراجع.

فقوله رحمه الله تعالى: «لا ثواب له» صريحٌ في أنه لا نصيب في الجنان لغير الموالين ولا عقاب على القاصرين كما قلناه.

فإن سألت عن منزلتهم فالجواب ما قاله رحمه الله تعالى في رسالته الموسومة بأصول الدين ص١٢٠ طبع النجف سنة ١٣٦٩هـ فإليكه حرفياً: وإن كان العجز لقصور في الذات، وعدم قابلية في المحل كما هو واضح الإمكان بالنسبة إلى غير ثبوت الواجب من صفاته وما يليق بشأنه -فضلاً عن غير ذلك من الأصول- فلا عقاب عليه لأنه ظلم وتعالى الله عنه، ولا ثواب له لأنه جزاء الإطاعة وليست كذلك.

وأما تفضله وكرمه -عز وجل- فهو مما لا يتناهى غير أن قبول المحل شرط، ومثل الذات المفروضة غير قابلة للفيض. ومحلها في الآخرة إما مكان غير الجنة أو النار لا على جهة العقوبة وهي بالنسبة إليه كالإصطبل للفرس.

في اشتراط دخول الجنان بالإيمان

فقد اتضح ما قلناه -معشر الإمامية- من اشتراط حصول الجنان والرضوان بالاعتراف بالأصول الخمسة للإيمان، وإن شئت التوكيد والمزيد من الكلام المفيد فإليك بعض مما ذكره صاحب التوقيعات المهدوية الشيخ المفيد رحمه الله في شرحه عقائد الصدوق رحمه الله ص٢٠٩ طبع سروش بتبريز قال ما نصه: وكل كافر على أصولنا فهو جاهل بالله ومن خالف أصول الإيمان من المصلين إلى قبلة الإسلام فهو عندنا جاهل بالله -سبحانه وتعالى- وإن أظهر القول بتوحيده تعالى، كما أن الكافر برسول الله صلى الله عليه وآله جاهل بالله، وإن كان فيهم من يعترف بتوحيد الله تعالى، ويتظاهر بها يوهم المستضعفين أنه معرفة بالله تعالى، وقد قال الله تعالى: ﴿**فَمَن يُؤْمِن بِرَبِّهِ فَلاَ يَخَافُ بَخْسًا وَلاَ رَهَقًا**﴾[1] وأخرج بذلك المؤمن عن أحكام الكافرين، وقال تعالى: ﴿**فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّىَ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ**﴾[2] الآية، فنفى عمن كفر بنبي الله صلى الله عليه وآله الإيمان ولم يثبت له مع الشك فيه المعرفة بالله على حال. انتهى

---

(١) الجن: ١٣.

(٢) النساء: ٦٥.

المراد.

ومن أحسن ما يرتبط بالمقام ما أفاده العالم الجليل الشيخ مقداد في كتابه النافع في شرح باب الحادي عشر -بعد الكلام على المعاد- قال في ص٦٤ ما نصه: الفائدة الرابعة ﴿الَّذِينَ آمَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُواْ إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ﴾[1] أولئك الذين يستحقون الثواب الدائم مطلقاً، والذين كفروا وماتوا وهم كفار أولئك يستحقون العذاب الدائم مطلقاً، والذين آمنوا وخلطوا عملاً صالحا وآخر سيئاً فإن كان السيئ صغيراً فذلك يقع مغفوراً إجماعاً، وإن كان كبيراً فإما أن يوافي بالتوبة فهو من أهل الثواب مطلقاً إجماعاً، وإن لم يوافِ بها فإما أن يستحق ثواب إيمانه أو لا، والثاني باطل لاستلزامه الظلم، ولقوله تعالى: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾[2] فتعين الأول، فإما أن يثاب ثم يعاقب وهو باطل للإجماع على أن من دخل الجنة لا يخرج منها، فحينئذ يلزم بطلان العقاب أو يعاقب ثم يثاب وهو المطلوب. انتهى.

فهذا عين ما قلناه من أن مآل الموالين النعيم الدائم؛ لحصول شرطه وهو من المتفق عليه عند جميع الإمامية، كاتفاقهم على الشرط المذكور، وقد صرح بذلك الشيخ الجليل الشيخ محمد صالح المازندراني في شرحه أصول الكافي في باب (أن الإسلام يحقن به الدم وأن الثواب على الإيمان) وإليك الخبر مع شرحه مزيداً للفائدة: بحذف الإسناد قال الراوي سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: الإسلام يحقن به الدم وتؤدى به الأمانة، وتستحل به الفروج، والثواب على الإيمان).. وقال الشيخ المذكور رحمه الله: قوله هذا يدل على أن غير المؤمن لا يثاب في الآخرة، ولا يدخل الجنة، كما يدل عليه الآيات والروايات المعتبرة واتفاق الفرقة الناجية. انتهى حرفياً ص٣١٨ طبع إيران.

---

(١) الأنعام: ٨٢.

(٢) الزلزلة: ٧.



في الفرق بين الإسلام والإيمان وتعريفهما

وإذ انتهى بنا القلم إلى ذكر الإسلام والإيمان، فيحسن جداً بيان الفرق بينهما بتعريفهما من أهلهما، فإليك تعريف السيد الجليل شرف الدين المتقدم الذكر رحمه الله في الفصول المهمة ص٨ الطبعة الثانية قال ما نصه: أجمع إخواننا أهل السنة على أن الإسلام والإيمان عبارة عن الشهادتين، والتصديق بالبعث، والصلوات الخمس إلى القبلة، وحج البيت، وصيام الشهر، والزكاة، والخمس المفروضين. وربما فرق بعضهم بين الإسلام والإيمان بفارق اعتباري. والذي يظهر من قوله تعالى: ﴿**قَالَتِ الأَعْرَابُ آمَنَّا قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِن قُولُوا أَسْلَمْنَا**﴾(١) أن الإسلام عبارة عن مجرد الدخول في الدين، والتسليم لسيد المسلمين صلى الله عليه وآله، وأن الإيمان عبارة عن اليقين الثابت في قلوب المؤمنين مع الإقرار به في اللسان، فيكون على هذا أخص من الإسلام. ونحن نعتبر فيه الولاية مضافاً إلى ذلك فافهم!.

وبهذا المضمون قال الحجة المصلح -الشيخ محمد الحسين كاشف

(١) الحجرات: ١٤.

الغطاء- رحمه الله في أصل الشيعة وأصولها ص٩٢ الطبعة الثانية، وهو أيضاً المفهوم من كلام المفيد المتقدم، وهذا المعنى مأخوذ من خزنة علم الله وورثة رسول الله صلى الله عليه وآله وأوصيائه المعصومين، والأخبار في ذلك كثيرة من كتب الفريقين، فمن كتب القوم الصحاح الستة، ومن كتبنا الكافي وغيره، وفيه من ذلك شيء كثير؛ ففيه أربعة أبواب تحتوي على ستة وعشرين خبراً، فراجع من ص٣١٤ إلى ص٣٢٤ ومن ذلك حديث مسند في ص٣١٨ عن الإمام الصادق عليه السلام قال فيه لسائل: فالقني في البيت فلقيه فسأله عن الإسلام والإيمان ما الفرق بينهما؟ فقال عليه السلام: الإسلام هو الظاهر الذي عليه الناس؛ شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً صلى الله عليه وآله رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وحج البيت، وصيام شهر رمضان، فهذا الإسلام. وقال عليه السلام: الإيمان معرفة هذا الأمر مع هذا، فإن أقر بها ولم يعرف هذا الأمر كان مسلماً وكان ضالاً.

وفيها حديث آخر عن أبي بصير رضي الله عنه عن أبي جعفر عليه السلام قال سمعته يقول: ﴿**قَالَتِ الأَعْرَابُ آمَنَّا قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِن قُولُوا أَسْلَمْنَا**﴾[1] فمن زعم أنهم آمنوا فقد كذب ومن زعم أنهم لم يسلموا فقد كذب.

وفيه أيضاً في ص٣١٧ عن عمرو بن حريث قال: دخلت على أبي عبد الله عليه السلام إلى أن قال: فقلت له: جعلت فداك، ألا أقص عليك ديني؟ فقال: بلى، قلت أدين الله بشهادة أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، وأن الساعة آتية لا ريب فيها، وأن الله يبعث من في القبور وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم شهر رمضان، وحج البيت، والولاية لعلي أمير المؤمنين عليه السلام من بعد رسول الله صلى الله عليه وآله والولاية للحسن والحسين، والولاية لعلي بن الحسين عليه السلام والولاية لمحمد بن علي، ولك من بعده -

(١) الحجرات: ١٤.

صلوات الله عليكم أجمعين- وإنكم أئمتي، عليه أحيا، وعليه أموت، وأدين الله في السر والعلانية، فقال: يا عمرو، هذا والله دين الله ودين آبائي الذين أدين الله به في السر والعلانية؛ فاتق الله، وكُف لسانك، إلا من خير[1]. انتهى المراد.

(١) أصول الكافي، في الطبع الحديث، ج٢، ص٢٤، باب دعائم الإسلام، من كتاب الإيمان والكفر، ح١٤.

في ضلالة من خالفهم وهداية من تمسك بهم

ولعل بعض القراء يشكل على قول الإمام في الخبر المتقدم (كان مسلماً وكان ضالاً) ولو التفت إلى خبر الثقلين المشهور بين الفريقين، بل مضمونه مستفيض، لعرف أن الحق في التمسك بهم والضلال في خلافهم، أليس قال ﷺ: «إني تركت فيكم الثقلين إن أخذتم بهما لن تضلوا، أحدهما أكبر من الآخر: كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض، وعترتي أهل بيتي، ألا وإنهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض». أخرجه الثعلبي في تفسيره.

وذكر ﷺ الثقلين في خطبته بغدير خم فقال: «إن علياً والطيبين من ولده هم الثقل الأصغر، والقرآن الثقل الأكبر، وأحدهما مبني على صاحبه». والخطبة مروية في روضة الواعظين[1] والاحتجاج[2] وكتاب التهاب النيران[3]، وأخرجه الطبراني بتفاوت في اللفظ يسير وزاد في آخره أنه ﷺ قال: «سألت ربي ذلك لهما فأعطاني، فلا تتقدموهما؛ فتهلكوا ولا تقصروا

(١) لابن الفتال.

(٢) للطبرسي.

(٣) للشيخ يوسف بن أبي.

عنهما؛ فتهلكوا ولا تعلّموهم؛ فإنهم أعلم منكم».

ومعنى هذا متكرر من طرق مختلفة. وفي مقامات كذلك، منها: في مسجد الخيف، ومنها بخم، ومنها في مرضه في بيته صلى الله عليه وآله، ومنها في مرضه على منبره في المسجد. ولقد وقفت عليه في تسعة وثلاثين طريقاً من كتب القوم كما في الباب الرابع من الينابيع. ألا فبحق الحق تبصّر يا طالب الحق ببصيرتك وأنصفني بعد ذلك، هل فارق القرآن من فارقهم عليهم السلام أم لا؟ أليس صريح النصوص المذكورة وغيرها تحقق بملازمة الكتاب لتعاليمهم وبالعكس؟ أليست نصوص الكتاب المقدس تلزم بذلك وتشير لعصمتهم عليهم السلام؟ وأما النصوص النبوية فهي صريحة في عصمتهم عليهم السلام لوضوحها في الإلزام بمتابعتهم، وحصرها نفي الضلال، وثبوت الهدى في التمسك بهم، وتعليقها الهلاك على التقدم عليهم والتأخر عنهم. «من اتبعكم فالجنة مأواه ومن خالفكم فالنار مثواه».

في الدليل على وجوب العصمة بالعقل وآي الكتاب

ولو سلك طالب الحق طريق الإنصاف؛ لعرف أن وجوب عصمة خليفة الرسول، مما توجبه العقول، حيث أنه حافظ لأحكام الله الواقعية؛ لأنه -تعالى- لا يريد غيرها، والرخصة لنا بالعمل بالأحكام الظاهرية اضطراراً؛ لتغلب الظلمة على أيمتنا عليهم السلام، وغيبة ولي زماننا، فلا بد من لزوم الأمانة فيه على الشريعة وأموال المسلمين وأهليته لإدارتهم في دينهم ودنياهم ونظام مجتمعهم من إرشادهم لطاعة ربهم وزجرهم عن معاصيه، مما يعود لهم نفعه في معادهم ومعاشهم، ولا يحصل ذلك ممن يجوز منه الظلم والخطأ والاحتياج لإمام وهكذا فيتسلسل وهو ممنوع عقلاً، أو يسقط وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وتلزم طاعة العاصي لوجوب طاعة الإمام على المأموم إذ لابد في الإمام من العصمة المانعة عن ذلك كله ولابد من تعريف الله له، إذ لا يعلم بالبواطن إلا الله تعالى، فثبت وجوب النص منه تعالى عليه لطف، لوجوبه في الواجب تعالى كما قلنا سابقاً.

[الآية الأولى] ومما يدل على وجوب العصمة، قوله تعالى: **﴿وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِي قَالَ**

لاَ يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾[1] إذ من المعلوم ضرورة أن الخليل لم يسأل الإمامة لمن تلبس بالظلم فعلاً من ذريته إذ مقامه أجل من هذا السؤال. وإنما سألها لمن كان من ذريته في حال استقامته وصلاحه فأخرج الله منها الظالم، فيلزم أن يكون المراد بالظالم من جرى عليه اسم الظلم وقتا ما.

والظلم يعم مطلق عصيان الله تعالى كفراً وشركاً، أو غيرهما من الذنوب ﴿**إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ**﴾[2] ﴿**وَالكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ**﴾[3] ﴿**فَلَكُمْ رُؤُوسُ أَمْوَالِكُمْ لاَ تَظْلِمُونَ وَلاَ تُظْلَمُونَ**﴾[4] ﴿**لاَّ إِلَهَ إِلاَّ أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ**﴾[5] فالاستدلال بالآية تام بلا معارض، وقد استدل به أحد أيمتنا المعصومين عليهم السلام على ما نقله الشيخ العظيم الآخوند المتقدم الذكر، قال في الكفاية ص١١٧ التي عليها تعليق السيد محسن الحكيم (مُدّ ظله)، في إيراد وجوه من احتج على جري المشتق -أي الوصف- على الأعم ممن كان متلبساً بالمبدأ في الحال أو في الماضي ما نصه: الثالث استدلال الإمام تأسياً بالنبي صلى الله عليه وآله كما عن غير واحد من الأخبار بقوله تعالى: ﴿**لاَ يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ**﴾ على عدم لياقة من عبد صنما أو وثناً لمنصب الإمامة إلى آخره وملخصه مانعية الظلم مطلقاً، وقال بعده ما نصه: والجواب منع التوقف على ذلك، بل يتم الاستدلال ولو كان موضوعاً لخصوص المتلبس. ثم مهد مقدمة لتوضيحه ذكر فيها أقساما وقال ثانيها: أن يكون لأجل الإشارة إلى عِلّية المبدأ للحكم مع كفاية مجرد صحة جري المشتق عليه -ولو فيما مضى- أن يكون للوصف اقتضاء تام في عدم لياقة الموصوف للحكم له بالإمامة

---

(١) البقرة: ١٢٤.

(٢) لقمان: ١٣.

(٣) البقرة: ٢٥٤.

(٤) البقرة: ٢٧٩.

(٥) الأنبياء: ٨٧.

مثلاً -وإن انسلخ عنه الوصف فعلاً- فالظلم علة لعدم صلاحية صاحبه للمناصب الإلهية وإن كان الظلم فيما مضى وقال ﵀ بعده بكلمات ما معناها: أن ذلك المراد للإمام في الاستدلال حيث أن الآية الشريفة في بيان مقام جلالة الإمامة. ثم دفع عما اختاره اعتراض القائل باستلزام المجازية للحاجة للقرينة بما معناه أن جري الوصف على الموصوف حقيقة، كان بلحاظ حال التلبس، وقال أثناءه ما نصه: فيكون معنى الآية والله العالم، من كان ظالماً ولو آنا في زمان سابق لا ينال عهدي أبداً، والمستحصل من رأي السيد محسن (مُدّ ظله) في تعليقته على المقام هو الموافق لما حررناه آنفاً، من امتناع سؤال الخليل عليه السلام لمن تلبس بالظلم فعلاً من ذريته، فيتم الدليل بقطع النظر عن الوضع للأعم، أو خصوص الحال، وهو المستفاد من كلام الشيخ علي البحراني ﵀ في المنار، ولعمري لقد أجاد فيما أفاد، وإن شئت بعضاً من عبارة السيد محسن (مُدّ ظله) لتعرف صحة ما قلناه فإليكه حرفياً: فالأولى في إثبات الثاني دعوى ظهور صدر الآية فيه، ثم تلا الآية ثم قال: إذ من الممتنع سؤال إبراهيم عليه السلام الإمامة لذريته حال تلبسهم بالظلم، والظاهر من رأي الشيخ عبد الحسين الكاظمي في شرحه ما ذكر من المتن موافقته للماتن. وإني لأظن أنك ترغب في مزيد إيضاح المقام قطعاً لشبه الخصوم ومما يقطعها بيان سلطان أهل التحقيق علم العلماء الشيخ مرتضى الأنصاري ﵀، فإليكه من حاشية الشيخ العلامة الشيخ محمد علي القمي على الكفاية مشفوعاً بكلمته فإنه ﵀ لما تعرض للكلام على الآية شرحاً لقول الماتن ولفظه فإن الآية الشريفة في مقام بيان جلالة قدر الإمامة.

قال ﵀ أقول: هذه القرينة التي تعين المراد من الآية بحيث لا يكاد يثبت بعد تلك القرينة كونه هو الموضوع له اللفظ لاحتمال كونه معنى مجازياً؛ لوضوح المراد بتلك القرينة، وتوضيح المطلب على ما بينه الشيخ العلامة الأنصاري، على ما نقل عنه أن المعلوم تعين حمل الظالم في الآية على

ما يعم المتلبس والمنقضي -ولو مجازاً- لأن مساق الآية بيان تعظيم منصب الإمامة وذكر شرفها وعظم خطرها ورفعة محلها وجلالة قدرها وكرامتها عند الله -عز وجل- ولا يجامع ذلك كون المراد به خصوص المتلبس بالظلم في زمان تلك الرياسة بأن يكون شرط الإمامة الفعلية عدم الظلم بكفر ونحوه في حينها. ولو مع الظلم قبلها بساعة أو دقيقة لأن جميع المناصب الشرعية وما يشبهها كالإمامة والشهادة مشروطة بعدم الظلم في حينها فلا مزية للإمامة التي هي صنو النبوة على غيرها. انتهى.

وممن نص بدلالة الآية الحجة كاشف الغطاء المتقدم الذكر في كتاب أصل الشيعة وأصولها ص٩٥[1] في مبحث الإمامة فإليك محل الشاهد منها ما نصه: ويشترطون أن يكون معصوماً كالنبي صلى الله عليه وآله عن الخطأ والخطيئة، وإلا لزالت الثقة به، وكريمة قوله تعالى: ﴿**قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِي قَالَ لاَ يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ**﴾[2] صريحة في لزوم العصمة في الإمام لمن تدبرها جيداً.

ولعله يشير قدس سره بالتدبر إلى ما تقدم من دفع الإشكال، وتعين المراد في الآية على كل حال ببيان من ذكرناهم آنفاً من أجلاء علمائنا.

وممن استدل من علمائنا العظام بالآية أيضاً على العصمة الشيخ العلامة جمال الدين الحسن بن يوسف بن علي ابن المطهر الحلي رضي الله عنه، في كتابه الألفين، وفي كتابه الباب الحادي عشر، وكذلك شارحه الشيخ مقداد، وإليك نص عبارة الألفين في ذكره أدلة العصمة[3]: السادس قوله تعالى: ﴿**لاَ**

---

(١) تجده ط٤/ ١٤٠٢ الأعلمي، ص٥٩.

(٢) البقرة: ١٢٤.

(٣) ص٥٥ طبع النجف سنة ١٣٧٢.

﴿لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾[1] أشار بذلك إلى عهد الإمامة والفاسق ظالم.

وهذا يؤيد ما قلناه من أن المراد بالظلم في مثل المقام مطلق المعاصي، ولا يتوهم أنه رحمه الله تعالى يريد بالفسق الفعلي بل ما يعم الحال والماضي كما قدمناه من بيان الشيخ مرتضى رضي الله عنه وغيره من مؤاخاة منصب الإمامة لمنصب النبوة، فلا بد لها من المزية التامة على ما سواها من المناصب الإلهية، وهو مذهب قاطبة الإمامية، والعلامة المذكور من أعاظمهم وله القدح المعلى في المصنفات القيمة سيما في الإمامة ومن شك فليراجع كتاب الألفين المبني على ألفي دليل في الإمامة فقط وفيه في وجوب العصمة مئة، ومئة في إثباتها خاصة من البراهين والآيات، وله كتاب إحقاق الحق، ومنهاج الكرامة في الإمامة وغيره من الكتب فراجع إن شئت، وهو أيضاً يصرح فيها ويكرر استحالة الخطأ على الإمام -فضلاً عن العمد- ومن عرف العصمة عند الشيعة لا بد وأن لا يستشكل فيما قلناه من بيان مراده رحمه الله تعالى.

وممن استدل بالآية الشريفة حجتنا، وأول مراجعنا[2] التقي الورع أحد عظماء زعماء الشيعة، الشيخ ميرزا محمد حسين الغروي النائيني المتوفى ٢٦/ ٥ سنة ١٣٥٥هـ أعلى الله مقامه، فإن له كلاماً جليلاً في الكتاب المعروف بأجود التقريرات، مما كتبه السيد الجليل أبو القاسم الخوئي من تقريرات أستاذه الحجة المذكور في مباحث الأصول فدونك محل شاهدنا من كلامه على الآية الكريمة، قال في ص٧٠ ما نصه: إن هذه القضية من القضايا الحقيقية التي عرفت أن فعلية الحكم بفعلية موضوعه، فمن اتصف بالظلم في زمان يشمله الحكم قطعاً، وهو أن عهد الله لا يناله أبداً وأخذ رحمه الله في البيان إلى أن قال ما نصه: لا يخفى أنه ليس للخصم منع كون الظلم -وهو

(١) البقرة: ١٢٤.

(٢) بالنسبة للمؤلف رحمه الله.

عبادة الأوثان في مورد الآية- كذلك فإنا وإن لم نشترط العصمة بذلك المعنى المعتبر في الإمام عليه السلام حين إمامته قبل الاتصاف بالإمامة، إلا أنه لا بد من اعتبار كونه خالياً من الرذائل والأوصاف الذميمة؛ حتى لا يكون مطعناً بعد الإمامة فيقال له: أنت الذي كنت كذا وكذا، فمنصب الخلافة لعظم قدرها لابد وأن يكون بحيث لا يكون المتلبس إياها متلبساً للظلم في آن من الآنات. ومن الغريب أن الفخر الرازي تعرض في تفسير الآية المباركة وقال ما حاصله: أن الشيعة استدلوا بهذه الآية على عدم لياقة الثلاثة للخلافة فإنهم كانوا عابدين للوثن مدة مديدة، وأجاب عنه: بأن استدلالهم أنما يتم بناءً على كون المشتق حقيقة في الأعم من المنقضي والمتلبس، وهو ممنوع بل الحق أنه موضوع لخصوص المتلبس، ثم أورد على نفسه بأنهم فيما كانوا متلبسين بالظلم شملهم قوله تعالى: ﴿**لاَ يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ**﴾ فدلت الآية المباركة على عدم لياقتهم للخلافة أبداً. انتهى المراد من صفحة ٧١.

وربما يحتاج بعض العبارة المذكورة إلى إيضاح، منها قوله رحمه الله ليس للخصم إلى قوله: كذلك. وبيانه أن لفظة ذلك إشارة إلى ما سبق وهو قوله رحمه الله فمن اتصف بالظلم... إلى قوله أبداً فمورد الآية مثل ما ذكر من أن الاتصاف بالظلم مطلقاً، مانع على كل حال، فكأنه يقول: ليس لخصمنا أن يخرج الآية عن الشاهد على ما ادعيناه من أن فعلية الحكم حاصلة في القضية المذكورة؛ لحصول موضوعها، فالحكم وهو نفي العهد متحقق بتحقق الظلم للمتصدين للعهد -أي الإمامة- ثم تنزل مع خصمه بما فرعه على العبارة، وهو قوله: فإنا وإن لم نشترط العصمة... إلى قوله: والأوصاف الذميمة. الظاهر أنه رحمه الله يريد بكلمة العصمة هي المعروفة عندنا، التي نلتزم فيها بالمنع عن كل رذيلة، ومعصية صغيرة وكبيرة عمداً وخطأً، فإنه يقول: لو فرضنا أنا تنزلنا ولم نشترط ما ذكر قبل الاتصاف بالإمامة إلا أن قضية السلامة من النقائص والمعاصي الموجبة للطعن على المتصف بها لا بد منها، فلا محيص عن

خلوه عنها في كل آنات عمره، وعلل رضي الله عنه ذلك بتعيير الناس المتصف به بما ذكر.

وقد وقفت على كلام الرازي -في تفسيره الكبير- المسمى بمفاتيح الغيب في المسألة الرابعة، عند كلامه على الآية في سورة البقرة ص٧١١ فوجدت ما يشابه ما نقله عنه الشيخ بتفاوت في الألفاظ، ولعله رضي الله عنه نقله بالمحصل منه، كما قال أو من كتاب آخر للرازي.

وفي المسألة المذكورة وجوه ثابتة في تقرير مذهب الشيعة في الدلالة بالآية، ودفع الإشكال عنها بالجواب البات ولكنه مصر على مذهبه وله رأيه.

وحرر أيضاً في المقام مسألة خامسة ص٧١٢ وذكر فيها وجوه احتجاج الجمهور واختلافهم في قضية الإمامة، وإليك ما يتعلق بالشيعة حرفياً من كتاب المنار للشيخ الجليل الثقة الشيخ علي بنقله عنه حيث أن كتاب الرازي المذكور لا يحضرني الآن ولنشفع ذلك بكلمة من كلام الشيخ لما فيه من المزية الجليلة وكي تطمئن بما أفدناك من بعض ما أفاده رحمه الله قال في ص٥٤ ما نصه: فالآية المذكورة ولله الحمد صريحة في وجوب عصمة الإمام غاية الصراحة، لا تقبل التأويل، وقد اعترف الفخر الرازي وهو من أعاظم المخالفين بدلالتها على ذلك، في تفسيره وصرح بأنهم تركوا العمل بمضمونها على عمد وقال: أما الشيعة فإنهم يستدلون بها على صحة قولهم في وجوب العصمة ظاهراً وباطناً، وأما نحن فنقول مقتضى الآية ذلك، إلا أنا تركنا الباطن فتبقى العدالة معتبرة. انتهى، فانظر لكلامه وتصريحه بمخالفتهم مقتضى الآية من غير حجة..!

ولنفدك أيضاً إتماماً للحجة، بكلمة القوشجي في شرح التجريد لنصير الدين الطوسي رضي الله عنه في إيراد الأدلة على إمامة أمير المؤمنين عليه السلام ونص قول الماتن (ولسبق كفر غيره فلا يصلح للإمامة غيره؛ فتعين هو) وقال

الشارح ما نصه: وذلك لأن النبي صلى الله عليه وآله حين بعث لم يكن علي عليه السلام بالغاً سن التكليف، فلم يكن كافراً بخلاف من عداه من الأئمة فإنهم كانوا بالغين، فكانوا كافرين والكافر ظالم لقوله تعالى: ﴿**وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ**﴾[1] والظالم لا يصلح للإمامة لقوله تعالى: ﴿**لا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ**﴾ في جواب إبراهيم عليه السلام حين طلب الإمامة لذريته وأجيب الخ.

ولنذكر ما أجاب به من كتاب المنار إذ هو مطابق لما في الشرح المذكور ومشفوع برد الشيخ المذكور عليه قال رضي الله عنه ما نصه: وأما ما أجاب به القوشجي عن الآية الشريفة بأن غاية الأمر ثبوت التنافي بين الظلم والإمامة ولا محذور إذا لم يجتمعا، باطل بما سبق من البيان من أن المسؤول له الإمامة ليس الظالم في حال ظلمه، إذ لا يليق[2] ذلك بمقام خليل الرحمن، ولا يجوّز عاقل، يخاف الله، نسبة ذلك إليه بل لمن كان في حال الصلاح أعم من أن يكون ممن يجري منه صفة الظلم أو غيره وحيث كان الجواب وارداً بإخراج الظالم من استحقاق الإمامة التي هي عهد الله، تعين أن يكون المراد به من جاز صدور الظلم منه، أو صدر منه الظلم آناً ما، لا الظالم وقت ظلمه، إذ ليس مسؤولاً له الإمامة. فلو كان هو المراد من الجواب لم ينطبق على السؤال، ولكان السؤال باقياً بغير جواب، وهو خلاف المعلوم المتفق عليه من كون هذا الجواب لذلك السؤال.

وأخذ رضي الله عنه في إبطال جواب القوشجي إلى أن قال الشيخ أعلى الله مقامه في ص٥٥: ومما يضحك الحزين: غفلته عن معنى قوله أن غاية الأمر ثبوت التنافي بين الظلم والإمامة، فإنه يتضمن أن الإمام كلما ظلم زالت إمامته، وعلى هذا لو نصب إمام فظلم بعد نصبه بلا فصل وجب عزله لتنافي

(١) البقرة: ٢٥٤.

(٢) هذا التصحيح من المؤلف.

الإمامة والظلم باعترافه، فينصب غيره فيظلم كذلك، فيكون حاله حال الأول وهكذا... فجاز أن ينصب في يوم واحد عشرة أئمة أو أكثر ويعزلوا لأن الفرض أن الإمام ليس بمعصوم وصدور الظلم منه جائز. انتهى المراد.

ولا بأس أن نفيدك أيضاً بكلمة من كلام العلامة الزمخشري في كشافه على الآية تأييداً لما ذكر، قال العلامة ما نصه: أي من كان ظالماً من ذريتك لا يناله استخلافي وعهدي إليه بالإمامة إلى آخره: وحاصله أن الإمامة مختصة بالبريء من الظلم مطلقاً في كل الأوقات والأحوال، وإن الفاسق لا يصلح لها مطلقاً كذلك لعدم قبول شهادته وخبره، إذ من لم تقبل شهادته وخبره ولا يصلح أن يؤتم به في الصلاة كيف يصلح لهذا المنصب الجليل. وذكر عن أبي حنيفة أنه يتبرأ من أئمة الجور كالدوانيقي وأمثاله، ويفتي سراً بنصرة محمد وإبراهيم ونصرة زيد بن علي عليه السلام وذكر عن ابن عيينه ما يصرح بعدم صلاحية الظالم للإمامة مطلقاً، فراجعه وتدبره؛ كي تسأل القائلين به كيف يصححون إمامة الأمويين والعباسيين مع ظلمهم الشنيع المشهور الذي لا شك فيه عند كل الناس؟ وكيف يخفى مثل حرب الوصي وسبه، واستخلاف يزيد، وادعاء زياد، وسم الحسن، وقتل الحسين، وواقعة الحرة، وما جرى فيها على أهل مدينة الرسول من القتل والفجور، وغير ذلك من الأفاعيل الشنيعة من الأمويين والعباسيين؟ فما يصنع هؤلاء العلماء وغيرهم ممن لم يقل بعصمة الإمام، أيكونون في زمان هؤلاء بلا إمام مع روايتهم للنبوي المشهور وهو: «من مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة الجاهلية»؟.

أما نحن، والحمد لله، فقد سلمنا من هذا المحذور بهداية الله وائتمامنا بأئمتنا المعصومين، ودليلنا على عصمتهم قد اتضح نوره بالآية المذكورة وغيرها.

ومما يحسن جداً نقل كلمة من كلام أمين الإسلام على الآية[1] قال

---

(١) مجمع البيان الجزء١، ص٨٧.

أعلى الله مقامه: واستدل أصحابنا بهذه الآية على أن الإمام لا يكون إلا معصوماً عن القبايح؛ لأن الله سبحانه نفى أن ينال عهده -الذي هو الإمامة- ظالم ومن ليس بمعصوم فقد يكون ظالماً إما لنفسه، أو لغيره.

فإن قيل: إنما نفى أن يناله ظالم في حالة ظلمه، فإذا تاب لا يسمى ظالماً، فيصح أن يناله، فالجواب: إن الظالم وإن تاب فلا يخرج عن أن تكون الآية قد تناولته في حال كونه ظالماً فإذا نفى أن يناله فقد حكم عليه بأنه لا يناله، والآية مطلقة غير مقيدة بوقت دون وقت، فيجب أن تكون محمولة على الأوقات كلها، فلا ينالها الظالم وإن تاب فيما بعد.

فقد اتضح الاستدلال بالآية الكريمة على العصمة فأسفر الحق عن صبحه، وتجلى نوره للناظر ببصيرته ﴿**فَإِنَّهَا لاَ تَعْمَى الأَبْصَارُ وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ**﴾[1].

وحيث إن استدلال علمائنا رضي الله عنه مأخوذ من استدلال أئمتهم عليهم السلام كما قدمنا لك من قول الآخوند رحمه الله بأنه في غير واحد من الأخبار لكنه رضي الله عنه لم يصرح باسم الإمام المنقول عنه الاستدلال، والشيخ محمد علي القمي المذكور آنفاً ذكر ذلك كذلك وروى فيه روايتين في الكافي وفي العيون عن الصادق والرضا عليهما السلام فلا بأس أن نذكر الشاهد على ذلك من ثلاث روايات في أصول الكافي باب الفرق بين الأنبياء والرسل ص٨٤ طبع إيران سنة ١٣١١:

الأولى: بحذف السند عن درست بن أبي منصور قال: قال أبو عبدالله عليه السلام: الأنبياء والمرسلون على أربع طبقات، إلى أن قال عليه السلام: وقد كان إبراهيم عليه السلام نبياً وليس بإمام حتى قال الله تعالى ذكره: ﴿**إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ**

(١) الحج: ٤٦.

وَمِن ذُرِّيَّتِي قَالَ لاَ يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾[1] من عبد صنما ووثنا لا يكون إماما.

الثانية: عن زيد الشحام رضي الله عنه قال سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: إن الله تبارك وتعالى اتخذ إبراهيم عليه السلام عبداً، إلى أن قال عليه السلام: فلما جمع له الأشياء قال: ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾[2] قال: فمن عظمها في عين إبراهيم عليه السلام قال: ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِي قَالَ لاَ يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾، قال: لا يكون السفيه إماماً.

الثالثة: عن جابر عن أبي جعفر عليه السلام قال: سمعته يقول وذكر مضمون الثانية وفي آخرها ذكر قول الله تعالى ما نصه: قال له: يا إبراهيم ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾ فمن عظمها في عين إبراهيم عليه السلام قال ومن ذريتي قال: ﴿لاَ يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾.

وعلى ذلك شروح ثلاثة بتقريرٍ حسن: للشيخ محمد صالح المازندراني، والشيخ رفيع، ومن الوافي الشيخ المحقق الكاشاني رضي الله عنهم. وفي هذا القدر كفاية من الكلام على الآية ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ﴾[3].

وأدلة العصمة من البراهين والآيات كثيرة مبسوطة في كتب علمائنا وليس المقصود هنا إلا ذكر بعض من الآيات تأييداً لما قدمناه من دليل العقل لما عرفت من أنا ما تعرضنا للعصمة وأدلتها إلا لإثبات ضلالة من خالف أيمتنا وقد اتضحت شمس حقيقة الاستدلال بالآية المذكورة...

[الآية الثانية] ومن الآيات الدالة على وجوب العصمة ﴿أَطِيعُواْ اللهَ

---

(١) البقرة: ١٢٤.

(٢) البقرة: ١٢٤.

(٣) ق: ٣٧.

﴿وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ﴾[1] وقد استدل بها جماعة من علمائنا رضي الله عنهم منهم العلامة الحلي رضي الله عنه المذكور، قال رضي الله عنه في صفحة ٦ من كتابه الألفين ما نصه: الثامن عشر قوله تعالى: ﴿أَطِيعُواْ اللهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ﴾ وكل من أمر الله بطاعته فهو معصوم لاستحالة إيجاب طاعة غير المعصوم مطلقاً لأنه قبيح عقلاً.

ومنهم أمين الإسلام الشيخ الطبرسي رضي الله عنه، فإنه أطلق القول بنسبة ذلك لأصحابنا بعد كلامه على تفسير الآية، وإيراد أقوال غيرنا في مجمع البيان قال رضي الله عنه في صفحة ٢٥٦ ما نصه: وأما أصحابنا فإنهم رووا عن الباقر عليه السلام، والصادق عليه السلام، أن أولي الأمر هم الأيمة من آل محمد، أوجب الله طاعتهم عليهم السلام بالإطلاق كما أوجب طاعته وطاعة رسوله، ولا يجوز أن يوجب الله طاعة أحد على الإطلاق إلا من ثبتت عصمته وعلم أن باطنه كظاهره، وأمن من الغلط والأمر بالقبيح وليس ذلك بحاصل في الأمراء ولا العلماء سواهم، جلّ الله أن يأمر بطاعة من يعصيه أو بالانقياد للمختلفين في القول والفعل، لأنه محال أن يطاع المختلفون كما أنه محال أن يجتمع ما اختلفوا فيه.

ومما يدل على ذلك أيضاً، أن الله تعالى لم يقرن طاعة أولي الأمر بطاعة رسوله كما قرن طاعة رسوله بطاعته، إلا وأولو الأمر فوق الخلق جميعاً كما أن الرسول صلى الله عليه وآله فوق أولي الأمر وفوق سائر الخلق. وهذه صفة أئمة الهدى من آل محمد صلى الله عليه وآله الذين ثبتت إمامتهم وعصمتهم، واتفقت الأمة على علو رتبتهم وعدالتهم سلام الله عليهم.

وممن استدل بها من علمائنا نصير الدين الطوسي أعلى الله مقامه في

---

(١) النساء: ٥٩.

التجريد قال رحمه الله في أدلة الإمامة ما نصه: ولقوله تعالى: ﴿وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ﴾. وإليك شرحه من القوشجي تأكيداً للحجة.

قال الشيخ نصير الدين أعلى الله مقامه ما نصه: «أمر بطاعة المعصومين؛ لأن أولي الأمر لا يكونون إلا معصومين؛ لأن تفويض أمور المسلمين إلى غير المعصومين قبيح عقلاً، وغير علي عليه السلام غير معصوم بالاتفاق فالأمر بإطاعته لا غير»، ثم عقب عليه القوشجي بقوله: وأجيب بمنع المقدمات. اهـ[1].

وإني لأعجب وكل متأمل يعجب من تصاغر هذا العالم الكبير ونزوله عن مقامه الرفيع في العلم، فكأني بنور علمه يهديه سواء السبيل ولسان عقله الفطري يقول بدل قوله: وأجيب إلى آخره وكمال الحجة منع المقدمات نقض نتيجتها بإضافة المصدر للفاعل عكس قوله بأن المقدمات ممنوعة فتكون مانعة من الإشكال على نتيجتها وهي ما قررها أولاً من وجوب عصمة أولي الأمر المحثوث على طاعتهم بالآية الكريمة، ولكنه أصاب عينَ بصيرته بعضٌ من رمد جهل أهل نحلته النافين للقبح والحسن العقليين، فاحتجوا به على ما زعموه من التبري من أفعالهم خير وشر، فلزمهم بذلك تكليف ربهم إياهم غير المقدور، فليستريحوا من التكليف بولاء المعصومين، ويحتجوا على ربهم بعدم الطاقة. وقد تعرضنا لإبطال ذلك في كتابنا النظرات بما لم يبق معه شبهة من أدلة علمائنا رحمهم الله عقلاً ونقلاً ﴿وَأَن لَّيْسَ لِلإِنسَانِ إِلاَّ مَا سَعَى * وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَى﴾[2].

فالقوشجي بعقله السليم يقرُّ حجة شيخنا الطوسي، وبتعصبه يمنعها

---

(١) شرح تجريد العقائد لنصير الملة والدين محمد بن محمد الطوسي، تأليف علاء الدين علي بن محمد القوشجي ت ٨٧٩هـ، منشورات رضي - بيدار - عزيزي، ص٣٧١.

(٢) النجم: ٣٩ - ٤٠.

بنفيه القبح العقلي. ولنوكل رد جوابه إلى ما ذكره الشيخ علي المتقدم الذكر في كتابه المنار.

وما ذكره أبو جعفر محمد بن جرير بن رستم الطبري رضي الله عنه المتوفى في أوائل الأربعمائة في المسترشد قال الشيخ رضي الله عنه في المنار ص٥٥ عند كلامه على الآية ما نصه: وجه الدلالة أنه تعالى أمر بإطاعته على الإطلاق، وأخذ في بيان طاعة الله ورسوله صلى الله عليه وآله إلى أن قال: ثم أطلق الأمر بطاعة أولي الأمر -كما أطلقه في طاعة نفسه وطاعة رسوله- ولم يقيده بقيد ولم يشترط فيه شرطاً، فعلمنا من ذلك أيضاً أن أولي الأمر معصومون من الخطأ، مطهرون من العصيان، ملازمون للصواب، لا يأمرون إلا بمعروف ولا ينهون إلا عن منكر؛ إذ لا يجوز أن يأمر الله تعالى على الإطلاق بطاعة من يجوز منه الخطأ في الأحكام، ومقارفة الذنوب العظام، بل يجب في الحكمة أن يكون الأمر بالطاعة له مشروطاً بموافقة طاعة الله، وموافقة الحق لا مطلقاً، كما رأينا الباري تعالى اشترط في مواضع كثيرة، وقيد الوعد والمدح بلزوم التقوى، والاستمرار على الوفاء، حيث كان الممدوح والموعود ممن يجوز عليه الخطأ والمخالفة، مثل قوله تعالى: **﴿يَا نِسَاء النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ النِّسَاء إِنِ اتَّقَيْتُنَّ﴾**[1] وقوله تعالى: **﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَى نَفْسِهِ﴾**[2] **﴿وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهُ اللهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾**[3] إلى آخره... فراجع ففيه عشرة أدلة على العصمة من صفحة ٤٧ إلى ص٥٩، وإليك ما ذكره أبو جعفر المذكور رضي الله عنه في المسترشد في باب إثبات الإمامة، وإنها مفترضة فإنه كلام طويل جليل ذكر فيه الآية المذكورة وآية الولاية، وحديث الغدير، وغير ذلك من الحجج، وإليك محل

---

(١) الأحزاب: ٣٢.

(٢) الفتح: ١٠.

(٣) الفتح: ١٠.

شاهدنا في ص١٢٦، قال ما نصه: ونرجع الآن إلى قول الله عز وجل الذي هو الأصل وعليه بناء الأمر: ﴿**أَطِيعُواْ اللهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ**﴾[1] وهذه مخاطبة من الله جل ذكره، خاطب بها المؤمنين ولم يخاطب بها أولي الأمر، بل أمر المؤمنين أنْ يطيعوه ويطيعوا أولي الأمر، والمخاطبة بعث على ندبهم إلى طاعته وطاعة أولي الأمر وذلك أنه لا يجوز أن يكون المطيع، هو المطاع ولا المأمور هو الآمر، والدليل أنه لم يقرن طاعة أولي الأمر بطاعة الرسول، كما قرن عز وجل طاعة رسوله بطاعته تعالى. إلا وأولو الأمر فوق الخلق، كما أن رسول الله ﷺ فوق أولي الأمر، ونحن نطالبهم في هذا الموضع أن يدلونا على هؤلاء القوم الذين دل عليهم، فإن الله تعالى لم يكن يوجب، ولا يوجد، ونضطرهم إلى الإقرار أن الله تعالى إذا دل على قوم بأعيانهم فحرام مخالفتهم إلى غيرهم.

واحتج علينا القوم أن عنى بأولي الأمر أمراء السرايا فاحتججنا عليهم نحن بقاطعة أن الله تعالى إن كان أمر بطاعة أمراء السرايا، فقد أمر بطاعة المنهزمين، ثم ذكر من انهزم في خيبر، وحديث الراية، وملخص فتح خيبر، وذكر في ص١٢٩ فعل خالد بن الوليد ببني جذيمة وتبرئ النبي ﷺ منه، وهو من أمراء السرايا، وذكر انهزام ابن العاص ومن معه من الأمراء في غزوة ذات السلاسل، إلى أن قال فيها: ووجه آخر أغلظ مما ذكرنا أن أمراء السرايا قد ماتوا كلهم، والأمة قائمة فإذا كانت الآية قد مات من نزلت فيه بطلت، فليس لأحد بعدهم طاعة، وفي ذلك نقض الولايات. وأخذ في البيان ومضمون بعضه أن الآية لم تنسخ قطعاً لبقاء طاعة الله ورسوله بتاً، فأولو الأمر كذلك. ورد على من زعم بأنهم العلماء باختلافهم في المسألة الواحدة فلا يمكن طاعة بعض إلا بمعصية الآخر فلا يستقيم الأمر بالطاعة

---

(١) النساء: ٥٩.

على الإطلاق. ثم أورد بعد ذلك على القوم حجة تضطرهم إلى القول بعصمة أولي الأمر فقال رحمه الله ما نصه: واحتج عليه بعض المحتجين فقالوا: أخبرونا عن القوم الذين ذكرتم أكانوا معصومين أو لم يكونوا معصومين فإن الإمام لا يجوز أن يكون غير معصوم إذ يكون محتاجاً إلى غيره، وإلى حاكم يقيم أوده، وإذا كان غير معصوم فهو غير مأمون على نفسه في انتهاك المحارم، ولا يجوز أن يكون محتاجاً إلى معلم يعلمه وإلى أحد فوق يديه إن انتهك حراماً أقام عليه الحد وإن ارتكب أمراً منكراً أزاله، وإذا كان ذلك كذلك لم يؤمن على غيره، ومستحيل أن يكون الإمام محكوماً عليه، وهو المؤدب للناس، ومن المحال أن يحتاج إلى من يرشده وهو المقوم المرشد فهذه واضحة. انتهى مرادنا من ص١٢٩.

فاتضح بحمد الله تعالى تعيّن أولي الأمر في المعصومين بتعيين الله وانحصارهم في أيمتنا الاثني عشر، الراشدين بنص رسول الله صلى الله عليه وآله، فهم أولو الأمر، وبذلك احتج السيد شرف الدين على مناظره في مراجعاته ص٣٣[1] طبع بغداد سنة ١٣٦٥هـ: وإن شئت مزيد الاستدلال بها فإليك ما قرره العلامة الحلي رحمه الله بطريق آخر أقوى مما نقلناه عنه، فإني لم أعثر عليه إلا بعد ذلك قال في ص١٢٦ ما نصه: التسعون: الإمام أمر الله تعالى بطاعته في جميع أوامره ونواهيه، ولا شيء من الإمام غير المعصوم أمر الله تعالى بطاعته في جميع أوامره ونواهيه، فلا شيء من الإمام بغير معصوم. أما الصغرى فلقوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَطِيعُواْ اللّهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ**﴾ وهو عام في جميع الأوامر والنواهي اتفاقاً ولتساوي المعطوف والمعطوف عليه في العامل، فالطاعة هنا المراد بها في جميع الأوامر

---

(١) فراجعها ففيها سرور الموالين فقد ذكر رحمه الله أربعة وخمسين آية من الثقل الأكبر كتاب الله في الثقل الأصغر عترة رسول الله المعصومين صلى الله عليهم أجمعين.

والنواهي، فيكون أولو الأمر كذلك. وأما الكبرى فلأن امتثال أمر الظالم في جميع أقواله وأوامره ونواهيه ظلم ما وهو منفيٌّ بهذه الآية لاقتضائها السلب الكلي وهو نقيض الموجبة الجزئية. ا. هـ.

ولعله يحتاج لإيضاح إذ لا يفهم إلا بتأمل؛ لأن استدلاله ؒ تعالى على صحة الكلية الكبرى ليس بالجلي؛ فإن قوله: فلأن امتثال أمر الظالم إلى قوله ظلم ما وهو منفيٌّ إلى آخره. فليس نفي الظلم بالآية كما قال صريحاً بل هو باللازم والفحوى. وبيانه أن المكلف قد أُمر بطاعة الله -عز وجل- ورسوله وأولي الأمر، فالمطلوب عدم المخالفة بتاً، فلو فرض أن ولي الأمر يجوز منه الظلم لم يكن المكلف مطلوباً بطاعته لأن ذلك خلاف طاعة الله تعالى فهو ظلم ما وهو لازم من الآية لأنه تعالى أمر بطاعته وطاعة رسوله مطلقاً، فإرادته تعالى من المكلف أن لا يعصيه ويعصي رسوله مطلقاً، فإذا أدخل ولي الأمر في ذلك فلا بد وأن يكون كذلك، وإلا لم يكن مطيعاً لله ولرسوله على الإطلاق، فطاعة ولي الأمر حين كونه ظالماً معصية لله ورسوله، فلا يتحقق سلب الظلم كله. وبعبارة أجلى إن الله يطلب من المكلف طاعته وطاعة رسوله مطلقاً فأمره بذلك بدون قيد، وعلمنا بذلك أن أولي الأمر المعطوف عليهم في الأمر لا بد أن تكون طاعته مطلقة بدون قيد البتة فيلزم من ذلك عدم أمره بالقبيح ونهيه عن الحسن، ولا بد أن يكون هو متصفاً بذلك كما أن ذلك جارٍ لله ورسوله.

الآية الثالثة: قوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللهَ وَكُونُواْ مَعَ الصَّادِقِينَ**﴾[1] وبها احتج نصير الدين الطوسي ؓ في التجريد، قال في أدلة الإمامة ما نصه: ولقوله تعالى: ﴿**وَكُونُواْ مَعَ الصَّادِقِينَ**﴾ وعليها قال القوشجي ما نصه: مضمون الآية الكريمة هو الأمر بمتابعة المعصومين؛ لأن

---

(١) التوبة: ١١٩.

الصادقين هم المعصومون، وغير علي عليه السلام من الصحابة ليس بمعصوم بالاتفاق، فالمأمور بمتابعته إنما هو علي. انتهى المراد من كلامه.

وغير خفي على كل أحد أن المعلوم ضرورة من مذهب الإمامية عدم الفرق بين علي أمير المؤمنين وولده الأحد عشر المعصومين عليهم السلام في أدلة الإمامة والعصمة، فما يجري لأولهم يجري لآخرهم، ومن أنكر واحداً منهم فقد أنكر الكل، وعلي عليه السلام له شأن إذ هو أبوهم وسيدهم. فالآية وأمثالها عامة لهم جميعاً، فهم الصادقون فيها. وبذلك احتج السيد شرف الدين بها على مناظره في المراجعة المذكورة، ونقل ذلك عن أبي نعيم في حقهم عموماً، وأورد ذلك أمين الإسلام كما قدمناه، في ص٨ وموفق ابن أحمد، وابن حجر، وأورد ذلك فخر الدين الطريحي أعلى الله مقامه في مادة (صدق) في مجمع البحرين.

الآية الرابعة: قوله تعالى: ﴿**وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ الله جَمِيعًا وَلاَ تَفَرَّقُواْ**﴾[1] وبهذا استدل أيضاً العلامة الحلي رحمه الله في المائة الثانية من أدلة العصمة ص٩٦ قال ما نصه[2]: السابع قوله تعالى: ﴿**وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ اللّـهِ جَمِيعًا وَلاَ تَفَرَّقُواْ**﴾ والاستدلال به من وجهين:

الأول: الاعتصام بحبل الله فعل أوامر الله تعالى كلها والامتناع عن مناهيه، ولا يعلم ذلك إلا من المعصوم.

الثاني: قوله: ﴿**جَمِيعًا وَلاَ تَفَرَّقُواْ**﴾حث على الاجتماع على الحق وعدم الافتراق وإرادة الاجتماع منهم من غير معصوم في كل عصر يناقض الغرض؛ لتجاذب الأهواء، وغلبة القوى الشهوية والغضبية والامتناع عن

---

(١) آل عمران: ١٠٣.

(٢) للمراجعة في الطبع الحديث: الألفين، منشورات الأعلمي، ص١٠٤.

طاعة من يصدر عنه الذنوب، وسقوط محله من القلوب مع أنه لا بد للاجتماع على الأمور من رئيس. ا هـ.

فهم المراد بحبل الله في الآية وبها احتج السيد المذكور أيضاً على مناظره ونقل ذلك عن الثعلبي وابن حجر ونقل ذلك عنه الشيخ سليمان في الينابيع، وأورد ذلك الشيخ الطبرسي في المجمع بعد أن ذكر الأقوال وهو -ثالثها- وقال: والأولى حمله على الجميع. والذي يؤيده ما رواه أبو سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال: أيها الناس إني قد تركت فيكم الثقلين إن أخذتم بهما لن تضلوا بعدي، أحدهما أكبر من الآخر: كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض، وعترتي أهل بيتي. الخبر وقد أورده الرازي أيضاً ومضمونه قدمناه فيما ذكر آنفاً.

وبهذا تعرف أن استدلال علمائنا رضي الله عنهم بمثل الآيات المذكورة على العصمة مكتشف من الأخبار المعصومية من النبي والأئمة عليهم السلام من طرق العامة والخاصة فقد وقفت على خمس روايات في الينابيع في قوله تعالى: **﴿وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ﴾**[1] وحيث نزلت **﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُواْ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾**[2] وحيث نزلت **﴿وَلَمْ يَتَّخِذُواْ مِن دُونِ اللهِ وَلاَ رَسُولِهِ وَلاَ الْمُؤْمِنِينَ وَلِيجَةً﴾**[3] وأمر الله عز وجل نبيه أن يعلمهم ولاة أمرهم، ثم ذكر نصب النبي صلى الله عليه وآله إياه يوم الغدير وتفسير النبي صلى الله عليه وآله الآيات للأصحاب وقال في أثناء الخبر ما نصه: قالوا: يا رسول الله، هذه الآيات في علي عليه السلام خاصة؟ قال: بل فيه وفي أوصيائي إلى يوم القيامة. قالوا: بيّنهم لنا. قال: علي أخي ووارثي ووصي وولي كل مؤمن من

---

(١) النساء: ٥٩.

(٢) المائدة: ٥٥.

(٣) التوبة: ١٦.

بعدي، ثم ابني الحسن، ثم الحسين، ثم التسعة من ولد الحسين عليهم السلام، القرآن معهم، وهم مع القرآن، لا يفارقونه، ولا يفارقهم حتى يردوا علي الحوض. قال بعضهم: قد سمعنا ذلك وشهدنا. وهذا مؤيد لما قلناه.

ووقفت أيضاً في الباب المذكور في تفسير قوله تعالى: ﴿اتَّقُواْ اللهَ وَكُونُواْ مَعَ الصَّادِقِينَ﴾[1] منها الخبر المذكور قال فيه ما نصه: أنشدكم الله أتعلمون أن الله أنزل ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللهَ وَكُونُواْ مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ فقال سلمان رضي الله عنه: يا رسول الله، هذا عامة أم خاصة؟ قال: «أما المأمورون فعامة المؤمنين وأما الصادقون فخاصة أخي علي وأوصيائي من بعده إلى يوم القيامة قالوا نعم»[2].

وفيه أيضاً روايتان في قوله تعالى: ﴿وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ اللّـهِ جَمِيعًا وَلاَ تَفَرَّقُواْ﴾[3].

عن الثعالبي عن الصادق قال عليه السلام فيها: نحن حبل الله. ومن المناقب عن النبي صلى الله عليه وآله.

ووجدت في أصول الكافي في قوله تعالى: ﴿وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ﴾ أربعة أخبار، وخبرين في قوله تعالى: ﴿وَكُونُواْ مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ إن المعنيين بذلك هم الأيمة المعصومون عليهم السلام.

وأنت قد عرفت مما حرر في أدلة العصمة مما استدل به العلماء بنوعها:

فمنها عقلي صرف -أي قياس برهاني وقضاياه مسلمة بديهية-. وهذا كثير في كتاب الألفين وغيره من كتب الأصحاب. وإن شئت تمثيله مزيداً للإيضاح

---

(١) التوبة: ١١٩.

(٢) ينابيع المودة، ج١، باب ٣٨.

(٣) آل عمران: ١٠٣.

فنقول: غير المعصوم جائز منه الظلم. ولا شيء من الجائز منه الظلم بصالح للإمامة؛ فينتج لا شيء من غير المعصوم بصالح للإمامة. فالقضية الصغرى أعني قولي: غير المعصوم جائز منه الظلم لا ينكرها عاقل. والكبرى وهي قولي: لا شيء -إلى آخره- لا ينكرها المنصف المنقاد لعقله السليم، فالنتيجة المذكورة وهي قولنا لا شيء من غير المعصوم بصالح للإمامة صحيحة بلا ريبة.

ومن الأقيسة البرهانية ما قضاياه مسلمة بقول الله ورسوله ﷺ أو وليّه، وينتج نتيجة ملزومة للعصمة، كما تعين من يجب اتباعه فلنمثل لك ونقول: الصادقون كوننا معهم واجب بنص كتاب الله، والأيمة المعصومون هم الصادقون بنص رسول الله ﷺ. فينتج -بعد حذف المكرر-: كوننا مع الأيمة المعصومين واجب بنص الله ورسوله. فالقضيتان مسلمتان، فالقضية الصغرى صرّح الكتاب بها كما قدمناه في الآية الثالثة. والكبرى صرّح بها النبوي المتقدم في الصفحة السابقة، فحتم اتباعهم نتيجة قياس برهاني سلمت قضيتاه بنص الرب الحكيم والنبي الكريم. وهذا القياس تلزمه نتيجة العصمة، كما قلنا لما تقدم من انحصار الإمامة في المعصوم عقلاً ونقلاً كتاباً وسنةً، فراجع فلا حاجة للتكرار.

ومن الأدلة على العصمة ما يكون من طريق العقل بغير قياس برهاني منطقي بل هو جارٍ على طريقة المحاورة العرفية بذكر مقدمات ولوازم وملزومات وعلل مسلمات عند الخصم فيضطر منها إلى تسليم الدعوة كما أشرنا لذلك سابقاً وربما يحتاج إلى إعضاده بالنقل أو يكون مبنياً عليه كما تقدم من كلام العلماء المذكورين.

ومن ذلك استدلال العلامة بقوله تعالى: ﴿**وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعًا**﴾ فإنه مبني على الآية المذكورة حيث إنه علّق الاعتصام على امتثال جميع أوامر الله ونواهيه. وحصول ذلك بالمعصوم. ولا يشكل عليه بحصول ذلك من العلماء

المجتهدين؛ لما تجده من الخلاف بينهم في أكثر المسائل والله تعالى يريد الحكم الواقعي، ولا يحصل ذلك إلاّ ممن عصم عن العمد والخطأ، وليس إلاَّ من حباه الله بذلك وعينه بالنص في كتابه على لسان رسوله وعلمه جميع أوامره ونواهيه الواقعية. فتبصّر فيه وتدبّر في الوجه الثاني من الاستدلال؛ كي تعرف صحة قوله ﷺ: «وإرادة الاجتماع منهم من غير معصوم في كل عصر يناقض الغرض -إلى آخره- » فإن غير المعصوم لا يصلح لهذه الرياسة الجامعية، مع جواز الظلم منه مع تخالف الآراء وشرارة النفوس، وتشبثها بأدنى شبهة لم ترَ وجهاً لها بل قد تراه وتتعامى تنفيذاً لأغراضها، كما وقع ذلك كثير على المعصومين، فغيرهم أولى وأحق فلا يكاد تندفع عنهم شبهة المتشبثين، لكن المتشبث في حق المعصوم تضمحل حجته بقيام حجة الله عليه، فالحجة المعصوم لا يعترض عليه، إذ أفعاله وأقواله بتعليم الله، وهو نصب أمره ونهيه، والله تعالى القادر الحكيم: ﴿لاَ يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾[1] فالعدالة في المقام لا تكفي قطعاً لتجويز المعاصي من صاحبها عقلاً وفي كل وقت، وهذا معنى كلام الشيخ علي في المنار كما ذكرناه سابقاً.

ويحسن أن نذكر من كلامه في العصمة بعضاً من الدليل الخامس؛ لما فيه من الشاهد على ما ذكرنا من قضية عدم كفاية العدالة كي تطمئن بذلك قال رضي الله عنه في ص٥٢ ما نصه: «الخامس أن الإمام أمين المسلمين على دينهم وخازنهم على أموالهم، فلو لم يكن معصوماً لم يؤمن عليه من تغير الأحكام، والمحاباة في القضاء بين المسلمين، والإيثار بالمال لرهبة أو رغبة -وبعد كلمات قال ﷺ-: والعدالة لا تكفي لجواز ارتفاعها عند عروض الأسباب الداعية إلى ما ذكرنا، إذ ليست من الصفات اللازمة فلا يحصل بها إلاّ من اليقيني -إلى آخره- ».

وملخصه: إن مثل المذكور لا يحصل به الغرض من الإلفة وغيرها من

---

(١) الأنبياء: ٢٣.

شؤون الدين والدنيا.

ولعل بعض من يسلم تجويز زوال العدالة عن صاحبها يجهل أو يتجاهل من معنى العصمة؛ فيطلب الفرق بينها وبين العدالة في الزوال وعدمه فلنجبه بآية التطهير -آية ذهاب الرجس- فليتدبرها وليدرس تفسيرها عند الشيعة والسنة، ولينصفنا بعقله السليم. الآية الكريمة المحكمة: **﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ البَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾**[1] فكفى بها دليلاً قاطعاً ونوراً ساطعاً على عصمتهم وقد اعترف بتخصيصها بهم أكثر علماء السنة، وإن ادعى بعضهم اشتراك غيرهم معهم، أما تخصيصها بالنساء فهو باطل بالنصوص الكثيرة المسلمة عند الفريقين، وإن شئت الإرشاد إلى بعض كتب القوم فعليك بالكلمة الغراء[2] للسيد الجليل شرف الدين المتقدم الذكر ﵀، وفيها أيضاً كفاية وغنى. وليس مقصودنا إلاّ بيان معنى العصمة فقط من الآية فنقول: إرادة الله إما تكوينية أو تشريعية -أي أمر ونهي- خلاف التكوين، فإنه وقوع وإيجاد. والتشريعية في المقام ليس مرادة قطعاً؛ لأنها مشتركة بين كل مكلف، فلا مزية لهم، فلم يبق إلاّ التكوين وهو مرادنا. ولفظة (إنما) تفيد الحصر قطعاً بلا ريبة عند كل عربي فتقصر ما بعدها من الحكم على الذي هو له، فإرادة الله التكوينية المتعلقة بذهاب الرجس والتطهير خاصة بأهل البيت عليهم السلام جزماً. ويدل على خروج من ذكر قبل الآية تذكير الضمير بعد أن كان مصرحاً بالتأنيث قبل الآية. وبه يندفع شبهة التشبث بالسياق في تخصيص النساء بالآية، فإذا كانت إرادة الله المتعلقة بهم عليهم السلام مقصورة على ذهاب رجس الشيطان عنهم وتطهيرهم ولا يتخلف مراده البتة، فتقربهم بكل مقرب له تعالى لازم لذلك، لا يتخلف عنه بتاً. أفتراه تعالى يعدل عما ذكر كي تزول العصمة، أم إرادته دائمة؛

---

(١) الأحزاب: ٣٣.

(٢) وهي المشار إلى ذكرها في الشعاع التاسع.

فالعصمة لازمة لذواتهم عليهم السلام الشريفة لزوم المعلول لعلته كما عليه المحققون من علمائنا. ولا سبيل لأحد لشق الأول إذ العقل السليم يمنعه عن ذلك، وإليك شاهداً على ما قلناه من كلام السيد الجليل المذكور في الرسالة المذكورة، قال في ص١٧: التنبيه الأول ما نصه: «إن الآية دلت على عصمة الخمسة لأن الرجس فيها عبارة عن الذنوب، كما في الكشاف وغيره، وقد تصدرت بأداة الحصر وهي (إنما) فأفادت أن إرادة الله تعالى في أمرهم مقصورة على إذهاب الذنوب عنهم، وتطهيرهم منها، وهذا كنه العصمة وحقيقتها».

وقال رحمه الله في حاشيته على المقام نقلاً عن النبهاني: بأن جماعة من علمائهم الأعلام فهموا من الآية عصمتهم عليهم السلام منهم أبو جعفر الطبري وأورد عبارته وهي: يقول الله تعالى: إنما يريد الله ليذهب عنكم السوء والفحشاء يا أهل محمد، ويطهركم من الدنس الذي يكون في معاصي الله تطهيراً.

فراجع ففيها كلام جليل يقر العين من ص ٧ إلى ص ١٧ وقد أورد فيه عدة أقوال لعلماء القوم ودفع شبه المتشبثين بالسياق، كمقاتل وعكرمة، بعد أن أثبت نصبهم من طرق علمائهم، ورد دعواهم اختصاصها بالنساء بوجوه أربعة في ص١٤ وحاصلها:

الأول: رد اجتهادهم بالصحاح المتواترة.

الثاني: تذكير الضمير.

الثالث: منع الخلل في الكلام البليغ بذكر الجمل المعترضة والاستشهاد بآي من القرآن.

الرابع: إجماع المسلمين على عدم ترتيب القرآن في الجمع حسب ترتيبه في النزول.

وقال رحمه الله في ص٧ في كلامه على تخصيص الآية بأهل البيت عليهم السلام ما

نصه: فهؤلاء هم أصحاب هذه الآية البينة. وحرر في حاشيته على هذا ما نصه: صرح بذلك أبو سعيد الخدري وجماعة من التابعين، منهم مجاهد وقتادة وغيرهم، فيما ذكره الإمام البغوي، وابن الخازن وكثير من المفسرين كما في المقصد الأول من (الشرف المؤيد لآل محمد ﷺ) ومؤلفه يوسف بن إسماعيل المعاصر النبهاني. ومن أراد التفصيل بنزول هذه الآية في الخمسة فعليه بـ (برشفة الصادي) للإمام أبي بكر بن شهاب الدين العلوي رضي الله عنه.

ثم نقل رحمه الله عن النبهاني: أن السيوطي أخرج عشرين رواية في التخصيص بالخمسة، وأن ابن جرير أخرج في تفسيره خمس عشرة رواية. ثم أخذ رحمه الله في البيان وإيراد الروايات من طرق القوم. فلنشرف كتابنا بحديث نبوي منها. قال رحمه الله في ص٨: أخرج الإمام أحمد بن حنبل في ص ٣٢٢ من الجزء السادس من مسنده عن أم سلمة رضي الله عنها قالت: إن رسول الله ﷺ قال لفاطمة: اتيني بزوجك وابنيك فجاءت بهم، فألقى عليهم كساءً فدكياً، ثم وضع يده عليهم، ثم قال: اللهم إن هؤلاء آل محمد فاجعل صلواتك وبركاتك على محمد وعلى آل محمد إنك حميد مجيد. قالت: فرفعت الكساء لأدخل معهم فجذبه من يدي وقال: إنك على خير. وهذا الحديث رواه بالإسناد إلى أم سلمة رضي الله عنها أيضاً أبو إسحاق الثعلبي في تفسيره وغير واحد من المفسرين والمحدثين(١).

وبالجملة الأخبار في تخصيص الآية بأهل البيت عليهم السلام متضافرة من الفريقين كما أفاده غير واحد من العلماء. فراجع الينابيع ففيه خمسة عشر

---

(١) ومن المسلم قول رسول الله ﷺ أنزلت هذه الآية في خمسة: فيَّ وفي علي والحسن والحسين وفاطمة. واجتماعهم عليهم السلام تحت الكساء عند تبليغها من السماء أيضاً حتى نظم ذلك بعض المسيحيين وهو پولس سلامة فقال:

جمع الله خمسة في كساء ... ليس فيهم إلاّ الجسوم فواصل

طريقاً أو أكثر عن الحاكم وابن حجر والإمام ابن حنبل.

وليس الغرض بسط الدليل بالآية على العصمة ففي ما قدمناه من الأدلة كفاية، وليس المقصود التعرض للأخبار في الآية لأنه غني عن الذكر، وإنما تعرضنا لذلك استطراداً وتيمناً.

في دفع شبهة عن غيبة قائمنا (عج) بتحقيق علمائنا

إنما الغرض بيان معنى العصمة من الآية الشريفة كما قدمناه وقد حصل ما يلزم بيانه، ولنزده توضيحاً ببعض من كلمات علمائنا رضوان الله عليهم دفعاً لشبه المشكلين. فمنهم جمال الدين العلامة رضي الله عنه قال في كتاب الألفين ص٥٠ في تعريف العصمة ما نصه: وهي ما يمتنع المكلف معه من المعصية متمكناً منها ولا يمتنع منها مع عدمها[1].

وقال تَتِنُّ في الباب الحادي عشر ص٤٣ طبع كردين ما نصه: العصمة لطف خفي، يفعله الله بالمكلف بحيث لا يكون له داع إلى ترك الطاعة وارتكاب المعصية مع قدرته على ذلك. ووافقه على ذلك الشارح الشيخ مقداد. ونسب الشيخ علي في المنار هذا التفسير إلى أصحابنا مطلقاً. وقال بعد ذلك في صحيفة ٣٧ ما نصه: وفسرها بعض بأنها الأمر الذي يفعله الله عز وجل من الألطاف المقرِّبة إلى الطاعات التي يعلم معها أنه لا

---

(١) نص العبارة هكذا والظاهر أن فيها غلطاً؛ إذ ينبغي أن يكون الضميران متساويين تذكيراً وتأنيثاً، فأما معها وعدمها أو معه وعدمه.

يقدم على المعصية، بشرط لا ينتهي ذلك الأمر إلى الإلجاء.

ثم ذكر تفسيراً يقارب ما ذكر وقال بعده: وكل هؤلاء متفقون على أن العصمة لا يشترط فيها سلب القدرة على المعصية. وأخذ في بيان مذاهب القوم. إلى أن قال: وأصحابنا رضوان الله عليهم لا يختلفون في قدرة المعصوم على المعصية.

ثم أخذ في البيان حتى استدل بقوله: لنا أن المعصوم لو لم يكن قادراً على فعل المعصية لما كان مكلفاً بتركها، إذ شرط التكليف بالشيء القدرة على فعله وتركه -إلى آخر الاستدلال-.

وملخصه أنا نقطع بتوجيه التكاليف للمعصومين عليهم السلام وأنهم ممدوحون على ترك المعصية ومثابون كتاباً وسنة، ولا مدح ولا ثواب لمجبور، -وهذا مسلّم عند كل عاقل- فقدرته لازمة بتاً، فلا تعجب من القول باستحالة وقوع الذنب من المعصوم مع قدرته عليه. ولنقرب لك بما تسلمه من استحالة وقوع القبح من الواجب -جلّ وعلا- مع قدرته عليه، إذ قدرته تعالى على ما فسرها المحققون ما هي إلاّ بمعنى: إن شاء فعل، وإن شاء ترك، فهو مختار على الإطلاق لكن كماله المطلق يحيل ذلك. ولا أقول إن المعصوم كباريه ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾[1] وإنما الغرض بيان قدرة المعصوم بمعنى إرادته الفعل والترك مختاراً مع محالية وقوع المعصية منه بألطاف الله الخاصة به. ولو تأملت لتصورت محالية وقوع بعض الكبائر العظام عادة -وإن بعدت عقلاً- حتى من غير المعصوم ممن اتقى الله تعالى حق تقاته، فوصل إلى أعلى مراتب العدالة، فهي رتب عديدة، كما أن العصمة كذلك. وقد أشار إلى الأول أمير المؤمنين عليه السلام في صفة المتقين

---

(١) الشورى: ١١.

لهام وغيره فتبصر فيه[1].

فبذلك تنقطع الشبهة على تفسير علمائنا رحمهم الله العصمة كما ذكر الشيخ وغيره.

وقد أشار رحمه الله إلى ذلك في المسألة الثانية أيضاً في ثبوت عصمة أئمتنا الاثني عشر عليهم السلام في ص٣٤٩ بما حاصله: إن أصحابنا يجزمون بعصمتهم عليهم السلام عن كل الذنوب صغيرها وكبيرها خطأ وعمداً في الأحكام وغيرها.

ومما لم يذكر آنفاً النبوي، قال صلى الله عليه وآله: «أنا وعلي والحسن والحسين والتسعة من ولد الحسين عليهم السلام مطهَّرون معصومون»[2].

ثم ذكر رحمه الله أقوال المخالفين حتى قال ما نصه: قال ابن أبي الحديد: نص ابو محمد بن متويه في كتاب الكفاية على أن علياً عليه السلام معصوم وإن لم يكن واجب العصمةَ ولا العصمة شرط في الإمامة لكن أدلة النصوص قد دلت على عصمته عليه السلام. ثم ذكر قول محيي الدين بعصمة المهدي عليه السلام ونقل عنه قوله: إنه يحكم بما ألقى إليه ملك الإلهام من الشريعة، وذلك أنه يلهمهم الشرع المحمدي فيحكم به كما أشار إليه حديث نبوي: «المهدي يقفو أثري لا يخطئ» فأخبرنا صلى الله عليه وآله أنه متبع، لا مبتدع، وأنه معصوم في حكمه عليه السلام. ونقل أيضاً رحمه الله عن بعض المطلعين المتثبتين في النقل أن الغزالي يقول بعصمة الاثني عشر عليهم السلام، ولعل ذلك على ما يراه وأمثاله في

---

(١) وإليه أيضاً يشير حديث عن الإمام الصادق عليه السلام في تقسيم التقوى لثلاثة أوجه قال عليه السلام فيه ما نصه: «وتقوى في الله عز وجل وهو ترك الحلال فضلاً عن الشبهة» انتهى من الجزء الثاني من كتاب جامع السعادات للشيخ النراقي رحمهم الله في ص١٧٨، طبع النجف الأشرف سنة ١٣٦٨هـ.

(٢) ص٤٠ من كتاب الصراط المستقيم للشيخ حبيب آل إبراهيم رحمه الله، طبع النجف سنة ١٣٧٢هـ. وأيضاً أخرجه الحمويني عن ابن عباس في الينابيع في الباب السابع والسبعين ص٤٧٢.

الواصلين لله عندهم من عدم الخطأ في الأحكام.

وكيف كان لا يهمنا قولهم وعدمه بعد اتضاح محجتنا بظهور حججنا العقلية والنقلية على عصمة أئمتنا عليهم السلام.

وقد عرفت اعتراف إخواننا أهل السنة بآية التطهير، ولقد قال الشريف السمهودي ما نصه: كلمة (إنما) للحصر تدل على أن إرادته تعالى منحصرة على تطهيرهم، وتأكيده بالمفعول المطلق دليل على أن طهارتهم طهارة كاملة في أعلى مراتب الطهارة. أ هـ من الباب الثالث والثلاثين ص٨٩ من الينابيع.

ولعل بعض المنتقدين يُشكلون علينا بعدم قيام الدليل بالآية المذكورة على عصمة أئمتنا التسعة لما تقدم من تخصيصها بالخمسة فنقول:

إن ما قدمناه من الأدلة على عصمة الكل كان حاسماً للشبهات. وقد تقدم أن ليس أصل الغرض من ذكر الآية الاستدلال بها على العصمة بل لبيان معناها وقد اتضح، فالآية محكمة حاكمة على الخصم بذلك لما أسلفناه من البيان الذي اتضح منه بالتتبع - الدلالة على العصمة.

أما تعيين المعصومين فبتعيين الله ورسوله صلى الله عليه وآله حيث إن المراد أهل البيت عليهم السلام مجملاً؛ فبيّنهم رسول الله صلى الله عليه وآله بالقول والفعل إذ حصر من وجد منهم في ذلك الوقت خاصة تحت كسائه مراراً، كما تقدم وصرّح بأسمائهم خصوصاً: علياً عليه السلام نفسه، وفاطمة عليها السلام بضعته، والحسنين سبطيه عليهما السلام، وأما التسعة الأئمة المعصومون فهم داخلون في أهل البيت عليهم السلام بضميمة ما سوى ذلك من النصوص، كحديث الثقلين وغيره، كما صرّح به النبوي المذكور آنفاً، وكفى ذلك للمنصف حجة ودليلاً. وإن يشأ التصريح بهم في بعض ما ورد في بيان الآية فإليه ما أورده المحقق الكاشاني في الصافي ص٤٠٦ طبع إيران سنة ١٣١٦هـ عن الإكمال عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه

قال في جمع من المهاجرين والأنصار في المسجد أيام خلافة عثمان: أيها الناس أتعلمون أن الله عز وجل أنزل في كتابه ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ البَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ فجمعني وفاطمة وابني حسناً وحسيناً وألقى علينا كساءه وقال: اللهم إن هؤلاء أهل بيتي ولحمتي يؤلمني ما يؤلمهم ويجرجني ما يجرجهم، فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً. فقالت أم سلمة رضي الله عنها: وأنا يا رسول الله؟ قال صلى الله عليه وآله: أنت على خير، إنما أنزلت فيَّ وفي أخي وفي ابنتي وفي ابنيَّ وفي تسعة من ولد ابني الحسين عليه السلام خاصة ليس معنا أحد غيرنا. فقالوا كلهم: نشهد أن أم سلمة رضي الله عنها حدثتنا بذلك فسألنا رسول الله صلى الله عليه وآله فحدثنا كما حدثتنا أم سلمة رضي الله عنها. أ هـ حرفياً[1].

وفيه أيضاً عن الكافي عن الصادق عليه السلام في هذه الآية قال: يعني الأيمة عليهم السلام، وولايتهم من دخل فيها دخل في بيت النبي صلى الله عليه وآله.

فقل لي أيها المستنير بنور بصيرتك هل تبقى بعد هذا البيان، وما أسلفناه ريبة لمنصف سليم عقله فيما قررناه من لزوم عصمة الحجة ودليلها وبيان معناه وظهور الاستدلال بآية الطهارة وغيرها على عصمة أئمتنا عليهم السلام لزوماً وصريحاً؟ فحجة الشيعة قائمة على مخالفيهم في دوام الحجة المعصوم في كل آن وطبق ما قاله أميرهم أبو الحسن عليه السلام لكميل: «اللهم بلى لا تخلو الأرض من قائم لله بحجة إما ظاهراً مشهوراً، وإما مستتراً مغموراً؛ لئلا تبطل حجج الله وبيناته» من المنار ص٣٤٥ عن النهج[2].

---

(١) مرت الإشارة للنص عليهم السلام عن ينابيع المودة بعدة طرق.

(٢) قال في المنار نقلاً عن ابن أبي الحديد في شرح هذه الكلمات تكاد أن تكون صريحة في مذهب الإمامية.

ونقول إنها التصريح البات والراد له مكابر، فراجع شرحه تراه قد ارتطم عليه الجواب.

فأنعم بها من كلمة جامعة نافعة دافعة لشبهة الغاوين، وحجة محت بنورها تضليل المضلين في غيبة ولينا القائم المسلم قيامه عند الكل[١]، فحجة الله تعالى قائمة عليهم بما فعله من واجب لطفه من نصب الإمام والدلالة عليه فهو لطف، وتصرفه لطف آخر، فمنع الظلمة له ليس بنقص في حجة الله فاستتاره عليه السلام عنهم خوفاً على نفسه بأمر الله وهم المأثومون. والتشكيك في ولادته ووجوده عليه السلام ساقط بالأدلة المسلمة، وهي مبسوطة في كتب الأصحاب والأخبار مستفيضة بين الفريقين. والسؤال لم لا يمكّن الله الإمام من قهر أعدائه؟ رداً على الله عز وجل ﴿**وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي العِلْمِ**﴾[٢] فالإمام المنتظر منتظِر أمر الله عز وجل حتى تتم مقاديره ويأذن له ﴿**لَوْ تَزَيَّلُوا لَعَذَّبْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا**﴾[٣].

وجواب السؤال عن فائدة وجوده مع غيبته هو في الكلمة العلوية المذكورة في الصفحة السابقة وهي بمعنى ﴿**لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللهِ حُجَّةٌ**﴾[٤] والحجة لا تتم إلاّ بوجود المعصوم ﴿**قُلْ فَلِلهِ الْحُجَّةُ البَالِغَةُ**﴾[٥].

ومن الجواب عن ذلك أيضاً أن انتفاعنا به كانتفاعنا بالشمس حين استتارها بالسحاب[٦].

---

(١) أشرنا لذلك في الشعاع الخامس عشر، وأن الذي وقفت عليه مائتين وتسعة عشر خبراً.

(٢) آل عمران: ٧.

(٣) الفتح: ٢٥. هذا مأخوذ من جواب عن الصادق عليه السلام لبعض السائلين كما في المنار.

(٤) النساء: ١٦٥.

(٥) الأنعام: ١٤٩.

(٦)مضمونه مروي في الينابيع عن الصادق عليه السلام ولذا قال الحجة الجشي رحمه الله في قصيدته الدالية في القائم عليه السلام:

إن غاب عن أعيننا فالقلب ... لا يعتريه بالحجاب الريب

فالشمس لا تخفي سناها السحب ... وفي القلوب نوره وقّاد

وفي هذا القدر كفاية وقد أفدناك أنا أشرنا لقضية المهدي في الشعاع الخامس عشر فراجع فلا حاجة للتكرار، ولا غرضنا البسط، نعم يروقني ما حرره الحجة كاشف الغطاء رحمه الله في المقام في أصل الشيعة وأصولها، فإنه مع وجازته وقوته بيّن النفع مغنٍ عن كثير من الأدلة المبسوطة حاسم للشبهات، ولا أجدني معرضاً عنه فلابد من التقاط كلمات منه، وإن شاء الله تعالى لا نخرج بذلك عن خطة الاختصار قال رحمه الله في ص١٠٣ ما نصه: نعم في قضية المهدي، قد تعلو نبرات الاستهتار والاستنكار من سائر فرق المسلمين. ثم قال بعد كلمات: والمعقول من إنكارهم يرجع إلى أمرين:

الأول: استبعاد بقائه عليه السلام طول هذه المدة التي تتجاوز الألف سنة

هل يوجد التأثير والنور بلا	مؤثر ونيّر، فلو خلا
وجه الثرى عن حجة على الملا	ساخت وما قرت بها الأطواد
وهذه أشياعه بين الورى	مظلومة وفضلها لن ينكرا
حجتها عالية لن تقهرا	ولم يزل علوها يزداد
هل ذاك إلاّ لوجود مرشد	يمدها من نوره فتهتدي
لدفع ما يورد كل ملحد	حيث عليها للهدى الأنجاد

القصيدة، فتدبره فإنه جيد نظماً ومعنى. وفيه إشارة لقاعدة اللطف المعروفة عند الإمامية: وتمثيله بالشمس يدفع وَهْمَ متوهمي التفويض، فما الشمس إلاّ سبب للمنافع والمسبب هو الله والإمام كذلك، فلا ريبة أنه السبب في منافع الدارين وبه تنمو البركات كما أفادنا الإمام جعفر الصادق عليه السلام في حديث طويل في باب صفات الإمام عليه السلام في الكافي وقبله حديث رضوي أطول منه فراجع ترى قرة عين. وفيه أيضاً إشارة إلى قاعدة اللطف بقول الصادق عليه السلام في باب أن الأرض لا تخلو من حجة كيما أن زاد المؤمنون شيئاً ردهم وإن نقصوا شيئاً أتمه لهم. انتهى حرفياً من الخبر الثاني (شرح أصول الكافي للمازندراني، ج٥، ص١٢٣). وإلى ما أشار إليه الشيخ من شرط استقرار الأرض بوجوده عليه السلام يصرح قول الصادق عليه السلام في الخبر التاسع منه لو بقيت الأرض بغير إمام لساخت، وفي الباب بمعناه ثلاثة أخبار.

وكأنهم ينسون أو يتناسون حديث عمر نوح عليه السلام الذي لبث في قومه بنص الكتاب ألف سنة إلاّ خمسين عاماً، وأقل ما قيل في عمره: ألف وستمائة سنة، وقيل: أكثر إلى ثلاثة آلاف. وقد روى علماء الحديث من السنة لغير نوح عليه السلام ما هو أكثر من ذلك. ثم استشهد بكلام النووي في أن أكثر علمائهم يعترفون بحياة الخضر عليه السلام وذكر رحمه الله بعد ذلك عن الزمخشري أن المسلمين متفقون على حياة أربعة من الأنبياء: اثنان منهم في السماء، وهما إدريس وعيسى عليهما السلام، واثنان في الأرض إلياس والخضر عليهما السلام. وبعده قال رحمه الله: والمعمرون الذين تجاوزوا العمر الطبيعي إلى مئات السنين كثيرون، واستشهد على ذلك بما ذكره علم الهدى والصدوق رضي الله عنهما وبمن رآهم هو رحمه الله ممن يتجاوز العمر الطبيعي، ثم قال رحمه الله في ص١٠٥ ما نصه: على أن الحق في نظر الاعتبار أن من يقدر على حفظ الحياة يوماً واحداً يقدر على حفظها آلافاً من السنين، ولم يبق إلاّ أنه خارق للعادة، وهل خرق العادة والشذوذ عن نواميس الطبيعة في شؤون الأنبياء والأولياء بشيء عجيب؟!

ثم ذكر أيضاً عن كبار الغربيين إمكان الخلود في الدنيا للإنسان، وذكر عن بعض كبار علماء أوربا أن أمير المؤمنين عليه السلام لولا سيف ابن ملجم -لعنه الله- لكان من الخالدين في الدنيا؛ لأنه جمع صفات الكمال والاعتدال.

وبعد كلمات بيّن الأمر الثاني بقوله: الثاني السؤال عن الحكمة والمصلحة في بقائه مع غيبته ثم أخذ في الجواب وملخصه: إن كثيراً من الأحكام مجهول لدينا سرها كتقبيل الحجر الأسود وغيره. حتى قال ما نصه: وقد استأثر الله سبحانه وتعالى بعلم جملة أشياء. وبعده قال ما لفظه: وأخفى جملة أمور لم يُعلم على التحقيق وجه الحكمة في إخفائها، كالاسم الأعظم، وليلة القدر، وساعة الاستجابة. والغاية أنه لا غرابة في وقوع ذلك وتحققه فإذا صح إخبار النبي صلى الله عليه وآله وأوصيائه المعصومين لم يكن بد من التسليم والإذعان.

وأخذ في البيان حتى قال في ص١٠٦: في القول الفصل أنه إذا قامت البراهين في مباحث الإمامة على وجوب وجود الإمام عليه السلام في كل عصر، وأن الأرض لا تخلو من حجة، وأن وجوده لطف وتصرفه لطف آخر فالسؤال عن الحكمة ساقط. انتهى مرادنا.

ولا تنافي بين هذا وبين ما ذكره غيره من العلماء في الأجوبة المبسوطة للسؤال، إذ غرضه سد بابه بحكمة الله، ففيها غنى عن الجواب وحسم للشبهات؛ لأن كتابه رحمه الله مبني على الإيجاز ومن شاء بسط الجواب فليراجع كتب علمائنا رضي الله عنهم فإنهم لم يألوا ذلك جهداً، ومنهم العلامة الحلي رحمه الله في كتاب الألفين حيث حقق كون الإمامة لطفاً، ووجوبها على الله في كل وقت، فالإمامة دائمة مادام التكليف، ومنهم نصير الدين الطوسي رحمه الله والمفيد وعلم الهدى والسيد الجزائري وغير واحد من العظماء، ومنهم الشيخ علي في المنار فراجع من ص٨ إلى ٥٠ فقد حقق كون الإمامة لطفاً بالحجج القوية، وذكر أقوال جملة من علمائنا ودفع شُبَه الخصوم كلها، وحرر في خصوص القائم من ص٣٣٨ إلى ص٣٤٩ وإليك كلمات كبيرة المعنى من كلامه الجليل شاهداً على ما حررناه آنفاً قال في ص١٢٠ بعد ذكر الأنبياء، وعدم تمكنهم من قهر الخلق، وأن ذلك لم يبطل نبوتهم وإمامتهم، ولم يخرج منصبهم عن اللطف.

وإذا لم يكن عدم القدرة على إنفاذ الأحكام، وإعلاء لواء الدين موجباً لخروج النبي صلى الله عليه وآله عن كونه لطفاً من الله في خلقه، لم يكن ذلك مبطلاً للطفية خليفته؛ لتساويهما في كونهما معاً منصوبين من قبل الله تعالى. وبعد فراغه من بيان حجج علمائنا المتقدمين قال: وأجاب أصحابنا المتأخرون كنصير الدين الطوسي وجمال الدين الحلي رضي الله عنهم: بأن وجود الإمام لطف، تصرف أو لم يتصرف، لقيام حجة الله تعالى به على عباده ولأن المكلف إذا علم بوجود إمام في العالم يجوز ظهوره وتسلطه على الرعية فيعاقب العصاة ويؤدب الجناة

كان إلى فعل الطاعة والانزجار عن المعصية أقرب منه إذا علم انتفاء وجوده.. -وأخذ رحمه الله في البيان إلى أن قال-: ولذا قال بعض المحققين: إن اللطف في أمر الإمامة يتم بأمور، منها ما يجب على الله تعالى وهو خلق الإمام وتمكينه من القدرة والعلم والنص عليه باسمه ونسبه وهذا قد فعله الله تعالى ومنها ما يجب على الإمام، وهو تحمله الإمامة وقبوله لها وهذا قد فعله الإمام، ومنها ما يجب على الرعية، وهو المساعدة والنصرة له، وقبول أوامره، وامتثال قوله، وهذا لم يفعله الرعية.

وأخذ تتئ في التقرير إلى أن ذكر اعتراض القوشجي بأن علم المكلف بقدرة الله تعالى على إيجاد الإمام قائم مقام وجوده في حصول الخوف للمكلف فيحصل به اللطف. فأفسده بوجوه، منها:

إن ما فرضه خوف من المعدوم، ولا خفاء أن الخوف من المعدوم غير حاصل للعقلاء، بخلاف الخوف من الموجود المترقب ظهوره، فإن الخوف منه حاصل فكان لطفاً دون الأول - إلى آخره.

وقال علم الهدى رحمه الله في التنزيه في جواب المعترض علينا في فائدة وجود الغايب ما نصه: ثم الفرق بين وجوده غايباً عن أعدائه بالتقية وهو في خلال ذلك منتظر أن يمكنوه فيظهر ويتصرف وبين عدمه - واضح لا خفاء به، وهو الفرق بين أن تكون الحجة فيما فات من مصالح العباد لازمة لله تعالى، وبين أن تكون لازمة للبشر لأنه إذا أخيف فيغيب شخصه عنهم، كان ما يفوتهم من عقيب فعل سببوه وألجؤوه إليه فكانت العهدة فيه عليهم، والذم لازم لهم، وإذا أعدمه الله تعالى - ومعلوم أن العدم لا يسببه الظالمون بفعلهم، وإنما يفعله الله تعالى اختياراً - كان ما يفوت بالإعدام من المصالح لازماً له تعالى ومنسوباً إليه. انتهى حرفياً. من ص١٨٢.

وفي هذا القدر كفاية لمن تدبر، ومن لم يقنع ولم يراجع ما حرر في المقام

من أجوبة أصحابنا المبسوطة فحجته منقطعة قطعاً بها أفدناه عن الحجة كاشف الغطاء من إيكال سر الغيبة لحكمة الله تعالى، فلاشك أنّ مَنْ حكّم العقل في ذلك فلا مناص له من الخضوع له والتسليم، ولا أرى المشكل باستبعاد طول العمر إلاّ منفلجاً بها تقدم من نص الكتاب في نوح عليه السلام والمذكور في غيره من طريق الأخبار والتاريخ كثير ولو أردنا ذكرهم لخرجنا عما التزمنا به من اختصار الموضوع[1].

فقد عرفت أن تعرضنا للعصمة وأدلتها ليس بالقصد الأولي، بل إنما تسبب عما أفدناك به في الشعاع الثامن عشر من الأخبار المبينة للفرق بين الإسلام والإيمان وضده الضلال، وعرفت أن انتفاء الضلال لا يحصل إلاّ بمتابعة المعصوم عليه السلام.

---

(١) راجع الأنوار للسيد، والمنار للشيخ، فقد أحصى في ص٣٤٠ وص٣٤١ (في المطبوع من ص٦٢٩ - ٦٣١) ثلاثين شخصاً بأسمائهم من العرب وغيرهم غير الخضر ومعمر بن أبي الدنياء والدجال وإلياس وغيره. وذلك مسلّم عندنا قميناً ولبعض محبيهم من قصيدة في مولد القائم عليه السلام:

بقــاؤه مســلّم لا ينكــر ... نظـيره بـين الأنـام الخـضر
كـذلك الـروح المسيح الأطهـر ... قـد عمـرا بقـدرة الجبـار
وهكذا الدجال والرجس الشقي ... مـسلمٌ بـين الأنـام قـد بقـي
معمـر فكيـف بـالبر التقـي ... مـن نـوره المبـدأ للأنـوار
بقـاؤه لطـف إلى الرعيـه ... ويمنـه الحيـاة للبريـه
فهـو الإمـام الفـصل في القـضيه ... وحجـة للقـادر المختـار

المخالف والموالي وتمييز الناصب

في ضلالة من خالفهم وسعد مواليهم والفرق بين الناصب وغيره وفيها تحقيق وتنقيحات رائقة:

فالضلال في خلافهم قطعاً وهو معنى أحاديث الثقلين إذ فيها تعليق نفي الضلال أبداً على التمسك بهم كما مر تحقيقه، فقد ظهرت الحجة في واضح المحجة فيا ذا العقل السليم قل: ﴿**وَقُلْ جَاء الحَقُّ وَزَهَقَ البَاطِلُ إِنَّ البَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا**﴾[١]، وقل القول الهادي قول الإمام علي الهادي عليه السلام: « سعد والله من والاكم، وهلك من عاداكم، وخاب من جحدكم، وضل من فارقكم، وفاز من تمسك بكم، وأمن من لجأ إليكم، وسلم من صدقكم، وهدي من اعتصم بكم »[٢] الزيارة. وقل:

﴿**الحَمْدُ لله الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلا أَنْ هَدَانَا اللهُ**﴾[٣].

---

(١) الإسراء: ٨١.

(٢) الزيارة الجامعة.

(٣) الأعراف: ٤٣.

فتبصر في هذه الفقرات الشريفة كي تستنير بصيرتك بفوائدها اللطيفة، وتدبر ما فيها من المعاني المنيفة كي تعرف أنها ليست متكررة، ولا الألفاظ مترادفة كما يتوهمه قليل المعرفة، بل معانيها عالية الشأن مدلول عليها بالألفاظ المطابقة لمقتضى الحال باعتبار الشؤون والأحوال. نعم هي متقاربة كل منها يصلح بياناً للآخر بما لها من القدر المشترك؛ أي معنى واحد يجمعها وهو السعد الحقيقي الباقي للموالي فإن الفوز بالتمسك بهم، وأمن اللاجئ إليهم، وسلامة المصدق إليهم، وهداية المعتصم بهم من مصاديق ذلك السعد الدائم. وضده الشقاء الملازم لمعاديهم المعبر عنه بـ« هلك من عاداكم ». ومن مصاديقه خيبة جاحدي إمامتهم، وضلالة من فارقهم.

فالمتمسك بهم وهو الآخذ بهديهم من رأيهم ورواياتهم، قد كان من الفائزين بطاعة الله وطاعة رسوله بآي الكتاب، والنبوي المسلم كما تقدم، واللاجئ إليهم آمن من عذاب الله داخل في حصن الله وهو لا إله إلاّ الله بشرطها وهو ولاؤهم، والمصدق لهم ممتثل لأمر الله تعالى إذ كان مع الصادقين المعصومين طبق ما تقدم من الآيات والنصوص النبوية، والمعتصم بهم معتصم بحبل الله عامل بإرشاد الله على أوليائه كتاباً وسنة.

أوَليست هذه من مصاديق السعادة وأجل أنواعها؟

أوَليس المنكر إمامتهم عليهم السلام من التاركين لنص الله ورسوله صلى الله عليه وآله؟

أَلَم يكن بذلك من الخاسرين؟

وهل الخيبة إلاّ خسران السعادة الدائمة؟

أما كان التارك لتعاليمهم من أقوالهم وأفعالهم ممن فارقهم؟

ألا يكون بذلك من الضالين؟

فالضلال والخيبة نوعان من أنواع الهلاك.

ولا يخفى أن لكل من أنواع السعد والشقاء آثاراً تتفاوت بتفاوت الرتب شدة وضعفاً فأثر جحود الإمامة مثلاً بعد المعرفة واليقين بها أشد منه بدون ذلك. وآثار ترك تعاليمهم عليهم السلام بدون معاداتهم أقل منه معها. فقد عرفت فيما تقدم من ترتيب الآثار الشرعية على المسلم وإن كان ضالاً فله ما لنا، وعليه ما علينا.

ونزيدك بياناً هنا أنه طاهر عندنا إن لم يظهر عدواتهم.

أما الناصب لهم العدواة فلا إشكال في نجاسته عندنا، قال الحجة الجليل السيد محمد كاظم اليزدي رحمه الله في كتابه العروة الوثقى في كلامه على نجاسة الكافر: (مسألة) لا إشكال في نجاسة الغلاة والخوارج والنواصب - إلى آخر المسألة. وإليك مما أفاده مرجع العصر سيدنا السيد محسن الحكيم (مُدّ ظله) في المستمسك الجزء الأول ص١٧٧ طبع النجف سنة ١٣٦٨هـ في شرح المسألة قال ما نصه: قوله (والنواصب) بلا كلام كما عن جامع المقاصد والدلائل، ولا خلاف على الظاهر فيه كما عن شرح المفاتيح وعن الحدائق والأنوار للجزائري: الإجماع صريحاً عليه، ويشهد له ما رواه الفضيل عن الباقر عليه السلام عن المرأة العارفة أزوجها الناصب؟ قال عليه السلام: لا، لأن الناصب كافر. وما في رواية ابن أبي يعفور: إن الله تعالى لم يخلق خلقاً أنجس من الكلب، وأن الناصب لنا أهل البيت عليهم السلام أنجس منه. انتهى محل الشاهد من بيانه. وخصصناه بالأخير لتعلق الغرض ببيانه، ولا حاجة لنا في بيان نجاسة الغلاة والخوارج لصراحة كفر الأول والثاني أشد خبثاً من الثالث وعليه أدلة مخصوصة مع شمول الناصب له. والخبران المذكوران في كلام السيد الحكيم مد ظله مضمونها موافق لمضمون كثير من الأخبار المتقدمة من أن عدوهم عدو لله ورسوله صلى الله عليه وآله فالأثر الحاصل للناصب مع إظهاره الشهادتين هو من مبارزة الله ورسوله، فعبادة الناصب والخارجي هباء منثور، إذ لا يطاع الله من حيث يُعصى ﴿وَلَيْسَ البِرُّ بِأَنْ تَأْتُوْاْ البُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ البِرَّ مَنِ

اتَّقَى وَأْتُواْ الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا﴾[1] وما أُعد لهم من الآثار في يوم الجزاء أشد وأدهى ﴿وَلَعَذَابُ الآخِرَةِ أَخْزَى﴾[2] فكيف بنا وبهم إذا سيق بنا إلى الجنة وسيق بهم إلى النار ﴿وَقَالُوا مَا لَنَا لاَ نَرَى رِجَالاً كُنَّا نَعُدُّهُم مِّنَ الأَشْرَارِ * أَتَّخَذْنَاهُمْ سِخْرِيًّا أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمُ الأَبْصَارُ﴾[3].

---

(١) البقرة: ١٨٩.

(٢) فصلت: ١٦.

(٣) ص: ٦٢ - ٦٣.

في مجمع البيان عن الصادق عليه السلام أنه قال: «إن أهل النار يقولون: ﴿وَقَالُوا مَا لَنَا لاَ نَرَى رِجَالاً كُنَّا نَعُدُّهُم مِّنَ الأَشْرَارِ﴾. ولا يرونكم في النار، لا يرون والله واحداً منكم في النار. وما يضاهي مضمونه في الصافي عن القمي والكافي وفيه أيضاً عن الصادق عليه السلام قال: «إنكم لفي الجنة تحبرون وفي النار تطلبون».

إيقاظ وتبشير

في إيقاظ المسرفين من الموالين وحثهم على التقوى، وتبشيرهم بشفاعة المعصومين، وفيه تحقيق أنيق في الشفاعة:

هذا ولكني أقول إيقاظاً للمسرفين من الموالين، فأذكرهم بأمر وليهم أمير المؤمنين عليه السلام بقوله: «أعينونا بورع واجتهاد وعفة وسداد»، فلا ينسى المسرف على نفسه معنى ما قدمناه في الشعاع الخامس عشر من قول سيد الناصحين بمكث بعض المسرفين ثلاثمائة ألف سنة في الجحيم حتى ينجو بشفاعة المعصومين، ثم لا يتسارع من قلّتْ معرفته وأشكل علينا بالتدافع فيما حررناه هنا من عدم رؤية أعداء محمد صلى الله عليه وآله شيعتهم في النار، وما أشرنا إليه من طول مكث بعضهم فيها فإن الإشكال يندفع بأدنى تأمل. فمقامات يوم الدين متعددة على ما وردت به الأخبار. ومنها ما في حديث أمير المؤمنين عليه السلام في جوابه للزنديق وهو ما أشرنا إليه فيما تقدم عن الاحتجاج: قد ذكر فيه ثمانية مواطن قبل النار، وفي غيره من الأخبار أن للقيامة خمسين موقفاً ﴿فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾[1].

(١) المعارج: ٤.

ولعل كل موطن من المواطن المذكورة يشتمل على مواقف واختلاف طبقات المكلفين من الموالين وغيرهم في الحسنات والسيئات المقتضية للقرب من ربهم والبعد منه - غير خفي على كل أحد؛ فعليه تتفاوت رتب نجاة المذنبين، فربما يحصل الخلاص لبعض الشيعة من المذنبين عند وفاته بتكفيرها بالبلايا الدنيوية، أو بعد الوفاة بما يحصل له بتشديد النزع عليه لطفاً من ربه كي يوافيه صافياً، ومنهم من يخلصه بعذاب البرزخ، ومنهم من يكون في أول مقام من المحشر بشفاعة النبي ﷺ أو في ثانيه، أو في ثالثه قبل الحساب، أو بعده بشفاعة الأمير والسيدة فاطمة والحسن والحسين عليهم السلام أو أحد الأئمة عليهم السلام ﴿ذَلِكَ يَوْمُ التَّغَابُنِ﴾[1] ذلك يوم ظهور كرم الله وإكرامه لمحمد وآله وظهور مقاماتهم عليهم السلام. فكل مأموم تابع إلى إمامه كما ورد في تفسير قوله تعالى: ﴿يَوْمَ نَدْعُو كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ﴾[2].

ثم لا يخفى أن كل مقتفٍ لإمام له حظه من اقتدائه به شدةً وضعفاً، فرتب المقتدين متفاوتة كثيراً حسب تفاوت درجات الإيمان: فدرجة سلمان المحمدي رضي الله عنه مثلاً أعلى من غيره بكثير، وبذلك تتفاوت الشيعة في المشايعة والمتابعة.

فانظر إلى وصف أمير المؤمنين عليه السلام الشيعة المخلصين بما هم عليه في

---

(١) التغابن: ٩.

(٢) الإسراء: ٧١. رواه أمين الإسلام في المجمع ص٦٥ عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: ألا تحمدون الله أنه إذا كان يوم القيامة فدعي كل قوم بإمامهم إلى من يتولونه وفزعنا إلى رسول الله ﷺ وفزعتم إلينا فإلى أين ترون يذهب بكم؟ إلى الجنة ورب الكعبة - قالها ثلاثاً - وفي الثالث من البحار ص٢٥٩ طبع تبريز سنة ١٣٠١هـ عن تفسير علي بن إبراهيم ما نصه: عن ربعي عن الفضيل عن أبي جعفر عليه السلام في قوله تبارك وتعالى: ﴿يَوْمَ نَدْعُو كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ﴾ قال عليه السلام: يجيء رسول الله ﷺ في قرنه، وعلي في قرنه، والحسن في قرنه، والحسين في قرنه، وكل من مات بين ظهراني قومه جاؤوا معه.

حديث طويل[1] قال فيه: لشيعتنا هم العارفون بالله، العاملون بأمر الله، هم أهل الفضائل، الناطقون بالصواب -وأخذ يصفهم- حتى قال: مضوا غاضّين أبصارهم عما حرّم الله عليهم، رامقين[2] أسماعهم على العلم بربهم،

---

(١) راجع الينابيع باب سبعين ص٣٤٩.

في كتاب الصافي ص٢١ عن الكافي عن الباقر عليه السلام والقمي عن الصادق عليه السلام ما نصه: قال: سأل علي رسول الله صلى الله عليه وآله عن تفسير قوله تعالى: ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ﴾ الآية. قال صلى الله عليه وآله: يا علي، إن الوفد لا يكونون إلا ركباناً، أولئك رجال اتقوا الله فأحبهم الله، واختصهم ورضي أعمالهم فسماهم المتقين. ثم قال: يا علي، أما والذي فلق الحبة، وبرأ النسمة، أنهم ليخرجون من قبورهم، وإن الملائكة لتستقبلهم بنوق من نوق العز، عليها رحال الذهب، مكللة بالدر والياقوت وجلالها الإستبرق والسندس وخطامها جلال الأرجوان وزمامها من زبرجد فتطير بهم إلى المحشر مع كل رجل منهم ألف ملك من قدامه وعن يمينه وشماله يزفونهم زفاً حتى ينتهوا بهم إلى باب الجنة الأعظم، وعلى باب الجنة شجرة، الورقة منها يستظل تحتها مائة ألف من الناس، وعن يمين الشجرة عين مطهرة مزكية، قال: فيسقون منها شربة؛ فيطهر الله بها قلوبهم من الحسد، ويسقط من أجسادهم الشعر، وذلك قوله تعالى: ﴿وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا﴾ (الإنسان: ٢١) من تلك العين المطهرة، ثم ينصرفون إلى عين أخرى عن يسار الشجرة؛ فيغتسلون فيها، وهي عين الحياة، فلا يموتون أبداً، ثم يوقف بهم قدام العرش وقد سلموا من الآفات والأسقام والحر والبرد أبداً. قال: فيقول الجبار للملائكة الذين معهم: احشروا أوليائي إلى الجنة فلا توقفوهم مع الخلائق، فقد سبق رضائي عنهم، ووجبت رحمتي لهم، فكيف أريد أن أوقفهم مع أصحاب الحسنات والسيئات؟ قال: فتسوقهم الملائكة إلى الجنة، فإذا انتهوا إلى باب الجنة الأعظم، ضرب الملائكة الحلقة ضربة فتصر صريراً فيبلغ صريرها كل حوراء خلقها الله وأعدها لأوليائه؛ فيتباشرون بهم، إذا سمعوا صرير الحلقة، وتقول بعضهن لبعض: قد جاءنا أولياء الله، فينفتح لهم الباب فيدخلون الجنة؛ فتشرف عليهم أزواجهم من الحور العين الآدميين فيقلن: مرحباً بكم فما كان أشد شوقنا إليكم! ويقول أولياء الله مثل ذلك وزاد القمي رحمه الله: فقال علي عليه السلام: من هؤلاء يا رسول الله؟ فقال صلى الله عليه وآله: هؤلاء شيعتك يا علي وأنت إمامهم وهو قول الله عز وجل ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْدًا﴾.

(٢) كذا نسخة كتاب، والظاهر أنها غلط فالصحيح على الظاهر واقفين أسماعهم، ويؤيده

رضوا عن الله بالقضاء، فلولا الآجال التي كتب الله عليهم لم تستقر أرواحهم في أجسادهم طرفة عين شوقاً إلى لقاء الله تعالى والثواب، وخوفاً من أليم العقاب، عظموا الخالق في أنفسهم؛ وصغر ما دونه في أعينهم، فهم والجنة كمن رآها، فهم على آرائكها متكئون، وهم والنار كمن رآها، فهم فيها معذبون -إلى آخره- ﴿**طُوبَى لَهُمْ وَحُسْنُ مَآبٍ**﴾[1].

فلنجتهد في اقتفاء آثارهم مستمدين القوى من الله فهم المتقون المعنيون بقوله تعالى: ﴿**يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْدًا**﴾[2] يفدون إلى ربهم ركباناً فيدخلهم الجنة بغير حساب، كذا جاء في تفسيرها عن النبي ﷺ وهم المرادون بقوله تعالى: ﴿**وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا**﴾[3] وهم المشار إليهم بقول النبي ﷺ: «فأما المحسنون فما عليهم من سبيل»[4] و﴿**أُوْلَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ * جَزَاؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَّضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ**﴾[5]

ما في حديث آخر عنه عليه السلام في صفة المتقين لهمام في نهج البلاغة قال عليه السلام: وغضوا أبصارهم عما حرم الله عليهم، ووقفوا أسماعهم على العلم النافع لهم (الخطبة) إلخ.

(١) الرعد: ٢٩.

(٢) مريم: ٨٥.

(٣) الزمر: ٧٣.

(٤) في الثالث من البحار ص٢٦٥ عن الرضا عليه السلام عن أبيه عن آبائه عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: قال رسول الله ﷺ: من لم يؤمن بحوضي فلا أورده الله حوضي، ومن لم يؤمن بشفاعتي فلا أناله الله شفاعتي. ثم قال ﷺ: إنما شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي فأما المحسنون فما عليهم من سبيل. انتهى حرفياً.

(٥) سورة البينة: ٧ - ٨.

نقل السيد شرف الدين في الفصول ص٣٩ طبع صيدا سنة ١٣٤٦ لما نزلت الآيات الثلاث قال النبي ﷺ لعلي عليه السلام: هم أنت وشيعتك، تأتي أنت وشيعتك يوم القيامة راضين مرضيين، ويأتي أعداؤك غضابى مقمحين.

ونحن وإن لم نكن منهم فإنا مجتمعون معهم في القدر المشترك: ولاء آل رسول الله ﷺ والأخذ بهديهم، فمن وافى ربه بولائهم ودينهم دين رسول الله ﷺ فمساقه إلى الجنة بشفاعتهم ولو بعد التعذيب بالنار[1] إن كان من الفاسقين ممن كان فسقه شديداً فلا ينقى منه إلاّ بها وقد عرفت فيما تقدم من تفاوت رتب النجاة وتصفية المذنبين بتفاوت ذنوبهم.

والخلاصة إننا جميعاً في الجنة خالدون بولاء سادتنا وشفاعتهم عليهم السلام. ونوع الشفاعة إجمالاً من المسلمات عندنا وعند غيرنا، والأخبار في ذلك متضافرة، والسنة النبوية قطعية به. والذي وقفت عليه من طرقنا طريق النبي وآله صلى الله عليهم أجمعين سبعون خبراً أو تزيد، وفيها سبعة أو ثمانية للمؤمنين من الشيعة، وبعضها خاص بسيدتنا الزهراء بنت محمد المصطفى أهل المرتضى أم الأيمة النجباء عليهم السلام، ففي خبر طويل في الأنوار وروضة الواعظين عن النبي ﷺ يصف جلالتها عليها السلام في المحشر وفيه يقول الله لها: سليني تُعطي واشفعي تُشفّعي! فتقول: إلهي وسيدي، ذريتي وشيعتي - إلى آخره - وفيه: فتقدمهم فاطمة حتى تدخلهم الجنة.

وأول الشافعين أفضل الكل محمد رسول الله ﷺ[2] ثم الثاني من بعده في

---

(١) قال الشيخ جعفر رحمه الله في الخصائص الباب الثاني العنوان السابع ص١٦٤ عند ذكر زيارة الحسين عليه السلام لبعض المسرفين من شيعته في النار روي عنه أنه قال عليه السلام: من زارني زرته بعد وفاته، وإن وجدته في النار أخرجته.

(٢) قال الشيخ أبو علي بن الفتال المتقدم الذكر في روضة والواعظين ص٤٠٥ عند ذكره قوله تعالى: ﴿عَسَى أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾ (الإسراء: ٧٩) ما نصه: وقال رسول الله ﷺ: المقام الذي أشفع فيه لأمتي. وفي الثالث من البحار ص٢٦٧ وعن الباقر في قوله تعالى: ﴿وَتَرَى كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً﴾ (الجاثية: ٢٨) قال: ذلك النبي ﷺ وعلي عليه السلام يقوم على كوم قد علا على الخلائق فيشفع، ثم يقول: يا علي، اشفع - إلى آخره.

الفضل علي أمير المؤمنين عليه السلام ثم الأفضل فالأفضل في القرب للحضرة الإلهية. ففي ذلك اليوم ظهور المقامات العالية لأهلها من الأيمة والأنبياء[1] والمؤمنين والشهداء والملائكة وهم ينادون: يا حليم اعف واغفر واصفح وعد بفضلك وسلّم **﴿يَوْمَئِذٍ لاَّ تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلاَّ مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلاً﴾**[2]، **﴿وَلاَ يَشْفَعُونَ إِلاَّ لِمَنِ ارْتَضَى﴾**[3] أي ارتضى دينه.

ويحسن في المقام نقل بعض كلام الشيخ النووي، من أهل السنة، بنقل العلامة المجلسي في الثالث من البحار مزيداً للفائدة، وبياناً لمذهبهم في المقام،

---

(١) قال السيد في الأنوار ص٤٢٥ عند ذكر درجة الوسيلة للنبي صلى الله عليه وآله عنه صلى الله عليه وآله والحديث طويل، وفيه: حتى إذا صرت في أعلى درجة منها وعلي عليه السلام أسفل مني بدرجة فلا يبقى يومئذ نبي ولا صديق ولا شهيد إلا قال: طوبى لهذين العبدين - إلى آخر الخبر-. ثم قال رحمه الله: وفي خبر آخر أن الحسن عليه السلام يؤتى به فيعلو ذلك المنبر فيجلس أسفل من أبيه بدرجة وكذا الحسين وباقي الأيمة عليهم السلام كل واحد أسفل من الآخر بدرجة ثم يؤتى بإبراهيم ونوح وموسى وعيسى عليهم السلام وآدم عليه السلام فيجلس كل واحد في درجته ويكسى كل واحد منهم حلة على قدر مرتبته ودرجته فأعلى الدرجات درجة النبي صلى الله عليه وآله.

ومنها استلامه مفاتيح الجنة والنار فيدفعها إلى علي عليه السلام كما في خبر الوسيلة المذكور.

(٢) طه: ١٠٩.

(٣) الأنبياء: ٢٨. أي لمن ارتضى دينه. في كتاب الصافي ص٣٣١ عن كتاب التوحيد في خبر طويل مروي عن الكاظم عليه السلام عن أبيه عن آبائه عن رسول الله صلى الله عليه وآله وفيه: قيل: يا بن رسول الله، كيف تكون الشفاعة لأهل الكبائر والله تعالى يقول: **﴿وَلاَ يَشْفَعُونَ إِلاَّ لِمَنِ ارْتَضَى﴾** (الأنبياء: ٢٨)، ومن يرتكب الكبيرة لا يكون مرتضى؟ فقال عليه السلام: ما من مؤمن يرتكب ذنباً إلا ساءه ذلك وندم عليه، وقال النبي: كفى بالندم توبة، وقال: من سرّته حسنته وساءته سيئته فهو مؤمن؛ فمن لم يندم على ذنب يرتكبه فليس بمؤمن ولم تجب له الشفاعة. ومنه قوله عليه السلام: وأما قول الله عز وجل: **﴿وَلاَ يَشْفَعُونَ إِلاَّ لِمَنِ ارْتَضَى﴾** فإنهم لا يشفعون إلا لمن ارتضى الله دينه.

قال: وقد جاءت الآثار التي بلغت بمجموعها حد التواتر بصحة الشفاعة في الآخرة لمذنبي المؤمنين، وأجمع السلف الصالح ومن بعدهم من أهل السنة عليها. ثم ذكر أقوال من منع ذلك من الخوارج وبعض المعتزلة وأبطلها. ثم قال: لكن الشفاعة خمسة أقسام:

أولها: مختصة بنبينا محمد ﷺ وهو الإزاحة من أهوال الموقف وتعجيل الحساب.

الثانية: في إدخال قوم الجنة بغير حساب وهذه أيضاً وردت لنبينا ﷺ.

الثالثة: الشفاعة لقوم استوجبوا النار، فيشفع فيهم نبينا ﷺ ومن يشاء الله.

الرابعة: فيمن دخل النار من المؤمنين، وقد جاءت الأحاديث بإخراجهم من النار بشفاعة نبينا ﷺ والملائكة وإخوانهم من المؤمنين، ثم يخرج الله تعالى كل من قال لا إله إلا الله -كما جاء في الحديث- : لا يبقى فيها إلا الكافرون.

الخامسة: في زيادة الدرجات في الجنة لأهلها، وهذه لا ينكرها المعتزلة ولا ينكرون أيضاً شفاعة المحشر الأول. انتهى.

فهذا وما قدمناه نعرف منه أن الشفاعة إجمالاً ضرورية وعلى الخصوص شفاعة نبينا نبي الرحمة[1].

---

(١) قال أمين الإسلام في المجمع الجزء ٣ ص٧٧ في تفسير سورة الإسراء في أثناء كلام على قوله تعالى: ﴿عَسَى أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾ (الإسراء: ٧٩) ما نصه: وهو مقام الشفاعة يشرف فيه على جميع الخلائق يسأل فيُعطى ويشفع فيُشفّع، وقد أجمع المفسرون على أن المقام المحمود هو مقام الشفاعة وهو المقام الذي يشفع فيه للناس وهو المقام الذي يُعطى فيه لواء الحمد فيوضع في كفه وتجتمع تحته الأنبياء والملائكة فيكون هو ﷺ أول شافع وأول مشفّع.

ثم ينبغي لك أن لا تغفل عن قول الشيخ النووي المذكور: ثم يخرج الله تعالى كل من قال لا إله إلا الله. فلابد أن تفهم أنها بشرطها وشروطها وهي الإقرار بنبوة نبينا ﷺ وبحقية كل ما جاء به ﷺ، ومن إمامة أئمتنا على أصولنا. وأما على أصول الجمهور فهم وإن لم يشترطوا ذلك لكن لابد لهم من اشتراط محبتهم عليهم السلام فهي الفريضة على كل مسلم بنص الكتاب المجيد ﴿**قُل لاَّ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلاَّ الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا إِنَّ اللهَ غَفُورٌ شَكُورٌ**﴾[١].

(١) الشورى: ٢٣.

في اشتراط التوحيد بمودتهم، وفوائد ولائيه

وفيه تحقيق كون القربى في آيتها هم آل محمد ﷺ واشتراط التوحيد عند الجمهور بمودتهم وفيه فلسفة أيضاً وتحليل في ولائهم عندنا وتحقيق في انطباعنا على حبهم مع الاختيار:

وكون المراد بالقربى آل محمد ﷺ المعصومين عليهم السلام واقتراف الحسنة مودتهم كما هو مسلّم عندنا ومما أجمع عليه خلفنا وسلفنا من أئمتنا عليهم السلام وعلمائنا رضي الله عنهم بل من ضروريات مذهبنا، وقد سلمه المعظم من مخالفينا وصرّح بذلك أعلامهم منهم الإمام الشافعي[(١)] ومحيي الدين ابن عربي[(٢)] والعلامة الزمخشري وابن حجر والثعلبي وغير واحد من علمائهم ممن يطول

---

(١) من ذلك قوله:

يا أهل بيت رسول الله حبكم	فرض من الله في القرآن أنزله
كفاكم من عظيم القدر أنكم	من لم يصلّ عليكم لا صلاة له

(٢) وفي ذلك من قوله:

رأيت ولائي آل طه فريضة	على رغم أهل البغض يورثني القربى
فما طلب المبعوث أجراً على الهدى	بتبليغه إلا المودة في القربى

بتعدادهم الكتاب. والأخبار في ذلك متواترة، وقد روى الجمهور منها جملة وافرة بعضها خاص[1] بأهل الكساء، وبعضها عام للآل الطاهرين، فراجع (الكلمة الغراء) للسيد الجليل شرف الدين المتقدم الذكر، ففيها شفاء القلوب من داء الجهل، وعمى البصائر، فقد بسط فيها رحمه الله الدليل وحقق الحق بطرق الفريقين، وليس غرضنا في المقام البسط فقد قدمنا لك في ذلك ما فيها غنى وكفاية من كون ولايتهم عليهم السلام شرط التوحيد، وأفهمناك أيضاً

---

(١) قال السيد قدس سره في الكلمة الغراء ص١٨ ما نصه: أخرج أحمد والطبراني والحاكم وابن أبي حاتم عن ابن عباس كما نص عليه ابن حجر في تفسير الآية ١٤ من الآيات التي أوردها في الفصل الأول من الباب من صواعقه قال: لما نزلت هذه الآية قالوا له: يا رسول الله، مَنْ قرابتك هؤلاء الذين وجبت علينا مودتهم؟ قال صلى الله عليه وآله: علي وفاطمة وابناهما. وهذا الحديث أخرجه عن ابن عباس رضي الله عنه أيضاً ابن المنذر وابن مردويه والمقريزي والبغوي والثعلبي في تفاسيرهم وجلال الدين السيوطي في دره المنثور والحافظ أبو نعيم في حليته والحمويني الشافعي في فرائده وغيرهم من المفسرين والمحدثين وأرسله الزمخشري في كشافه. وقال أيضاً في ص ٣٠: وأخرج أحمد بن حنبل كما في الصواعق أيضاً عن ابن عباس في قوله: ﴿وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا﴾ (الشورى: ٢٣) قال: هي المودة لآل محمد صلى الله عليه وآله. وذكر قدس سره في ص١٩ الحديث النبوي: من مات على حب آل محمد صلى الله عليه وآله مات شهيداً -إلى آخره-. وقال في الحاشية عليه: المراد من آل محمد صلى الله عليه وآله في هذا الحديث ونحوه مجموعهم من حيث المجموع باعتبار أئمتهم الذين هم خلفاء رسول الله صلى الله عليه وآله وأوصياؤه ووارثو حكمه وأولياؤه وهم الثقل الذي قُرن بالقرآن. ونص على أنهما لا يفترقان فلا يضل من تمسك بهما ولا يهتدي من أعرض عن أحدهما، وليس المراد هنا من الآل جميعهم على سبيل الاستغراق أو الشمول لكل فرد فرد لأن هذه المرتبة السامية لأولياء الله خاصة. نعم تجب محبة جميع أهل بيته وكافة ذريته لانتسابهم إليه صلى الله عليه وآله وفي ذلك تحصل الزلفى لله تعالى والشفاعة من رسول الله صلى الله عليه وآله. وقال قدس سره في ص٢٠ أيضاً: وأخرج الطبراني كما في الصواعق وغيرها عن الإمام زين العابدين علي بن الحسين عليه السلام أنه لما أُقيم، بأبي وأمي، أسيراً على درج دمشق قال له بعض جفاة أهل الشام: الحمد لله الذي قتلكم؛ فقال له: أما قرأت ﴿قُل لاَّ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلاَّ الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾؟ قال: وأنتم هم؟ قال عليه السلام: نعم. اهـ.

الملازمة العقلية بين المعارف الخمس الدينية، وإنما تعرضنا هنا لآية الإثبات لاشتراط التوحيد بمودتهم عند الجمهور بلازم رواياتهم الصحيحة، بل إنهم يروون أن الخلق مسؤولون يوم الحشر عن ولايتهم عليهم السلام[1] وأن من محبيهم من يدخل الجنة بشفاعتهم[2]. ويلزمهم من هذا القول بإمامتهم عليهم السلام لكنهم يتأولون الولاية المسؤول عنها بالموالاة بمعنى المحبة لا بمعنى الولاية العامة أي الأولوية بأمور الناس كولاية النبي صلى الله عليه وآله طبق قوله يوم الغدير: «ألستُ أولى بالمؤمنين» -إلى آخره-. فكأن القوم تغافلوا عن نصوص الله ورسوله صلى الله عليه وآله المتواترة كآية الولاية وغيرها، وحديث الغدير والثقلين ونص يوم الدار يوم إنذار الأقربين وما ضاهاها.

أما نحن فلا يسعنا التغافل لقيام حجة الله القاطعة، وقد وفقنا إلى أن هدانا الصراط المستقيم، وقد أنغمسنا في حبهم عليهم السلام بشدة اتصالنا بهم[3] إذ

---

(١) قال السيد قدس سره في ص٧٣ من الفصول المهمة: أخرج الديلمي كما في الصواعق وغيرها، عن أبي سعيد الخدري أن النبي صلى الله عليه وآله قال: ﴿وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْئُولُونَ﴾ (الصافات: ٢٤) عن ولاية علي عليه السلام. وقال الإمام الواحدي كما في تفسير هذه الآية من الصواعق أيضاً: إنهم مسؤولون عن ولاية أهل البيت عليهم السلام. وأخرج ذلك الشيخ سليمان في الباب السابع والثلاثين ص٩١ عن الديلمي في كتابه الفردوس وأخرج أيضاً عن الحافظ والبيهقي في تفسير قوله تعالى: ﴿ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ﴾ (التكاثر: ٨) إن النعيم ولاية أمير المؤمنين عليه السلام.

(٢) أخرج السيد قدس سره في الفصول المهمة ص١٧٤ عن الطبراني في الأوسط والسيوطي في إحياء الميت والنبهاني في أربعينه أن النبي صلى الله عليه وآله قال: الزموا مودتنا أهل البيت فإنه من لقي الله وهو يودّنا دخل الجنة بشفاعتنا، والذي نفسي بيده لا ينفع عبداً عمله إلاّ بمعرفة حقنا. وأخرج السيد فيها أيضاً عن القاضي عياض أن النبي صلى الله عليه وآله قال: معرفة آل محمد صلى الله عليه وآله براءة من النار، وحب آل محمد جواز على الصراط، والولاية لآل محمد أمان من العذاب.

(٣) ففي روضة الواعظين ص٢٥٣ في حديث جليل طويل عن النبي صلى الله عليه وآله يحدث علياً عليه السلام يبشر فيه بمنزلته ومنزلة شيعته عنده، وعند الله تعالى، قال فيه ما نصه: يا علي، أنت مني وأنا

عجننا بنور ولايتهم عليهم السلام، فلكل منا حظه من ذلك بقدر نوريته، فنفوسنا متعلقة بودهم قبل حض الشارع عليه فكأن ندبه إيانا بآي الكتاب للتأكيد ودليل عليه:

سيط لحمي بلحمهم ودمي فهو محل الشعار ثم الدثار[1]

ولعلَّ المتفطن يشكل علينا بما حررناه في حبهم عليهم السلام ويقول: إن ظاهره أنكم مجبولون على ودهم فلا فخر لكم، إذ لا مدح ولا ثواب إلاّ على ما كان باختيار.

فنقول له يكفينا من الفخر طيب ذواتنا باتصالنا بهم ﴿**ذَلِكَ فَضْلُ الله يُؤْتِيهِ مَن يَشَاء**﴾[2] وليكن حبنا لهم خالصاً لوجه الله الكريم؛ لكونهم أقربَ الخليقة له تعالى فكأن نفوس الشيعة المخلصة بلسان ذواتها تقول:

ما أحببنا محمداً وآله الطاهرين عليهم السلام طمعاً في ثواب ولا خوفاً من عقاب بل لكونهم عليهم السلام أهلاً لذلك، على وزن قول إمامنا أمير المؤمنين عليه السلام

منك، روحك، من روحي وطينتك من طينتي، وشيعتك خلقوا من فضل طينتنا، فمن أحبهم فقد أحبنا -إلى آخره-. وفي شجرة طوبى في الجزء الأول للشيخ محمد مهدي الحائري ص٧ طبع النجف سنة ١٣٦٩هـ ما نصه قال الصادق عليه السلام: رحم الله شيعتنا خلقوا من فاضل طينتنا، وعجنوا بنور ولايتنا يحزنون لحزننا ويفرحون لفرحنا. أ هـ.

وفي الكافي من باب خلق الله أبدان الأيمة عليهم السلام وأرواحهم وقلوبهم ص٢٠٩ في الحديث الأول عن أبي عبدالله قال: إن الله خلقنا* من عليين وخلق أرواحنا من فوق ذلك، وخلق أرواح شيعتنا من عليين، وخلق أجسادهم من دون ذلك، فمن أجل ذلك القرابة بيننا وبينهم وقلوبهم تحن إلينا. ا هـ.

* الظاهر أن المراد به أبداننا فحذف المضاف شايع، وهذا أنسب بعنوان الباب وعجز الخبر وبذلك فسره الشيخ المازندراني رحمه الله.

(١) قاله الشيخ محمد بن حماد رحمه الله.

(٢) الجمعة: ٤.

مخاطباً لربه الكريم: «إلهي ما عبدتُك خوفاً من نارك، ولا طمعاً في جنتك، بل وجدتك أهلاً للعبادة فعبدتك».

وأقول:

جرى حبهم في كل عرق ومفصل فودهم للنفس أنس ومنشأُ

فإن قلت: لابد من جواب يصحح اختيار المحبة إذ هي محثوث عليها بالكتاب المقدس، والسنة النبوية القطعية عند الفريقين، ولا أمر إلا بمقدور؟

قلنا: قد ذكر علماؤنا رضوان الله عليهم لهذا الإشكال أجوبة، وأحسن ما وقفت عليه ما اخترته من أجوبة السيد الجليل السيد نعمة الله الجزائري رحمه الله في الأنوار في نور الحب ودرجاته قال رحمه الله ما نصه: الثاني: إن سببه اختياري، وهو تحقيق أحوالهم، والاطلاع على بعض محاسنهم، وما آتاهم الله تعالى من درجات الكمال، فيدخل تحت الاختيار لدخول سببه.

ويشير قدس سره في الوجه الثالث إلى ما أشرنا إليه من حسن الذات ويقول: (أعلى الله مقامه) في أثنائه: إن أصل صفات الخير ومباديها من نعمه سبحانه التي أنشأ الخلق عليها، وأما كمالها وفروعاتها، فمن اختياره وسعيه. انتهى المراد من كلامه زيد في علو مقامه.

ويخطر بالبال وجه آخر أُلهمته ببركاتهم عليهم السلام بمراجعة كلمات علمائهم وهو: إن الأمر بودهم عليهم السلام داخل تحت القدرة؛ لكونه ينحل إلى الأمر بمقتضياته، وترتيب آثاره مثل طاعتهم عليهم السلام والأخذ بهديهم والفرح لفرحهم، والحزن لحزنهم، كما تفعله أشياعهم من إظهار شعائرهم من تشييد قبورهم، وزيارتها واحتفالهم بتعازيهم وتهانيهم، كعشر المحرم، ومولد النبي صلى الله عليه وآله وسلم، ومبعثه، والغدير وأمثال ذلك، ومحبة أوليائهم ووصلهم والبراءة من

أعدائهم وقطعهم.

إذا لم تــبرا مـــن أعـــدا عـــلي فـــما لـــك في محبتـــه ثـــواب[1]

مضافاً إلى أن في هذه اللوازم أوامر أولية خصوصاً وعموماً فهي لها اعتبار مستقل يتبع الود، وباعتبار أمرها أولاً لابد وأن يكون الود لازماً لها إذ لا طاعة اختيارية لمبغوض، ولا انقياد نفسياً باتباع هدى غير المحبوب، ولا تميل النفس لتعظيم غير شعاره. ونحن على هذه الوتيرة. فنسأل الله الثبات فبحبهم سعدنا، وهو الإكسير محيل السيئات حسنات ﴿**إِنَّ الحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ**﴾[2].

في كتاب الصافي ص٣٥٣ عن كتاب الأمالي عن أمير المؤمنين عليه السلام أن الله تعالى يُكفّر بكل حسنة سيئة ثم تلا الآية الشريفة. فأي حسنة أعظم من حبهم عليهم السلام؟ إذ هي شريطة الأعمال. وقد تقدم لك النبوي في الشعاع الحادي عشر في كون حب علي عليه السلام حسنة لا تضر معه سيئة - إلى آخره-.

وهذا المعنى -أي قضية التكفير- من الوجوه الدافعة للإشكال على قوله صلى الله عليه وآله: لا تضر معه سيئة، فمن وافى بحبهم وبإمامتهم عليهم السلام فسيئاته مكفرة قطعاً، فإن كان من التائبين فهو من المحسنين، وإن لا فلابد له من الجنة برحمة الله تعالى وشفاعتهم عليهم السلام قبل دخول النار أو بعدها كما تقدم من تفاوت الرتب فيكون قوله صلى الله عليه وآله: «لا تضر» محمولاً على الخلود أي لا يخلد في النار بسبب السيئة، أو لا يدخل فيها أصلاً بأن تكون قوة نورية الحب غالبة لضعف أثر السيئات إن لم تكفّر بالبلايا الدنيوية أو البرزخية.

أو أنا نحمل الحب على الحب الخاص، وهو إخلاص التشيع الذي

---

(١) للصاحب بن عباد رحمه الله.

(٢) هود: ١١٤.

يحصل للمحسنين، فلا تضر معه سيئة البتة فيكون من باب قوله تعالى: ﴿إِن تَجْتَنِبُواْ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلاً كَرِيمًا﴾[1].

والأول أقرب وأجدر إذ لا تحصل الرتبة العالية إلاّ للمخلص. والمقصود نجاة عموم المحبين بسبب حبهم عليهم السلام والله تعالى الجواد المتفضل.

وبعد تحرير هذا بمدة وقفت على حديث قدسي، وبعض كلمات جليلة للعلامة الجليل الزمخشري المعتزلي فيعجبني جداً تحريرها، قال الشيخ فخر الدين رحمه الله في مجمع البحرين في مادة عصا ص٦١ ما نصه: وفي الحديث القدسي على ما رواه الزمخشري «لأدخلن الجنة من أطاع علياً عليه السلام وإن عصاني، وأُدخل النار من عصاه وإن أطاعني»! قال: وهذا رمز حسن جيد وذلك أن حب علي عليه السلام هو الإيمان الكامل، والإيمان الكامل لا تضر معه السيئات. قوله تعالى: «وإن عصاني» فإني أغفر له إكراماً، وأدخله الجنة بإيمانه فله الجنة بالإيمان، وله بحب علي عليه السلام العفو والغفران. وقوله: «وأدخل النار من عصاه وإن أطاعني» وذلك لأنه إن لم يوال علياً عليه السلام فلا إيمان له، وطاعته هناك مجاز لا حقيقة لأن الطاعة الحقيقية هي المضاف إليها سائر الأعمال فمن أحب علياً عليه السلام فقد أطاع الله ومن أطاع الله نجا، فمن أحب علياً عليه السلام نجا، فعلم أن حب علي عليه السلام هو الإيمان، وبغضه كفر، وليس يوم القيامة إلاّ محب ومبغض، محبه لا سيئة له ولا حساب عليه، ومن لا حساب عليه فالجنة داره، ومبغضه لا إيمان له، ومن لا إيمان له لا ينظر الله إليه بعين رحمته، وطاعته عين المعصية وهو في النار، فعدو علي عليه السلام هالك، وإن جاء بحسنات العباد، ومحبه ناج ولو كان في الذنوب غارقاً إلى شحمتي أذنيه، وأين الذنوب مع الإيمان المنير؟ أم أين السيئات مع وجود

(١) النساء: ٣١.

الأكسير؟ فمبغضه من العذاب لا يقال[1] ومحبه لا يوقف ولا يقال[2] فطوبى لأوليائه وسحقاً لأعدائه. اهـ.

---

(١) مِنْ: أقال عثرته (أقال - يُقِيل).

(٢) الظاهر أنه من القائلة: نصف النهار كما قال لا ينتصف النهار يوم القيامة حتى يقيل أهل الجنة في الجنة وأهل النار في النار. من مجمع البيان.

(عوداً على بدء)

به فائدة فيها دفع وهم تحقيق في معنى الورود والخلود وكلمة في النفس فيها إجمال ما فصل آنفاً وفيها فوائد مما لم يذكر سابقاً:

قد يتوهم في بادئ الرأي التنافي بين الأخبار المصرحة بدخول كثير من المؤمنين الجنة بغير حساب وبين قوله تعالى: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلاَّ وَارِدُهَا﴾[1] الآية فظاهرها الحصر فكل أحد يدخل النار فلابد من الجواب! فإليكه من أهل بيت العصمة عليهم السلام محمد وآله المعصومين، قال المحقق الكاشاني في كتاب الصافي ص٣٢٠ عند تفسير الآية ما نصه:

﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلاَّ وَارِدُهَا﴾ القمي رحمه الله عن الصادق عليه السلام قال: «ما تسمع الرجل يقول وردنا ماء بني فلان فهو الوارد ولم يدخل ﴿كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا﴾[2] » كان ورودهم واجباً أوجبه الله على نفسه وقضى به

(١) مريم: ٧١.

(٢) مريم: ٧١.

﴿ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوا﴾[1] فيساقون إلى الجنة. وقرأ ﴿ننجي﴾ بالتخفيف ﴿وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا﴾[2] على هيئاتهم كما كانوا. وفي المجمع عن النبي ﷺ قال: يرد الناس النار ثم يصدرون بأعمالهم، فأوّلهم كلمع البرق ثم كمر الريح، ثم كحضر[3] الفرس، ثم كالراكب، ثم كشد الرجل ثم كمشيه. وعنه عليه السلام الورود الدخول، لا يبقى بر ولا فاجر إلاّ يدخلها، فيكون على المؤمنين برداً وسلاماً، كما كانت على إبراهيم حتى أن للنار، أو قال: لجهنم، ضجيجاً من بردها، ثم ينجي الله الذين اتقوا ويذر الظالمين فيها جثياً. وعنه ﷺ تقول النار للمؤمن يوم القيمة: جُز يا مؤمن، فقد أطفأ نورك لهبي. وفي رواية: إن الله تعالى يجعل النار كالسمن الجامد، ويجتمع عليها الخلق، ثم ينادي المنادي أن خذي أصحابك، وذري أصحابي، قال: والذي نفسي بيده لهي أعرف بأصحابها من الوالدة بولدها. وقيل إن الفائدة في ذلك ما روي في بعض الأخبار أن الله لا يدخل أحداً الجنة حتى يطلعه على النار وما فيها من العذاب ليعلم تمام فضل الله عليه، وكمال لطفه، وإحسانه إليه؛ فيزداد لذلك فرحاً وسروراً بالجنة ونعيمها ولا يدخل أحد النار حتى يطلعه على الجنة وما فيها من أنواع النعيم والثواب؛ ليكون ذلك زيادة عقوبة له، وحسرة على ما فاته من الجنة ونعيمها، قال: وقد ورد في الخبر: أن الحمى من قيح جهنم. وروي أن رسول الله ﷺ عاد مريضاً فقال له: أبشر! إن الله عز وجل يقول: الحمى هي ناري، أُسلطها على عبدي المؤمن في الدنيا؛ لتكون حظه من النار.

وفي الكافي عن الصادق عليه السلام: «الحمى رائد الموت وهي سجن المؤمن في الأرض وهي حظ المؤمن من النار». وعنه عليه السلام: «قال رسول الله ﷺ: الحمى رائد الموت وسجن الله تعالى في أرضه، فورُها من جهنم وهي حظ

(١) مريم: ٧٢.

(٢) مريم: ٧٢.

(٣) كحضر الفرس أي عدوها. (مجمع البحرين، مادة: حضر).

كل مؤمن من النار». وفي الاعتقادات: (روي: أنه لا يصيب أحداً من أهل التوحيد أَلَمٌ في النار إذا دخلوها وإنما يصيبهم الألم عند الخروج منها فتكون تلك الآلام جزاء بما كسبت أيديهم وما الله بظلام للعبيد) اهـ.

وروي عن النبي ﷺ أنه سئل عن هذه الآية فقال: «إذا دخل أهل الجنة الجنة، قال بعضهم لبعض: أليس قد وعدنا ربنا أن نرد النار؟ فقال: قد وردتموها وهي خامدة». قيل[1]: وأما قوله تعالى: ﴿أُوْلَئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ﴾[2] فالمراد من عذابها، وقيل: ورودها الجواز على الصراط فإنها ممدودة عليها، ثم قال رضي الله عنه أقول: والكل صحيح ولا تنافي بينها عند أولي الألباب. انتهى حرفياً ما أورده في تفسيرها أعلى الله مقامه[3].

أقول تأمل كي يصح عندك عدم التنافي فإن مطلق الورود قدر جامع مع تفاوت رتبه بتفاوت رتب الواردين؛ فبشر المؤمنين بالجنة والخلود فيها،وأنذر غيرهم بالنار والخلود فيها ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الفِرْدَوْسِ نُزُلاً * خَالِدِينَ فِيهَا لاَ يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلاً﴾[4]، وقال تعالى: ﴿جَزَاؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا﴾[5] الآية الكريمة، وقال تعالى: ﴿لاَ يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الجَنَّةِ أَصْحَابُ الجَنَّةِ هُمُ الفَائِزُونَ﴾[6]، وقال تعالى: ﴿اللهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُواْ يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّوُرِ وَالَّذِينَ كَفَرُواْ أَوْلِيَآؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُوْلَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا

---

(١) هكذا النسخة ولا يبعد أنها غلط لصحة المعنى بدون لفظة قيل، والله تعالى العالم.

(٢) الأنبياء: ١٠١.

(٣) تفسير الصافي، ج٣.

(٤) الكهف: ١٠٧ – ١٠٨.

(٥) البينة: ٨.

(٦) الحشر: ٢٠.

خَالِدُونَ﴾[1]، وقال عز من قائل: ﴿إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي عَذَابِ جَهَنَّمَ خَالِدُونَ * لاَ يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ * وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِن كَانُوا هُمُ الظَّالِمِينَ * وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُم مَّاكِثُونَ﴾[2]، وقال جل وعلا: ﴿وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا﴾[3] الآية.

والخلود لأهل الجنة والنار بحسب ما يعلم الله من نياتهم[4].

﴿وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَـمَّا قُضِيَ الأَمْرُ إِنَّ اللهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانٍ إِلاَّ أَن دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلاَ تَلُومُونِي وَلُومُواْ أَنفُسَكُم مَّا أَنَاْ بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنتُمْ بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَآ أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَـهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[5].

فانظر إلى عاقبة أمرهم مع عدوهم الشيطان، كيف صرّح لهم بالبراءة منهم، وأقر بعدم إمكانه من إغاثتهم، وعدم إمكانهم من إغاثته وصرح لهم بأن لا سلطان له عليهم، والاختبار محسوس بالوجدان؟ وكيف نهاهم عن ملامته؟ إذ الملامة عائدة عليهم لما عرفته من التصريح بعداوته -في دار التكليف- في نصوص الله على لسان أنبيائه، وأنّى تجديهم الملامة في ذلك اليوم؟ فإنما هو يوم الحسرة والندامة ذلك يوم التغابن، وملامة النفوس تحصل في ذلك اليوم للأبرار والفجار، كما أفاده الشيخ فخر الدين قال في

---

(١) البقرة: ٢٥٧.

(٢) الزخرف: ٧٤ - ٧٧.

(٣) فاطر: ٣٧.

(٤) ففي كتاب جامع السعادات الجزء٣ ص١١٤ ما نصه: وقال الصادق عليه السلام: إنما خلد أهل النار لأن نياتهم كانت في الدنيا أن لو خلدوا فيها أن يعصوا الله تعالى أبداً. وإنما خلد أهل الجنة في الجنة لأن نياتهم كانت في الدنيا أن لو بقوا فيها أن يطيعوا الله تعالى أبداً، فبالنيات خلد هؤلاء وهؤلاء - إلى آخر الخبر-.

(٥) إبراهيم: ٢٢.

ص٥٥٣ في مجمع البحرين ما نصه: ما من نفس برة ولا فاجرة إلاّ وهي تلوم نفسها يوم القيامة إن كانت عملت خيراً أهل ازدادت منه؟ وإن كانت عملت شراً لِمَ عملته[١]؟ وإلى هذا يشير قوله تعالى: ﴿لاَ أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللوَّامَةِ﴾[٢] كما تقدم تفسيرها عن الشيخ الطبرسي ﵀ في مبدأ الكتاب فعوداً على بدء تعجيلاً للبر وتسهيلاً لطلبه قال رحمه الله تعالى: فإنكم لا تقرون بأن النفس تلوم صاحبها يوم القيامة وقد تقدم منا كلمة على تحقيق النفس في أول الكتاب وهي أصله، وعليه فينبغي أن يختم بكلمة في النفس تكون أنموذجاً للمبدأ وشبيهة به وإجمالاً لما فصل.

قال الشيخ النراقي ﵁ في تعريف النفس[٣] ما نصه: فحدها أنها جوهر ملكوتي، يستخدم البدن في حاجاته، وهو حقيقة الإنسان وذاته والأعضاء، والقوى الآلة التي يتوقف فعله عليها ولها أسماء مختلفة بحسب

---

(١) روى الشيخ النراقي ﵀ «ما ورد في بعض الأخبار: قال الصادق ﵇ إن كل عبد خُلقت له بإزاء كل يوم وليلة من عمره أربع وعشرون خزانة مصفوفة، فإذا مات تفتح له هذه الخزائن، ويشاهد كل واحد منها ويدخلها فإذا فتحت خزانة خلقت بإزاء الساعة التي أطاع الله تعالى يراها مملوءة نوراً من حسناته التي عملها في تلك الساعة؛ فيناله من الفرح والاستبشار بمشاهدة تلك الأنوار التي هي وسائل عند الملك الجبار ما لو وزع على أهل النار لأدهشهم ذلك الفرح عن الإحساس بألم النار، وإذا فتحت له خزانة خلقت بإزاء الساعة التي عصى الله فيها يراها سوداء مظلمة يفوح نتنها، ويتغشى ظلامها فيناله من الهول والفزع ما لو قسم على أهل الجنة لينغص عليهم نعيمها فإذا فتحت له خزانة بإزاء الساعة التي نام فيها، أو غفل أو اشتغل بشيء من مباحات الدنيا لم يشاهد فيها ما يسره ولا ما يسوؤه، وهكذا يعرض عليه بعدد ساعات عمره الخزائن، وعند ذلك يتحسر العبد على إهماله وتقصيره، ويناله من الغبن ما لا يمكن وصفه». اهـ. (جامع السعادات الجزء الثالث ص٩٤).

(٢) القيامة: ٢.

(٣) جامع السعادات في الجزء الأول ص٣٩ مطبعة الزهراء سنة ١٣٦٨هـ.

اختلاف الاعتبارات فيسمى روحاً لتوقف حياة البدن - إلى آخره-.

وقال الشيخ فخر الدين الطريحي في مجمع البحرين ص١٨٣ في مادة (روح) في بيان معنى الروح ما نصه: وفي الحديث: «أرواح المؤمنين على صورة أبدانهم، لو رأيته لقلت فلان» قال بعض المتبحرين المراد بالروح هنا ما يشير الإنسان بقوله: أنا، أعني النفس الناطقة المستعدة للبيان وفهم الخطاب، ولا تفنى بفناء الجسد[1]، وأنه جوهر، لا عرض، وهي المعني في القرآن والحديث، وقد تحير العقلاء في حقيقتها، واعترف كثير منهم بالعجز عن معرفتها، حتى قال بعض الأعلام: إن قول أمير المؤمنين عليه السلام: «من عرف نفسه فقد عرف ربه» معناه: أنه كما لا يمكن التوصل إلى معرفة النفس، لا يمكن التوصل إلى معرفة الرب، وقوله تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُم مِّن العِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً﴾[2] مما يعضد ذلك - إلى آخره-.

هذا والذي يظهر من كلماته وكلمات غيره من المحققين أعلى الله

---

(١) بقاء الأرواح مما قال به الجلّ إن لم نقل الكل، وبعضهم نقل الإجماع عليه، ولهم أدلة عقلية مقررة في محلها، بل إن بعضهم ادعى الضرورة عليه للزوم المعاد شرعاً وعقلاً. وبطلان عود المعدوم ضرورة، ولكن المناقشة في الإجماع والأدلة ممكنة، بل واقعة وممن صرح بذلك الشيخ المفيد في شرح العقائد للصدوق في صحيفة عدد ١٨٤ بل شنّع به على قائله، ونسبه إلى الفلاسفة من الملحدين، وقال ما معناه: إن منشأ القول به عند المسلمين غفلتهم عن الخلط في أقوالهم بما يرتبون عليها من اللوازم الفاسدة لمزومات أقوال الملحدين، وبعد ذلك قال في صحيفة عدد ١٨٦ ما نصه: والذي ثبت من الحديث في هذا الباب أن الأرواح بعد موت الأجساد على ضربين منها ما ينقل إلى الثواب والعقاب ومنها ما يبطل فلا يشعر بثواب ولا عقاب. وقد روي عن الصادق عليه السلام ما ذكرناه في هذا المعنى وبيناه. انتهى. وأقول: ﴿إِنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (البقرة: ٢٠).

(٢) الإسراء: ٨٥.

مقامهم أن النفس والروح واحدة، وما يعبر عنها في بعض العبائر والأخبار بالنفوس والأرواح مؤول بالأوصاف والأحوال والقوى الأربع -حسب اختلاف الاعتبارات والأطوار- وبالجملة فهي مجهولة الكنه كما عرفت **﴿قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُم مِّن العِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً﴾**[1] وفي ذلك إشارة إلى عجز الممكن عن إدراك حقائق العلم كله؛ فمعلومات الواجب -جل وعلا- لا متناهية. ولعل إلى هذا تنبه بعض أعاظم الفلاسفة فترقى في عرفانه وتنازل خاضعاً بعجز الإمكان لعظمة الواجب تعالى فقال: «ما علمنا سوى أنّا ما علمنا».

إذاً فلنخضع لعظمته -جل وعلا- ولنكرر قوله تعالى: **﴿وَمَا أُوتِيتُم مِّن العِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً﴾**.

وبها كتابنا مختوم: **﴿خِتَامُهُ مِسْكٌ﴾**[2].

انتهى تسويده الليلة الثامنة من شهر رمضان الموافقة لليلة الأربعاء سنة ١٣٧٣هـ ثلاث وسبعين وثلاثمائة وألف هجرية وفرغ من نسخه أيضاً ظهر يوم الأربعاء السادس والعشرين من سنة ١٣٧٥هـ بيد الأقل الجاني سليم الحاج قاسم الجارودي عفا الله عنه وعن المؤمنين.

---

(١) الإسراء: ٨٥.

(٢) المطففين: ٢٦.

معظم مصادر النظرة النفسية

١- القرآن الكريم.
٢- أجود التقريرات، الخوئي.
٣- الاحتجاج، للطبرسي.
٤- إرشاد القلوب، الشيخ الحسن بن علي الديلمي.
٥- أصل الشيعة وأصولها، للمقدس محمد الحسين كاشف الغطاء.
٦- اعتقادات الصدوق، الصدوق القمي.
٧- أمالي الشيخ الطوسي.
٨- أمالي الصدوق، الصدوق القمي.
٩- إيضاح دفائن النواصب، محمد بن أحمد بن علي بن الحسين بن شاذان القمي.
١٠- الباب الحادي عشر، للعلامة الحلي.
١١- بحار الأنوار، للعلامة المجلسي.
١٢- التجريد، نصير الدين الطوسي.
١٣- تفسير البيضاوي.
١٤- تفسير الصافي، للفيلسوف الكاشاني.
١٥- تفسير فرات، فرات بن إبراهيم الكوفي.
١٦- التهاب نيران الأحزان.

١٧- الخرائج والجرائح، قطب الدين الراوندي.
١٨- الخصائص الحسينية، للتستري.
١٩- خصائص أمير المؤمنين عليه السلام، الحافظ النسائي.
٢٠- روضة المسائل، للحجة المقدس أبو الحسن الخنيزي.
٢١- روضة الواعظين، لابن الفتال النيسابوري.
٢٢- شرح أصول الكافي، للمازندراني.
٢٣- شرح اعتقادات الصدوق، للمفيد.
٢٤- شرح الباب الحادي عشر، المقداد السيوري.
٢٥- شرح التجريد، للقوشجي.
٢٦- شرح الكفاية، للسيد محسن الحكيم الطباطبائي.
٢٧- شرح الكفاية، للشيخ محمد علي القمي.
٢٨- شرح الكفاية، للكاظمي.
٢٩- العروة الوثقى، للحجة السيد محمد كاظم اليزدي.
٣٠- عقاب الأعمال، الشيخ الصدوق.
٣١- عيون أخبار الرضا عليه السلام، الشيد الصدوق.
٣٢- الفصول المهمة، للسيد عبدالحسين شرف الدين العاملي.
٣٣- الفصول المهمة، للشيخ المفيد.
٣٤- الكافي، للكليني.
٣٥- كتاب الألفين، للعلامة الحلي.
٣٦- كتاب المختصر، للشيخ حسن الحلي.
٣٧- الكشاف، الزمخشري.
٣٨- كفاية الأثر في النصوص على الأئمة الاثني عشر، أبو القاسم القمي الرازي.
٣٩- الكفاية، للحكيم الخراساني.
٤٠- الكلمة الغراء، للسيد عبدالحسين شرف الدين العاملي.

٤١- كنز العمال، علاء الدين المتقي الهندي.
٤٢- مئة منقبة من مناقب أمير المؤمنين، ابن شاذان القمي.
٤٣- المجازات النبوية، للشريف الرضي.
٤٤- مجمع البحرين، فخر الدين الطريحي.
٤٥- مجمع البيان، للطبرسي.
٤٦- المراجعات، لشرف الدين العاملي.
٤٧- المسترشد.
٤٨- المستمسك، للحجة السيد محن الحكيم.
٤٩- مفاتيح الغيب، الرازي.
٥٠- المقدمة في أصول الدين.
٥١- منار الهدى في النص على إمامة الأئمة الاثني عشر، الشيخ علي البحراني.
٥٢- مناقب ابن شهراشوب.
٥٣- مناقب الخوارزمي.
٥٤- المنتخب، فخر الدين الطريحي.
٥٥- الهداية، الشيخ الصدوق.
٥٦- الوافي، الفيض الكاشاني.
٥٧- ينابيع المودة، الشيخ سليمان القندوزي.

المحتويات